



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



الرعد
عليه صاب

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

شرح منہج البلاغہ

لابن ابی الحدید

بتحقیق

محمد ابو الفضل ابراہیم

(۱۰)

دارالافتاء القرآن العربیہ
بیس البانی اعلیٰ و سیکرٹری

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح نهج البلاغه ابن ابى الحديد

كاتب:

ابن ابى الحديد معتزلى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى - قم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريرات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٥	شرح نهج البلاغه المجلد ١٨
١٥	اشاره
١٧	اشاره
٢٣	تتمه أبواب الكتب و الرسائل
٢٣	اشاره
٢٣	تتمه ٦٤ كتاب له ع إلى معاويه
٢٣	اشاره
٢٣	[ذكر بقيه الخبر عن فتح مكه]
٣٨	٦٥ و من كتاب له ع إليه أيضا
٤٦	٦٦ و من كتاب له ع كتبه إلى عبد الله بن العباس
٤٦	اشاره
٤٦	[نبذ من كلام الحكماء]
٤٨	٦٧ و من كتاب له ع كتبه إلى قثم بن العباس و هو عامله على مكه
٥٢	٦٨ و من كتاب له ع كتبه إلى سلمان الفارسی رحمه الله قبل أيام خلافته
٥٢	اشاره
٥٢	[سلمان الفارسی و خبر إسلامه]
٦٠	٦٩ و من كتاب له ع كتبه إلى الحارث الهمدانی
٦٠	اشاره
٦١	[الحارث الأعور و نسبه]
٦٢	[نبذ من الأقوال الحكيمه]
٧١	٧٠ و من كتاب له ع إلى سهل بن حنيف الأنصاری و هو عامله على المدينه في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاويه
٧٣	٧١ و من كتاب له ع إلى المنذر بن الجارود العبدی
٧٣	اشاره

- ٧٤ [ذكر المنذر و أبيه الجارود]
- ٧٢ و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس رضى الله عنه ٧٩
- ٧٣ و من كتاب له ع إلى معاوية ٨١
- ٧٤ و من حلف له ع كتبه بين ربيعه و اليمن ٨٥
- ٧٥ و من كتاب له ع إلى معاوية من المدينة في أول ما بويع له بالخلافه ٨٧
- ٧٦ و من وصيه له ع لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصره ٨٩
- ٧٧ و من وصيه له ع لعبد الله بن العباس أيضا لما بعثه للاحتجاج على الخوارج ٩٠
- ٧٨ و من كتاب له ع أجاب به أبا موسى الأشعري ٩٤
- ٧٩ و من كتاب كتبه ع لما استخلف إلى أمراء الأجناد ٩٧
- ٩٩ باب الحكم و المواعظ
- ٩٩ اشاره
- ١٠٢ ١- [كلامه ع في الفتنه]
- ١٠٤ ٢- [كلامه ع في الطمع و الرضا بالابتلاء]
- ١٠٧ ٣- [كلامه ع في البخل و الجبن و الفقر و المقل]
- ١١٠ ٤- [كلامه ع في العجز و الصبر و الزهد و الورع و الرضا]
- ١١٣ ٥- [كلامه ع في العلم و الجبن و الآداب و الفكر]
- ١١٧ ٦- [كلامه ع في كتمان الأسرار و البشاشه و الاحتمال و المسالمه]
- ١٢٠ ٧- [كلامه ع في الاغترار بالنفس و فضل الصدقه و مشاهده الناس أعمالهم]
- ١٢٣ ٨- [كلامه ع في الإعجاب بالإنسان]
- ١٢٥ ٩- [كلامه ع في إقبال الدنيا و إدبارها عن الإنسان]
- ١٢٧ ١٠- [كلامه ع في مخالطه الناس]
- ١٢٩ ١١- [كلامه ع في العفو عند المقدره]
- ١٣٢ ١٢- [كلامه ع في خالطه الناس]
- ١٣٥ ١٣- [كلامه ع في من اعتزل القتال و لم ينصره]
- ١٣٦ ١٤- [كلامه ع في تنفير النعم بقله الشكر]
- ١٣٨ ١٥- [كلامه ع في إضاعه الأقرب من الناس]

- ١٣٩ ----- ١٦- [كلامه ع فى عدم معاتبه كل مفتون]
- ١٤٠ ----- ١٧- [كلامه ع فى أن الحتف فى التقدير]
- ١٤٢ ----- ١٨- [كلامه ع فى الشيب و الخضاب]
- ١٤٢ ----- اشاره
- ١٤٣ ----- [نبذ مما قيل فى الشيب و الخضاب]
- ١٤٧ ----- ١٩- [كلامه ع فى الأمل]
- ١٤٨ ----- ٢٠- [كلامه ع فى المروءه]
- ١٤٨ ----- اشاره
- ١٤٨ ----- [نبذ مما قيل فى المروءه]
- ١٥١ ----- ٢١- [كلامه ع فى الهيبه و الحياء و اغتنام الفرص]
- ١٥٢ ----- ٢٢- [كلامه ع فى أخذ حقه بالخلافه]
- ١٥٤ ----- ٢٣- [كلامه ع فى الحث و التحريض على العباده]
- ١٥٥ ----- ٢٤- [كلامه ع فى بيان كفارات الذنوب العظام]
- ١٥٦ ----- ٢٥- [كلامه ع فى التخويف و التحذير من الاستدراج]
- ١٥٧ ----- ٢٦- [كلامه ع فى ظهور ما يضره الإنسان على وجهه و لسانه]
- ١٥٨ ----- ٢٧- [كلامه ع فى الصبر على الأمور المدفوع لها قهرا و عدم التماس التغيير لها]
- ١٥٩ ----- ٢٨- [كلامه ع فى أفضل الزهد]
- ١٦٠ ----- ٢٩- [كلامه ع فى سرعه النقاء الموت و الأجل وإن أدبر عنه]
- ١٦١ ----- ٣٠- [كلامه ع فى التحذير من الاستدراج]
- ١٦٢ ----- ٣١- [كلامه ع فى الإيمان]
- ١٦٢ ----- اشاره
- ١٦٣ ----- [نبذ و حكايات مما وقع بين يدى الملوك]
- ١٦٩ ----- ٣٢- [كلامه ع فى فاعل الخير و فاعل الشر]
- ١٧٠ ----- ٣٣- [كلامه ع فى السماح و التبذير و التقدير فى المعيشه]
- ١٧١ ----- ٣٤- [كلامه ع فى أشرف الغنى]
- ١٧٢ ----- ٣٥- [كلامه ع فى الإسراع إلى الناس بما يكرهون]

- ٣٦- [كلامه ع فى من أطل الأمل]----- ١٧٥
- ٣٧- [كلامه ع لأحد دهاقين الأنبار و هو فى مسيره إلى الشام]----- ١٧٦
- ٣٨- [كلامه ع لابنه الحسن ع فى ما ينبغى أن يحفظ عن أبيه]----- ١٧٧
- ٣٩- [كلامه ع فى استحباب التنفل بالنوافل ما لم تضر بالفريضة]----- ١٧٨
- ٤٠- [كلامه ع فى العقل و الحمق]----- ١٧٩
- ١٧٩----- اشاره
- [أقوال و حكايات حول الحمقى]----- ١٧٩
- ٤١ [فى كلامه ع لبعض أصحابه فى عله اعتلها]----- ١٨٨
- ٤٢ [كلامه فى ذكر خباب بن الأرت]----- ١٩١
- ١٩١----- اشاره
- [حباب بن الأرت]----- ١٩١
- ٤٣ [كلامه ع فى أن حبه من الإيمان و بغضه من النفاق]----- ١٩٣
- ٤٤- [كلامه ع فى تفضيل السيئه تسوء الإنسان على الحسنه تعجب الإنسان]----- ١٩٤
- ٤٥- [كلامه ع فى بيان بعض الخصال]----- ١٩٥
- ٤٦- [كلامه ع فى كتمان السر و إذاعته]----- ١٩٧
- ٤٧- [كلامه ع فى الحذر من صوله الكريم و اللئيم]----- ١٩٩
- ٤٨- [كلامه ع فى بيان أصل طبيعه القلوب و كيفيه استمالتها]----- ٢٠٠
- ٤٩- [كلامه ع فى الجد]----- ٢٠١
- ٥٠- [كلامه ع فى العفو و الحلم]----- ٢٠٣
- ٥١ [كلامه ع فى السخاء]----- ٢٠٤
- ٥٢ [كلامه ع فى بيان بعض الخصال]----- ٢٠٥
- ٥٣ [كلامه ع فى الصبر]----- ٢٠٩
- ٥٤ [كلامه ع فى الغنى و الفقر]----- ٢١٠
- ٥٥ [كلامه ع فى القناعه]----- ٢١٢
- ٥٦ [كلامه ع فى المال]----- ٢١٣
- ٥٧ [كلامه ع فى النصح و تحذير الناس]----- ٢١٥

- ٢١٦ [كلامه ع فى اللسان] ٥٨
- ٢١٨ [كلامه ع فى المرأه] ٥٩
- ٢٢٢ [كلامه ع فى التحيه و السلام] ٦٠
- ٢٢٥ [كلامه ع فى الشفاعه] ٦١
- ٢٢٥ اشاره
- ٢٢٧ [محمد بن جعفر و المنصور] ٦٢
- ٢٣٠ [كلامه ع فى أهل الدنيا] ٦٣
- ٢٣١ [كلامه ع فى فقد الأحبه] ٦٤
- ٢٣٢ [كلامه ع فى طلب الحوائج] ٦٥
- ٢٣٣ [كلامه ع فى إعطاء القليل] ٦٦
- ٢٣٤ [كلامه ع فى العفاف و الشكر] ٦٧
- ٢٣٦ [كلامه ع فى عدم الاكتراث و الابتئاس بفوات المراد و الحرمان] ٦٨
- ٢٣٧ [او من كلامه ع فى ما يراه الجاهل] ٦٩
- ٢٣٨ [او من كلامه ع فى أن نقص الكلام هو من تمام العقل] ٧٠
- ٢٣٩ [او من كلامه ع فى الدهر و آثاره] ٧١
- ٢٤١ [او من كلامه ع فى من نصب نفسه إماما و ما ينبغي عليه] ٧٢
- ٢٤٢ [او من كلامه ع فى سرعه الأجل] ٧٣
- ٢٤٣ [او من كلامه ع فى فناء العالم و انقضائه] ٧٤
- ٢٤٤ [او من كلامه ع فى استبهاام الحال و لزوم اعتبار الأواخر بالأوائل] ٧٥
- ٢٤٥ [او من كلامه ع فى عدم الاعتزاز بالدنيا] ٧٦
- ٢٤٨ [او من كلامه ع فى القضاء و القدر] ٧٧
- ٢٥٠ [او من كلامه ع فى الحكمه و عمن تؤخذ] ٧٨
- ٢٥١ [او من كلامه ع فى فضل العلم] ٧٩
- ٢٥٢ [او من كلامه ع فى مكارم الأخلاق و بعض الوصايا] ٨٠
- ٢٥٤ [او من كلامه ع فى مدح الإنسان فى وجهه] ٨١
- ٢٥٦ [او من كلامه ع فى بقيه السيف] ٨١

- ٨٢ [أو من كلامه ع في قول لا أدري لمن سأله] ----- ٢٥٧
- ٨٣ [أو من كلامه ع في الأخذ بقول الشيخ وترك رأى الغلام] ----- ٢٥٨
- ٨٤ [أو من كلامه ع في ذم القنوط لمن ملك الاستغفار] ----- ٢٦٠
- ٨٥ [أو من كلامه ع في أن الاستغفار أمان لأهل الأرض] ----- ٢٦١
- ٨٦ [أو من كلامه ع في من أصلح بينه وبين الله وآثاره و من كان له من نفسه واعظ] ----- ٢٦٣
- ٨٧ [أو من كلامه ع في من يقال له الفقيه] ----- ٢٦٤
- ٨٨ [أو من كلامه ع في أوضح العلم و أرفعاه] ----- ٢٦٦
- ٨٩ [أو من كلامه ع في رفع الملل عن القلوب بابتغاء طرائف الحكمه] ----- ٢٦٧
- ٩٠ [أو من كلامه ع في الفتنه] ----- ٢٦٩
- ٩١ [أو من كلامه ع في بيان معنى الخير] ----- ٢٧١
- ٩٢ [أو من كلامه ع في أولى الناس بالأنبياء] ----- ٢٧٣
- ٩٣ [أو من كلامه ع في التعرض للعباده مع الجهل بالمعبود] ----- ٢٧٤
- ٩٤ [أو من كلامه ع في الاقتصار على السماع دون الروايه إذا لم يكن عن الخبر عن تعقل و درايه] ----- ٢٧٥
- ٩٥ [أو من كلامه ع في من قال إنا لله و إنا إليه راجعون] ----- ٢٧٦
- ٩٦ [أو من كلامه ع في مدح الإنسان في وجهه] ----- ٢٧٧
- ٩٧ [أو من كلامه ع في استقامه قضاء الحوائج] ----- ٢٧٩
- ٩٨ [أو من كلامه ع في] ----- ٢٨١
- ٩٩ [أو من كلامه ع في الحكماء و العارفين] ----- ٢٨٣
- ١٠٠ [أو من كلامه ع في أن الدنيا و الآخره عدوين متفاوتين و سبيلين مختلفين] ----- ٢٨٥
- ١٠١ [أو من كلامه ع في الزاهدين في الدنيا و الراغبين في الآخره] ----- ٢٨٦
- ١٠٢ [أو من كلامه ع في عدم تكلف السؤال عن أشياء لم يدعها الله تعالى نسياناً] ----- ٢٨٨
- ١٠٣ [أو من كلامه ع في من ترك شيئاً من أمر دينه لاستصلاح أمر دنياه] ----- ٢٨٩
- ١٠٤ [أو من كلامه ع في من معه علم لا ينفعه] ----- ٢٩٠
- ٢٩٠ اشاره
- ٢٩٠ محنه المققع
- ١٠٥ [أو من كلامه ع في ما يعتور القلب من الحالات] ----- ٢٩٢

- ١٠٦ [أو من كلامه ع في النمرقه الوسطى وهم أهل البيت ع] ----- ٢٩٤
- ١٠٧ [أو من كلامه ع في من يقيم أمر الله سبحانه و تعالى] ----- ٢٩٥
- ١٠٨ [أو من كلامه ع في ابتلاء من أحب أهل البيت ع] ----- ٢٩٦
- ١٠٩ [أو من كلامه ع في مكارم الأخلاق] ----- ٢٩٧
- ١١٠ [أو من كلامه ع في صلاح الزمان و فساده] ----- ٢٩٩
- ١١١ [أو من كلامه ع في من قال له كيف حالك] ----- ٣٠١
- ١١٢ [أو من كلامه ع في الاستدراج و الإملاء] ----- ٣٠٢
- ١١٣ [أو من كلامه ع في من هلك فيه من المحبين و المبغضين] ----- ٣٠٣
- ١١٤ [أو من كلامه ع في إضاعه الفرصه] ----- ٣٠٤
- ١١٥ [أو من كلامه ع في ذم الدنيا] ----- ٣٠٥
- ١١٦ [أو من كلامه ع في] ----- ٣٠٦
- ٣٠٦ ----- اشاره
- ٣٠٦ ----- فصل في نسب بنى مخزوم و طرف من أخبارهم
- ١١٧ [أو من كلامه ع في اختلاف الأعمال] ----- ٣٣١
- ١١٨ [أو من كلامه ع في الوعظ بالموت و بعض مكارم الأخلاق] ----- ٣٣٢
- ١١٩ [أو من كلامه ع في غيره الرجل و المرأة] ----- ٣٣٣
- ١٢٠ [أو من كلامه ع في بيان معنى الإسلام و الإيمان] ----- ٣٣٤
- ١٢١ [أو من كلامه ع في مساوئ الأخلاق و ذميمةا] ----- ٣٣٦
- ١٢٢ [أو من كلامه ع في التقصير في العمل] ----- ٣٣٧
- ١٢٣ [أو من كلامه ع في ابتلاء العبد بماله و نفسه] ----- ٣٣٨
- ١٢٤ [أو من كلامه ع في التوقى من البرد و تلقيه] ----- ٣٤٠
- ١٢٥ [أو من كلامه ع في بيان عظمه الخالق و آثاره على العبد] ----- ٣٤٢
- ١٢٦ [أو من كلامه ع في مخاطبه أهل القبور] ----- ٣٤٣
- ١٢٧ [أو من كلامه ع في من ذم الدنيا] ----- ٣٤٦
- ١٢٨ [أو من كلامه ع في التنبيه على كون الدنيا دار فناء و زوال لا بقاء و سلامه] ----- ٣٤٩
- ١٢٩ [أو من كلامه ع في أن الناس في الدنيا رجلا ن منهم باع نفسه و منهم ابتاعها] ----- ٣٥٠

- ٣٥١ [أو من كلامه ع في حفظ الصداقه و الصديق]
- ٣٥٢ [أو من كلامه ع في أن من أعطى أربعاً لم يحرم أربعاً]
- ٣٥٣ [أو من كلامه ع في الصلاه و الزكاه و الحج و جهاد المرأة]
- ٣٥٣ اشاره
- ٣٥٣ نبذ من الوصايا الحكيمه
- ٣٥٦ [أو من كلامه ع في استئزال الرزق بالصدق]
- ٣٥٧ [أو من كلامه ع في أن من أيقن بالخلف جاد بالعطيه]
- ٣٥٨ [أو من كلامه ع في نزول المعونه على قدر المؤونه]
- ٣٥٩ [أو من كلامه ع في مدح الاقتصاد]
- ٣٦٠ [أو من كلامه ع في قله العيال]
- ٣٦١ [أو من كلامه ع في التودد]
- ٣٦٢ [أو من كلامه ع في الهم]
- ٣٦٣ [أو من كلامه ع في الصبر و المصيبه]
- ٣٦٥ [أو من كلامه ع في روح العباده و جوهرها]
- ٣٦٦ [أو من كلامه ع في الصدقه و الزكاه و الدعاء]
- ٣٦٧ [أو من كلامه ع في وصاياه لكميل بن زياد النخعي]
- ٣٧٤ [أو من كلامه ع في بيان منزله الإنسان أثناء كلامه]
- ٣٧٦ [أو من كلامه ع في هلاك من لم يعرف قدره]
- ٣٧٧ [أو من كلامه ع في الوعظ و مكارم الأخلاق]
- ٣٨٢ [أو من كلامه ع في العاقبه إما حلوه أو مره]
- ٣٨٣ [أو من كلامه ع في الرضا بأفعال الناس]
- ٣٨٤ [أو من كلامه ع في الإقبال و الإدبار]
- ٣٨٧ [أو من كلامه ع في الصبر]
- ٣٨٨ [أو من كلامه ع في ما إذا اختلفت دعوتان]
- ٣٨٩ [أو من كلامه ع في الإخبار عن الغيب صادقاً]
- ٣٩٠ [أو من كلامه ع في ندم الظالم يوم القيامه]

- ١٥٤ [أو من كلامه ع في ترك الدنيا و قرب الرحيل عنها] ٣٩١
- ١٥٥ [أو من كلامه ع في هلاك من حارب الله] ٣٩٢
- ١٥٦ [أو من كلامه ع في الاستعصام بالذمم] ٣٩٣
- ١٥٧ [أو من كلامه ع في وجوب طاعه من وجبت طاعته] ٣٩٤
- ١٥٨ [أو من كلامه ع في ذكر نعم الله على العبد بعد معرفته سبحانه] ٣٩٥
- ١٥٩ [أو من كلامه ع في لزوم اتباع الحق بعد نصب الأدله الواضحه دون الظلال عنها] ٣٩٧
- ١٦٠ [أو من كلامه ع في الرد على الإساءه بالإحسان] ٣٩٩
- ١٦١ [أو من كلامه ع في من وضع نفسه مواضع التهمه] ٤٠١
- ١٦٢ [أو من كلامه ع في استثثار من ملك على الرعيه بالمال و العز و الجاه] ٤٠٢
- ١٦٣ [أو من كلامه ع في المشوره و آثارها] ٤٠٣
- ١٦٤ [أو من كلامه ع في السر و الأمر بكتمانه] ٤٠٥
- ١٦٥ [أو من كلامه ع في الفقر و آثاره] ٤٠٧
- ١٦٦ [أو من كلامه ع في مدح من لا يقضى حقه] ٤٠٩
- ١٦٧ [أو من كلامه ع في عدم مخالفه الخالق بطاعه المخلوق] ٤١٠
- ١٦٨ [أو من كلامه ع في ما يعاب فيه المرء] ٤١١
- ١٦٩ [أو من كلامه ع في العجب] ٤١٢
- ١٧٠ [أو من كلامه ع في التذكير بالموت و سرعه زوال الدنيا] ٤١٥
- ١٧١ [أو من كلامه ع في وضوح الحق لمن له سلامه البصر] ٤١٦
- ١٧٢ [أو من كلامه ع في أن ترك الذنب ابتداء أسهل من طلب التوبه] ٤١٧
- ١٧٣ [أو من كلامه ع في لزوم الحذر من طبيبات الدنيا و لذائذها] ٤١٨
- اشاره ٤١٨
- نوادير المكثرين من الأكل ٤١٨
- ١٧٤ [أو من كلامه ع في أن الناس أعداء ما جهلوا] ٤٢٤
- ١٧٥ [أو من كلامه ع في النهى عن تضييع الفرصه في الرأى ثم محاوله الاستدراك بعد أن فات وجه الرأى] ٤٢٥
- ١٧٦ [أو من كلامه ع في إعانه الله تعالى من قوى على إزاله المنكر] ٤٢٦
- ١٧٧ [أو من كلامه ع في أن كل أمر من خير أو شر يكون سماعه أعظم من عيانه] ٤٢٧

- ١٧٨ [و من كلامه ع فى ما تتم به الرئاسة] ٤٢٨
- اشاره ٤٢٨
- سعه الصدر و ما ورد فى ذلك من حكايات ٤٢٨
- ١٧٩ [و من كلامه ع فى الرد على الإساءة بالإحسان] ٤٣١
- ١٨٠ [و من كلامه ع فى النهى عن إضمار سوء للمسلم و الإقلاع عن ارتكاب المنكر قبل النهى عنه] ٤٣٢
- ١٨١ [و من كلامه ع فى اللجاجه و آثارها] ٤٣٣
- ١٨٢ [و من كلامه ع فى الطمع و آثاره] ٤٣٤
- ١٨٣ [و من كلامه ع فى الحزم و التفريط] ٤٣٥
- ١٨٤ [و من كلامه ع فى الصبر و الجزع] ٤٣٦
- ١٨٥ [و من كلامه ع فى أن الخلافه بالصحبه و القرايه خير منها بالصحبه فقط] ٤٣٧
- فهرس الكتب ٤٣٨
- فهرس الموضوعات ٤٤٠
- تعريف مركز ٤٤١

شرح نهج البلاغه

شارح: ابن ابی الحدید، عبد الحمید بن ہبہ اللہ

گرداورنده: شریف الرضی، محمد بن حسین

نویسنده: علی بن ابی طالب (علیه السلام)، امام اول

شماره بازیابی: ۷۶۹۲-۵

پدیدآور: ابن ابی الحدید، عبد الحمید بن ہبہ اللہ، ۵۸۶ - ۶۵۵ ق.

عنوان قراردادی: نهج البلاغه. شرح

Nhjol-Balaghah. Commantries

عنوان و نام پدیدآور: شرح نهج البلاغه [نسخه خطی] ابن ابی الحدید

وضیعت کتابت: محمد طاهر ابن شیخ حسن علی ۱۰۸۳-۱۰۸۴ ق.

مشخصات ظاہری: ۳۴۵ گ [عکس ص ۶-۶۸۹]، ۳۰ سطر، اندازہ سطرها: ۱۲۰×۲۴۰؛ رادہ گذاری؛ قطع: ۲۰۰×۳۴۰

آغاز، انجام، انجامه: آغاز: الجزء الرابع عشر من شرح ابن ابی الحدید علی نهج البلاغه. بسمله. و منه الاستعانه و توفیق التتمیم.

باب المختار من کتب امیر المومنین علی علیہ السلم و رسائله الی ...

انجام:.... و من دخل ظفار حمر و النسخه التي بنی هذا الشرح علی قصها اتم نسخه وجدتها بنهج البلاغه فانها مشتمله علی

زیادات تخلو عنها اکثر النسخ... و یکف عنی عادیه الظالمین انه سمیع مجیب و حسبنا الله وحده و صلواته علی سیدنا محمد

النبی و اله و سلامه. اخر الجزء العشرين و تم به الكتاب و لله الحمد حمدا دائما لا انقضاء له و لا نفاذ.

انجامه: قد فرغ من تسویده فی ظهر یوم الثلاثاء غره شهر جمدی الاول سنه اربع و ثمانین و الف کتبه الفقیر الحقیق... ابن شیخ

حسن علی محمد طاهر غفرالله تعالی له و لوالدیه تمت.

یادداشت کلی: زبان: عربی

تاریخ تالیف: اول رجب ۶۴۴ - صفر ۶۴۹ ق.

یادداشت مشخصات ظاهری: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: فرنگی نخودی

تزیینات متن: کتیبه منقوش به زر، سیاه، آبی، قرمز با عناوین زرین در آغاز هر جلد و خطوط اسلیمی به زر در کتیبه و بالای متن در ص: نخست، ۱۱۶، ۲۲۲، ۳۱۶، ۴۰۴، ۵۰۲، ۶۰۰. عناوین، علائم و خطوط بالای برخی عبارات به سرخی. جدول دور سطرها به زر و تحریر.

نوع و تزیینات جلد: کاغذ گل دار رنگی، مقوایی، اندرون کاغذ

خصوصیات سند موجود: توضیحات صحافی: صحافی مرمت شده است.

حواشی اوراق: اندکی حاشیه با نشان "صح، ق" دارد.

یادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی با نشان "محمدباقر"، دو مهر چهار گوش ناخوانا در بسیاری از اوراق در میان متن زده شده است.

توضیحات سند: نسخه بررسی شده. جداشدگی شیرازه، رطوبت، لکه، آفت زدگی، وصالی. بین فرازهای متفاوت، برگ های نانوشته و عناوین نانوشته دارد.

منابع، نمایه ها، چکیده ها: ملی ۸: ۷۵، ۱۵: ۱۱۱، ۴: ۳۶۰؛ الذریعه ۱۰: ۲۱۰، ۱۴: ۲۵۵؛ دایره المعارف بزرگ اسلامی ۲: ۶۲۰.

معرفی سند: شرح ابن ابی الحدید به دلایل متعددی اهمیت دارد اول تبصر شارح بر ادبیات عرب، تاریخ فقه و کلام؛ دیگر این که وی نخستین شارح غیر شیعی نهج البلاغه است. اهمیت دیگر این شرح در گزارش های مفصل تاریخی است شارح در تدوین این گزارش ها علاوه منابع مشهوری چون اغانی ابی الفرج اصفهانی، سیره ابن هشام و تاریخ طبری، از برخی منابع نادر استفاده کرده که امروزه از میان رفته یا در دسترس قرار ندارند. شارح در نقل حوادث تاریخی به گونه ای مبسوط عمل می کند که می توان تاریخ ابن ابی الحدید را از شرح نهج البلاغه وی به عنوان کتابی مستقل استخراج نمود هر چند در پاره ای موارد هم اشاره ای به حوادث تاریخی نمی کند. این شرح مورد نقد دانشمندان شیعی قرار گرفته از جمله نقد احمد بن طاوس با نام "الروح فی نقض ما برمه ابن ابی الحدید"، شیخ یوسف بحرانی با نام "سلاسل الحدید لتقید ابن ابی الحدید"، مصطفی بن محمد امین با نام "سلاسل الحدید فی رد ابن ابی الحدید"، شیخ علی بن حسن بلاذری بحرانی با نام "الرد علی ابن ابی الحدید"، شیخ عبدالنبی عراقی با نام "الشهاب العتید علی شرح ابن ابی الحدید"، شیخ طالب حیدر با نام "الرد علی ابن ابی الحدید". ابن ابی الحدید این اثر را در بیست جزء و به نام ابن علقمی وزیری تألیف کرد. او در پایان کتاب خود می نویسد تدوین این اثر چهار سال و هشت ماه طول کشید که برابر است با مدت خلافت حضرت علی علیه السلام. ترجمه های فارسی این شرح از جمله عبارتند از شمس الدین محمد بن مراد از دانشمندان عصر صفوی، ترجمه ای دیگر با نام "مظهر البینات؛ اثر نصرالله تراب بن فتح الله دزفولی؛ نسخه حاضر شامل: جلد: ۱۴: صفحه (۶-۱۰۹)، جلد ۱۵: (۱۱۶-۲۱۸)، جلد ۱۶: (۲۲۲-۳۱۳)،

جلد ۱۷: (۳۱۶-۴۰۰)، جلد ۱۸: (۴۰۴-۵۰۰)، جلد ۱۹: (۵۰۲-۵۹۷)، جلد ۲۰: (۶۰۰-۶۸۹). مطالب باعناوین الشرح ، الاصل بیان شده است. برای توضیح بیشتر به شماره بازیابی ۴۸۳۶-۵ در فهرست همین کتابخانه بنگرید.

شناسه افزوده : محمدطاهر بن حسن علی، قرن ۱۱ق.، کاتب

شناسه افزوده : عاطفی، فروشنده

دسترسی و محمول الکترونیکی : <http://dl.nlai.ir/UI/c۴۱۲c۵۱b-c۴b۸-۴e۰۹-۹۴۲b-۸cb۶۴۴۸۲۴۲e۲/Catalogue.aspx>

ص : ۱

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل (١)

٤٤٩٣

١٤- قال الواقدي و هرب هبيرة بن أبى وهب و عبد الله بن الزبيرى جميعا حتى انتهيا إلى نجران فلم يأمنوا الخوف حتى دخلا حصن نجران فقبل ما شأنكما قالأ أما قريش فقد قتلت و دخل محمد مكة و نحن و الله نرى أن محمدا سائر إلى حصنكم هذا فجعلت بلحارث بن كعب يصلحون ما رث من حصنهم و جمعوا ماشيتهم فأرسل حسان بن ثابت إلى ابن الزبيرى لا تعد من رجلا أحلك بغضه

فلما جاء ابن الزبيرى شعر حسان تهيأ للخروج فقال هبيرة بن وهب أين تريد يا ابن عم قال له أريد و الله محمدا قال أ تريد أن تتبعه قال إى و الله قال هبيرة يا ليت أنى كنت رافقت غيرك و الله ما ظننت أنك تتبع محمدا أبدا قال ابن الزبيرى هو ذاك فعلى أى شىء أقيم مع بنى الحارث بن كعب و أترك ابن عمى و خير الناس و أبرهم و بين قومى و دارى فانحدر ابن الزبيرى حتى جاء رسول الله ص

ص: ٧

و هو جالس فى أصحابه فلما نظر إليه قال هذا ابن الزبيرى و معه وجه فيه نور الإسلام فلما وقف على رسول الله ص قال السلام عليك يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله و أنك عبده و رسوله و الحمد لله الذى هدانى للإسلام لقد عاديتك و أجلبت عليك و ركبت الفرس و البعير و مشيت على قدمى فى عداوتك ثم هربت منك إلى نجران و أنا أريد ألا أقرب الإسلام أبدا ثم أرادنى الله منه بخير فألقاه فى قلبى و حبه إلى و ذكرت ما كنت فيه من الضلال و اتباع ما لا ينفع ذا عقل من حجر يعبد و يذبح له لا يدرى من عبده و من لا يعبد فقال رسول الله ص الحمد لله الذى هداك للإسلام احمد الله إن الإسلام يجب ما كان قبله و أقام هيبه بنجران و أسلمت أم هانئ فقال هيبه حين بلغه إسلامها يوم الفتح يؤنبها شعرا من جملته (١) و إن كنت قد تابعت دين محمد فأقام بنجران حتى مات مشركا.

قال الواقدى و هرب حويطب بن عبد العزى فدخل حائطا (٢) بمكه و جاء أبو ذر لحاجته فدخل الحائط فرآه فهرب حويطب فقال أبو ذر تعال فأنت آمن فرجع إليه فقال أنت آمن فاذهب حيث شئت و إن شئت أدخلتك على رسول الله ص و إن شئت فألى منزلك قال و هل من سبيل إلى منزلى ألقى فأقتل قبل أن أصل إلى منزلى

ص: ٨

١- ١) من قصيده له فى ابن هشام ٤:٤٢؛ و أولها: أ شأقتك هند أم أتاك سؤالها كذاك التوى أسبابها و انفتالها.

٢- ٢) ابن هشام: «و عطفت الأرحام منك حبالها».

أو يدخل على منزلي فأقتل قال فأنا أبلغ معك منزلتك فبلغ معه منزله ثم جعل ينادى على بابه أن حويطبا آمن فلا يهيج ثم انصرف إلى رسول الله ص فأخبره فقال أ و ليس قد آمننا الناس كلهم إلا من أمرت بقتله.

قال الواقدي و هرب عكرمه بن أبي جهل إلى اليمن حتى ركب البحر قال و جاءت زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام إلى رسول الله ص فى نسوة منهن هند بنت عتبة و قد كان رسول الله ص أمر بقتلها و البغوم (1) بنت المعدل الكنانية امرأة صفوان بن أمية و فاطمه بنت الوليد بن المغيرة امرأة الحارث بن هشام و هند بنت عتبة بن الحجاج أم عبد الله بن عمرو بن العاص و رسول الله ص بالأبطح فأسلمن و لما دخلن عليه دخلن و عنده زوجته و ابنته فاطمه و نساء من نساء بنى عبد المطلب و سألن أن يبايعهن فقال إنى لا أصافح النساء و يقال إنه وضع على يده ثوبا فمسحن عليه و يقال كان يؤتى بقدر من ماء فيدخل يده فيه ثم يرفعه إليهن فيدخلن أيديهن فيه فقالت أم حكيم امرأة عكرمه يا رسول الله إن عكرمه هرب منك إلى اليمن خاف أن تقتله فأمنه فقال هو آمن فخرجت أم حكيم فى طلبه و معها غلام لها رومى فراودها عن نفسها فجعلت تمنيه حتى قدمت به على حى فاستغاثت بهم عليه فأوثقوه رباطا و أدركت عكرمه و قد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة فركب البحر فهاج بهم فجعل نوتى السفينه يقول له أن أخلص قال أى شىء أقول قال قل لا إله إلا الله قال عكرمه ما هربت إلا من هذا فجاءت أم حكيم على هذا من الأمر فجعلت تلح عليه و تقول يا ابن عم جئتك من عند خير الناس و أوصل الناس و أبر الناس لا تهلك نفسك فوقف لها حتى أدركته فقالت إنى قد استأمنت لك رسول الله ص فأمنك قال

ص: ٩

١ - ١) ا، ب: «البغوم». د: «النعموم»، تحريف، و الصواب ما أثبتته، و انظر القاموس.

أنت فعلت قالت نعم أنا كلمته فأمنك فرجع معها فقالت ما لقيت من غلامك الرومى و أخبرته خبره فقتله عكرمه فلما دنا من مكة قال رسول الله ص لأصحابه يأتىكم عكرمه بن أبى جهل مؤمنا فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذى الحى و لا يبلغ الميت فلما وصل عكرمه و دخل على رسول الله ص و ثب إليه ص و ليس عليه رداء فرحا به ثم جلس فوق عكرمه بين يديه و معه زوجته منقبه فقال يا محمد إن هذه أخبرتنى أنك أمتنى فقال صدقت أنت آمن فقال عكرمه فإلام تدعو فقال إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله و أنى رسول الله و أن تقيم الصلاة و تؤتى الزكاه و عد خصال الإسلام فقال عكرمه ما دعوت إلا إلى حق و إلى حسن جميل و لقد كنت فينا من قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه و أنت أصدقنا حديثا و أعظمنا برا ثم قال فإنى أشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله فقال رسول الله ص لا- تسألنى اليوم شيئا أعطيه أحدا إلا أعطيتكه قال فإنى أسألك أن تغفر لى كل عداوه عاديتكها أو مسير أوضعت فيه أو مقام لقيتك فيه أو كلام قلته فى وجهك أو أنت غائب عنه فقال اللهم اغفر له كل عداوه عادانيها و كل مسير سار فيه إلى يريد بذلك إطفاء نورك و اغفر له ما نال منى و من عرضى فى وجهى أو أنا غائب عنه فقال عكرمه رضيت بذلك يا رسول الله ثم قال أما و الله لا أدع نفقه كنت أنفقها فى صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها فى سبيل الإسلام و فى سبيل الله و لأجتهدن فى القتال بين يديك حتى أقتل شهيدا قال فرد عليه رسول الله ص امرأته بذلك النكاح الأول.

قال الواقدي و أما صفوان بن أميه فهرب حتى أتى الشعبة و جعل يقول لغلامه

يسار و ليس معه غيره ويحك انظر من ترى فقال هذا عمير بن وهب قال صفوان ما أصنع بعمير و الله ما جاء إلا يريد قتلى قد ظاهر محمدا على فلحقه فقال صفوان يا عمير ما لك ما كفاك ما صنعت حملتني دينك و عيالک ثم جئت تريد قتلى فقال يا أبا وهب جعلت فداك جئتک من عند خير الناس و أبر الناس و أوصل الناس و قد كان عمير قال لرسول الله ص يا رسول الله سيد قومی صفوان بن أمیه خرج هاربا ليقذف نفسه في البحر خاف ألا تؤمنه فأمنه فداك أبي و أمی فقال قد أمنتہ فخرج في أثره فقال إن رسول الله ص قد أمنک صفوان لا و الله حتى تأتيني بعلامه أعرفها فرجع إلى رسول الله ص فأخبره و قال يا رسول الله جئته و هو يريد أن يقتل نفسه فقال لا أرجع إلا بعلامه أعرفها فقال خذ عمامتي فرجع عمير إليه بعمامه رسول الله ص و هي البرد الذي دخل فيه رسول الله ص مکه معتجرا به برد حبره أحمر فخرج عمير في طلبه الثانيه (1) حتى جاءه بالبرد فقال يا أبا وهب جئتک من عند خير الناس و أوصل الناس و أبر الناس و أحلم الناس مجده مجدک و عزه عزک و ملکه ملکک ابن أبيک و أمک أذکرک الله في نفسك فقال أخاف أن أقتل قال فإنه دعاك إلى الإسلام فإن رضيت و إلا سيرک شهرين فهو أوفى الناس و أبرهم و قد بعث إليك بيرده الذي دخل به معتجرا أ تعرفه قال نعم فأخرجه فقال نعم هو هو فرجع صفوان حتى انتهى إلى رسول الله ص فوجده يصلى العصر بالناس فقال كم يصلون قالوا خمس صلوات في اليوم و الليله قال أ محمد يصلى بهم قالوا نعم فلما سلم من صلاته صاح صفوان يا محمد إن عمير

ص: ١١

١-١) ا،ب: «ثابته»؛ و أثبت ما في د.

بن وهب جاءني ببردك و زعم أنك دعوتني إلى القدوم إليك فإن رضيت أمرا و إلا سيرتني شهرين فقال رسول الله ص انزل أبا وهب فقال لا- و الله أو تبين لي قال بل سر أربعة أشهر فنزل صفوان و خرج معه إلى حنين و هو كافر و أرسل إليه يستعير أدراعه و كانت مائه درع فقال أطوعا أم كرها فقال ع بل طوعا عاربه مؤداه فأعاره إياها ثم أعادها إليه بعد انقضاء حنين و الطائف فلما كان رسول الله ص بالجعرانه يسير في غنائم هوازن ينظر إليها فنظر صفوان إلى شعب هناك مملوء نعماء و شاء ورعاء فأدام النظر إليه و رسول الله ص يرمقه فقال أبا وهب يعجبك هذا الشعب قال نعم قال هو لك و ما فيه فقال صفوان ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي أشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله ص .

قال الواقدي فأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فكان قد أسلم و كان يكتب لرسول الله ص الوحي فربما أملى عليه رسول الله ص سَمِيعٌ عَلِيمٌ فيكتب عزيز حكيم و نحو ذلك و يقرأ على رسول الله ص فيقول كذلك الله و يقرأ فافتتن و قال و الله ما يدرى ما يقول إنى لأكتب له ما شئت فلا ينكر و إنه ليوحي إلى كما يوحي إلى محمد و خرج هاربا من المدينة إلى مكة مرتدا فأهدر رسول الله ص دمه و أمر بقتله يوم الفتح فلما كان يومئذ جاء إلى عثمان و كان أخاه من الرضاعة فقال يا أخى إنى قد أجزتكم فاحتبسنى هاهنا و اذهب إلى محمد فكلمه فى فإن محمدا إن رآنى ضرب عنقى أن جرمى أعظم الجرم و قد جئت تائبا فقال عثمان قم فاذهب معى إليه قال كلا- و الله إنه إن رآنى ضرب عنقى و لم يناظرنى قد أهدر دمي و أصحابه يطلبوننى فى كل موضع فقال عثمان انطلق معى فإنه لا يقتلك إن شاء الله فلم يرع رسول الله ص إلا بعثمان

آخذاً بيد عبد الله بن سعد واقفين بين يديه فقال عثمان يا رسول الله هذا أخى من الرضاعة إن أمه كانت تحملنى و تمشييه و ترضعنى و تظمه و تطفنى و تتركه فهبه لى فأعرض رسول الله ص عنه و جعل عثمان كلما أعرض رسول الله عنه استقبله بوجهه و أعاد عليه هذا الكلام و إنما أعرض ع عنه إرادته لأن يقوم رجل فيضرب عنقه فلما رأى ألا يقوم أحد و عثمان قد انكب عليه يقبل رأسه و يقول يا رسول الله بايعه فداك أبى و أمى على الإسلام فقال رسول الله ص نعم فبايعه.

قال الواقدى قال رسول الله ص بعد ذلك للمسلمين ما منعكم أن يقوم منكم واحد إلى هذا الكلب فيقتله أو قال الفاسق فقال عباد بن بشر و الذى بعثك بالحق إنى لأتبع طرفك من كل ناحيه رجاء أن تشير إلى فأضرب عنقه و يقال إن أبا البشير هو الذى قال هذا و يقال بل قاله عمر بن الخطاب فقال ع إنى لا أقتل بالإشاره و قيل إنه قال إن النبى لا يكون له خائنه الأعين.

قال الواقدى فجعل عبد الله بن سعد يفر من رسول الله ص كلما رآه فقال له عثمان بأبى أنت و أمى لو ترى ابن أم عبد يفر منك كلما رآك فتبسم رسول الله ص فقال أ و لم أبايعه و أومنه قال بلى و لكنه يتذكر عظم جرمه فى الإسلام فقال إن الإسلام يجب ما قبله

٤٤٩٤

١٤,١- قال الواقدى و أما الحويرث بن معبد و هو من ولد قصى بن كلاب فإنه كان يؤذى رسول الله ص بمكه فأهدر دمه فيبينما هو فى منزله يوم الفتح و قد أغلق عليه بابه جاء على ع يسأل عنه فقيل له هو فى البادية و أخير الحويرث أنه جاء يطلبه و تنحى على ع عن بابه فخرج الحويرث يريد أن

ص: ١٣

٤٤٩٥

١٤- قال الواقدي و أما هبار بن الأسود فقد كان رسول الله ص أمر أن يحرقه بالنار ثم قال إنما يعذب بالنار رب النار اقطعوا يديه و رجله إن قدرتم عليه ثم اقتلوه و كان جرمه أن نخس زينب بنت رسول الله ص لما هاجرت و ضرب ظهرها بالرمح و هي حبلى فأسقطت فلم يقدر المسلمون عليه يوم الفتح فلما رجع رسول الله ص إلى المدينة طلع هبار بن الأسود قائلاً أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله فقبل النبي ص إسلامه فخرجت سلمى مولاة النبي ص فقالت لا أنعم الله بك عينا أنت الذي فعلت و فعلت فقال رسول الله ص و هبار يعتذر إليه أن الإسلام محا ذلك و نهى عن التعرض له

٤٤٩٦

١٤- قال الواقدي قال ابن عباس رضى الله عنه رأيت رسول الله ص و هبار يعتذر إليه و هو يطأطئ رأسه استحياء مما يعتذر هبار و يقول له قد عفوت عنك .

٤٤٩٧

١٤- قال الواقدي و أما ابن خطل فإنه خرج حتى دخل بين أستار الكعبة فأخرجه أبو برزة الأسلمي منها فضرب عنقه بين الركن و المقام و يقال بل قتله عمار بن ياسر و قيل سعد بن حريث المخزومي و قيل شريك بن عبده العجلاني و الأثبت أنه أبو برزة قال و كان جرمه أنه أسلم و هاجر إلى المدينة و بعثه رسول الله ص ساعياً (١) و بعث معه رجلاً من خزاعه فقتله و ساق ما أخذ من مال الصدقة و رجع إلى مكة فقالت له قريش ما جاء بك قال لم أجد ديناً خيراً من دينكم و كانت له قينتان إحداهما قريني و الأخرى قرينه أو أرنب و كان ابن خطل يقول

ص: ١٤

الشعر يهجو به رسول الله ص و يغنيان به و يدخل عليه المشركون بيته فيشربون عنده الخمر و يسمعون الغناء بهجاء رسول الله ص

٤٤٩٨

١٤- قال الواقدي و أما مقيس بن صبابه فإن أمه سهميه و كان يوم الفتح عند أخواله بنى سهم فاصطبح الخمر ذلك اليوم فى ندامى له و خرج ثملا يتغنى و يتمثل بأبيات منها دعينى أصطبح يا بكر إنى

فلقيه نميله بن عبد الله الليثى و هو من رهطه فضربه بالسيف حتى قتله فقالت أخته ترثيه لعمرى لقد أخزى نميله رهطه و كان جرم مقيس من قبل أن أخاه هاشم بن صبابه أسلم و شهد المريسيع مع رسول الله ص فقتله رجل من رهط عباده بن الصامت و قيل من بنى عمرو بن عوف و هو لا- يعرفه فظنه من المشركين ففضى له رسول الله ص بالديه على العاقله فقدم مقيس أخوه المدينة فأخذ ديته و أسلم ثم عدا على قاتل أخيه فقتله و هرب مرتدا كافرا يهجو رسول الله ص بالشعر فأهدر دمه

ص: ١٥

١٤- قال الواقدي فأما ساره مولاه بنى هاشم و كانت مغنيه نواحه بمكه و كانت قد قدمت على رسول الله ص المدينه تطلب أن يصلها و شكت إليه الحاجه و ذلك بعد بدر و أحد فقال لها أ ما كان لك في غنائك و نياحك ما يغنيك قالت يا محمد إن قريشا منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا استماع الغناء فوصلها رسول الله ص و أقر لها بعيرا طعاما فرجعت إلى قريش و هي على دينها و كانت يلقي عليها هجاء رسول الله ص فتغنى به فأمر بها رسول الله ص يوم الفتح أن تقتل فقتلت و أما قينتا ابن خطل فقتل يوم الفتح إحدهما و هي أرنب أو قرينه و أما قريني فاستؤمن لها رسول الله ص فأمنها و عاشت حتى ماتت في أيام عثمان

٤٥٠٠

١٤- قال الواقدي و قد روى أن رسول الله ص أمر بقتل وحشى يوم الفتح فهرب إلى الطائف فلم يزل بها مقيما حتى قدم مع وفد الطائف على رسول الله ص فدخل عليه فقال أشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله فقال أ وحشى قال نعم قال اجلس و حدثني كيف قتلت حمزه فلما أخبره قال قم و غيب عنى وجهك فكان إذا رآه توارى عنه

٤٥٠١

قال الواقدي و حدثني ابن أبي ذئب و معمر عن الزهري عن أبي سلمه بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي عمرو بن عدى بن أبي الحمراء قال سمعت رسول الله ص يقول بعد فراغه من أمر الفتح و هو يريد الخروج من مكه أما و الله إنك لخير أرض الله و أحب بلاد الله إلى و لو لا أن أهلك أخرجوني ما خرجت.

٤٥٠٢

١٤- و زاد محمد بن إسحاق في كتاب المغازي أن هند بنت عتبة جاءت إلى رسول الله ص

ص: ١٦

مع نساء قريش متنكره متنقبه لحدثها الذي كان في الإسلام و ما صنعت بحمزه حين جدعته و بقرت بطنه عن كبده فهي تخاف أن يأخذها رسول الله ص بحدثها ذلك فلما دنت منه و قال حين بايعنه علي أن لا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا قَلْنَ نَعَمْ قَالَ وَ لَا يَسْرِقَنَّ فَقَالَتْ هِنْدُ وَ اللَّهُ أَنَا كُنْتُ لِأَصِيبَ مِنْ مَالِ أَبِي سَفِيَانَ الْهِنَةَ وَ الْهِنِيهَةَ فَمَا أَعْلَمُ أَحْلَالَ ذَلِكَ أَمْ لَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ إِنَّكَ لَهِنْدٌ قَالَتْ نَعَمْ أَنَا هِنْدٌ وَ أَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ فَاعْفُ عَمَّا سَلَفَ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ لَا يَزْنِيَنَّ فَقَالَتْ هِنْدٌ وَ هَلْ تَزْنِي الْحَرَّةَ فَقَالَ لَا وَ لَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ فَقَالَتْ هِنْدٌ قَدْ لَعِمْرَى رِيبِنَاهُمْ صَغَارًا وَ قَتَلْتَهُمْ كِبَارًا بِيَدِي فَأَنْتَ وَ هُمُ أَعْرَفُ فَضَحِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ قَوْلِهَا حَتَّى أَسْفَرَتْ نَوَاجِدَهُ قَالَ وَ لَا يَأْتِيَنَّ بِيَهْتَانٍ [يَفْتَرِيْنَهُ]

(١) فقالت هند إن إتيان البهتان لقيح فقال و لا يعصينك في معروف فقالت ما جلسنا هذه الجلسة و نحن نريد أن نعصيك

٤٥٠٣

قال محمد بن إسحاق و من جيد شعر عبد الله بن الزبيري الذي اعتذر به إلى رسول الله ص حين قدم عليه منع الرقاد بلابل و هموم

ص: ١٧

(١ - ١) من د.

إني لمعتذر إليك من الذي

٤٥٠٤

١٤- قال الواقدي و في يوم الفتح سمى رسول الله ص أهل مكة الذين دخلها عليهم الطلقاء لمنه عليهم بعد أن أظفره الله بهم فصاروا أرقاء له و قد قيل له يوم الفتح قد أمكنك الله تعالى فخذ ما شئت من أقمار على غصون يعنون النساء فقال ع يأبى ذلك إطعامهم الضيف و إكرامهم البيت و وجؤهم مناحر الهدى

ثم نعود إلى تفسير ما بقى من ألفاظ الفصل (١) قوله فإن كان فيك عجل فاسترفه

ص: ١٨

١-١) أسديت: صنعت.

أى كن ذا رفاهيه و لا- ترهقن نفسك بالعجل فلا بد من لقاء بعضنا بعضا فأى حاجه بك إلى أن تعجل ثم فسر ذلك فقال إن أزرک فى بلادک أى إن غزوتک فى بلادک فخلق أن يكون الله بعثنى للانتقام منك و إن زرتنى أى إن غزوتنى فى بلادى و أقبلت بجموعک إلى.

کنتم كما قال أخو بنى (١) أسد كنت أسمع قديما أن هذا البيت من شعر بشر بن أبى خازم الأسدى و الآن فقد تصفحت شعره فلم أجده و لا وقفت بعد على قائله و إن وقفت فيما يستقبل من الزمان عليه ألحقته.

و ریح حاصب تحمل الحصباء و هى صغار الحصى و إذا كانت بين أغوار و هى ما سفلى من الأرض و كانت مع ذلك ریح صيف كانت أعظم مشقه و أشد ضررا على من تلاقيه و جلمود يمكن أن يكون عطا على حاصب و يمكن أن يكون عطا على أغوار أى بين غور من الأرض و حره و ذلك أشد لأذاها لما تكسبه الحره من لفتح السموم و وهجها و الوجه الأول أليق .

و أعضضته أى جعلته معوضا برءوس أهلك و أكثر ما يأتى أفعلته أن تجعله فاعلا- و هى هاهنا من المقلوب أى أعضضت رءوس أهلك به كقوله قد قطع الجبل بالمروء.

و جده عتبه بن ربيعه و خاله الوليد بن عتبه و أخوه حنظله بن أبى سفيان قتلهم على ع يوم بدر .

و الأغلف القلب الذى لا بصيره له كأن قلبه فى غلاف قال تعالى وَ قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ (٢) .

ص: ١٩

١-١) و هو قوله: مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين أغوار و جلمود.

٢-٢) سورة البقره ٨٨.

و المقارب العقل بالكسر الذى ليس عقله بجيد و العامه تقول فيما هذا شأنه مقارب بفتح الراء .

ثم قال الأولى أن يقال هذه الكلمه لك.

و نشدت الضاله طلبتها و أنشدتها عرفتها أى طلبت ما ليس لك.

و السائمه المال الراعى و الكلام خارج مخرج الاستعاره.

فإن قلت كل هذا الكلام يطابق بعضه بعضا إلا قوله فما أبعد قولك من فعلك و كيف استبعد ع ذلك و لا بعد بينهما لأنه يطلب الخلافه قولاً و فعلاً فأى بعد بين قوله و فعله.

قلت لأن فعله البغى و الخروج على الإمام الذى ثبتت إمامته و صحت و تفريق جماعه المسلمين و شق العصا هذا مع الأمور التى كانت تظهر عليه و تقتضى الفسق من لبس الحرير و المنسوج بالذهب و ما كان يتعاطاه فى حياه عثمان من المنكرات التى لم تثبت توبته منها فهذا فعله.

و أما قوله فزعمه (١) أنه أمير المؤمنين و خليفه المسلمين و هذا القول بعيد من ذلك الفعل جدا .

و ما فى قوله و قريب ما أشبهت مصدره أى و قريب شبهك بأعمام و أخوال و قد ذكرنا من قتل من بنى أميه فى حروب رسول الله ص فيما تقدم و إليهم الإشاره بالأعمام و الأخوال لأن أخوال معاويه من بنى عبد شمس كما أن أعمامه من بنى عبد شمس .

قوله و لم تماشها الهوينى أى لم تصحبها يصفها بالسرعه و المضى فى الرءوس الأعناق

ص : ٢٠

و أما قوله ادخل فيما دخل فيه الناس و حاكم القوم فهى الحجة التى يحتج بها أصحابنا له فى أنه لم يسلم قتله عثمان إلى معاوية و هى حجة صحيحة لأن الإمام يجب أن يطاع ثم يتحاكم إليه أولياء الدم و المتهمون فإن حكم بالحق استديمت حكومته و إلا فسق و بطلت [إمامته (١)]

قوله فأما تلك التى تريدها قيل إنه يريد (٢) التعلق بهذه الشبهة و هى قتله عثمان و قيل أراد به ما كان معاوية يكرر طلبه من أمير المؤمنين ع و هو أن يقره على الشام وحده و لا- يكلفه البيعة قال إن ذلك كمخادعه الصبى فى أول فطامه عن اللبن بما تصنعه النساء له مما يكره إليه الثدى و يسليه عنه و يرغبه فى التعوض بغيره و كتاب معاوية الذى ذكرناه لم يتضمن حديث الشام

ص: ٢١

١-١) من د.

٢-٢) فى د يعنى (١).

أَمَا بَعْدُ فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَتَنَفَّعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الْأُمُورِ [فَلَقَدْ]

فَقَدْ سَلَكَتْ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِادِّعَائِكَ الْأَبَاطِيلَ وَ اقْتِحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَ الْأَكَاذِيبِ [مِنْ ائْتِحَالِكَ]

وَ بِائْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ وَ ائْتِزَاكَ لِمَا قَدْ اخْتَزَنَ دُونَكَ فِرَارًا مِنَ الْحَقِّ وَ جُحُودًا لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَ دَمِكَ مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ وَ مَلِئَ بِهِ صَدْرُكَ فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ وَ بَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ فَاخْذَرِ الشُّبُهَةَ وَ اشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسِيَّتِهَا فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالِمًا أَعْدَفَتْ جَلَابِيْبَهَا وَ *أَعَشَتْ الْأَبْصَارَ ظَلَمَتُهَا وَ قَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ الْقَوْلِ ضَمَعَتْ قُوَاهَا عَنِ السَّلْمِ وَ أَسَاطِيرَ لَمْ يَحْكُمَهَا [عُنْكَ]

مِنْكَ عِلْمٌ وَ لَا حِلْمٌ أَصِيبَتْ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ وَ الْخَابِطِ فِي الدِّيِمَاسِ وَ تَرَقَّيْتَ إِلَى مَرْقَبِهِ بَعِيدِهِ الْمَرَامِ نَارِحِهِ الْأَعْلَامِ تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَنْوُقُ وَ يُحَادِثُ بِهَا الْعُيُوقُ وَ حَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ [مِنْ]

بَعِيدِي صَيْدْرًا أَوْ وَرْدًا أَوْ أُجْرِي لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْدًا أَوْ عَهْدًا فَمِنَ الْآنِ فَتَدَارِكُ نَفْسَكَ وَ انْظُرْ لَهَا فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللَّهِ أُرْتَجَتْ عَلَيْكَ الْأُمُورُ وَ مُنِعَتْ أَمْرًا هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ وَ السَّلَامُ .

و أنى لك بمعنى أى قرب و حان تقول آن لك أن تفعل كذا يئين أينا و قال ألم يأن أن لى تجل عنى عمايتى و أقصر عن لىلى بلى قد أنى ليا فجمع بين اللغتين و أنى مقلوبه عن آن و مما يجرى مجرى المثل قولهم لمن يرونه شيئا شديدا يبصره و لا يشك فيه قد رأيت له لمحا باصرا قالوا أى نظرا بتحديد شديد و مخرجه مخرج رجل لابن و تامر أى ذو لبن و تمر فمعنى باصر ذو بصر يقول ع لمعاويه قد حان لك أن تنتفع بما تعلمه من معاينه الأمور و الأحوال و تتحققه يقينا بقلبك كما يتحقق ذو الملح الباصر ما يبصره بحاسه بصره و أراد ببيان الأمور هاهنا معاينتها و هو ما يعرفه ضروره من استحقاق على ع للخلافه دونه و براءته من كل شبهه ينسبها إليه.

ثم قال له فقد سلكت أى اتبعت طرائق أبى سفيان أبيك و عتبه جدك و أمثالهما من أهلك ذوى الكفر و الشقاق.

و الأباطيل جمع باطل على غير قياس كأنهم جمعوا إبطيلا.

و الاقتحام إلقاء النفس فى الأمر من غير رويه.

و المين الكذب و الغرور بالضم المصدر و بالفتح الاسم.

و انتحلت القصيده أى ادعيتها كذبا.

قال ما قد علا عنك أى أنت دون الخلافه و لست من أهلها و الابتزاز الاستلاب.

قال لما قد اخترن دونك يعنى التسمى بإمره المؤمنين.

ثم قال فرارا من الحق أى فعلت ذلك كله هربا من التمسك بالحق و الدين و حبا للكفر و الشقاق و التغلب.

قال و جحودا لما هو أُلزم يعنى فرض طاعه على ع لأنه قد وعاها سمعه لا ريب فى ذلك إما بالنص فى أيام رسول الله ص كما تذكره الشيعة فقد كان معاويه حاضرا يوم الغدير لأنه حج معهم حجه الوداع و قد كان أيضا حاضرا يوم تبوك حين

٤٥٠٥

قال له بمحضر من الناس كافة أنت منى بمنزله هارون من موسى .

و قد سمع غير ذلك و أما بالبيعه كما نذكره نحن فإنه قد اتصل به خيرها و تواتر عنده وقوعها فصار وقوعها عنده معلوما بالضروره كعلمه بأن فى الدنيا بلدا اسمها مصر و إن كان ما رآها.

و الظاهر من كلام أمير المؤمنين ع أنه يريد المعنى الأول و نحن نخرجه على وجه لا يلزم منه ما تقوله الشيعة فنقول لنفرض أن النبى ص ما نص عليه بالخلافه بعده أ ليس يعلم معاويه و غيره من الصحابه أنه لو

٤٥٠٦

قال له فى ألف مقام أنا حرب لمن حاربت و سلم لمن سالمت.

و نحو ذلك من

٤٥٠٧

قوله

اللهم عاد من عاداه و وال من والاه .

٤٥٠٨

و قوله حربك حربى و سلمك سلمى.

٤٥٠٩

و قوله أنت مع الحق و الحق معك.

٤٥١٠

و قوله هذا منى و أنا منه.

٤٥١١

و قوله هذا أخى.

٤٥١٢

و قوله يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله .

٤٥١٣

و قوله

اللهم ائتني بأحب خلقك إليك .

٤٥١٤

و قوله إنه ولى كل مؤمن [و مؤمنه (١)]

بعدى.

٤٥١٥

و قوله فى كلام قاله خاصف النعل.

٤٥١٦

و قوله لا يحبه إلا مؤمن و لا يبغضه إلا منافق.

٤٥١٧

و قوله إن الجنة لتشتاق إلى أربعه و جعله أولهم.

٤٥١٨

و قوله لعمار تقتلك الفئة الباغية.

٤٥١٩

و قوله ستقاتل الناكثين و القاسطين

ص: ٢٤

١-١) من د.

و المارقين بعدى.

إلى غير ذلك مما يطول تعداده جدا و يحتاج إلى كتاب مفرد يوضع له أ فما كان ينبغي لمعاويه أن يفكر فى هذا و يتأمله و يخشى الله و يتقيه فلعله ع إلى هذا أشار بقوله و جحودا لما هو ألزم لك من لحمك و دمك مما قد وعاه سمعك و ملئ به صدرك .

قوله ﴿مَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ (١) كلمه من الكلام الإلهى المقدس.

قال و بعد البيان إلا اللبس يقال لبست عليه الأمر لبسا أى خلطته و المضارع يلبس بالكسر .

قال فاحذر الشبهه و اشتمالها على اللبسه بالضم يقال فى الأمر لبسه أى اشتباه و ليس بواضح و يجوز أن يكون اشتمال مصدرا مضافا إلى معاويه أى احذر الشبهه و احذر اشتمالك إياها على اللبسه أى ادراعك بها و تقمصك بها على ما فيها من الإبهام و الاشتباه و يجوز أن يكون مصدرا مضافا إلى ضمير الشبهه فقط أى احذر الشبهه و احتواءها على اللبسه التى فيها.

و تقول أغدفت المرأه قناعها أى أرسلته على وجهها و أغدفت الليل أى أرخى سدوله و أصل الكلمه التغطيه.

و الجلايب جمع جلاب و هو الثوب.

قال و أعشت الأبصار ظلمتها أى أكسبتها العشى و هو ظلمه العين و روى و أغشت بالغين المعجمه ظلمتها بالنصب أى جعلت الفتته ظلمتها غشاء للأبصار .

و الأفانين الأساليب المختلفه.

قوله ضعفت قواها عن السلم أى عن الإسلام أى لا تصدر تلك الأفانين

ص: ٢٥

المختلطه عن مسلم و كان كتب إليه يطلب منه أن يفرده بالشام و أن يوليه العهد من بعده و ألا يكلفه الحضور عنده و قرأ أبو عمرو أُذْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّهُ (١) و قال ليس المعنى بهذا الصلح بل الإسلام و الإيمان لا غير و معنى ضعفت قواها أى ليس لتلك الطلبات و الدعاوى و الشبهات التى تضمنها كتابك من القوه ما يقتضى أن يكون المتمسك به مسلماً لأنه كلام لا يقوله إلا من هو إما كافر منافق أو فاسق و الكافر ليس بمسلم و الفاسق أيضاً ليس بمسلم على قول أصحابنا و لا كافر.

ثم قال و أساطير لم يحكها منك علم و لا حلم الأساطير الأباطيل واحداها أسطوره بالضم و إسطاره بالكسر و الألف و حوك الكلام صنعته و نظمه و الحلم العقل يقول له ما صدر هذا الكلام و الهجر الفاسد عن عالم و لا عاقل .

و من رواها الدهاس بالكسر فهو جمع دهس و من قرأها بالفتح فهو مفرد يقول هذا دهس و دهاس بالفتح مثل لبث و لبث للمكان السهل الذى لا يبلغ أن يكون رملا و ليس هو بتراب و لا طين.

و الديماس بالكسر السرب المظلم تحت الأرض و فى حديث المسيح أنه سبط الشعر كثير خيلان الوجه كأنه خرج من ديماس يعنى فى نضرته و كثره ماء وجهه كأنه خرج من كن لأنه قال فى وصفه كان رأسه يقطر ماء و كان للحجاج سجن اسمه الديماس لظلمته و أصله من دمس الظلام يدمس أى اشتد و ليل دامس و داموس أى مظلم و جاءنا فلان بأمور دمس أى مظلمه عظيمه يقول له أنت فى كتابك هذا كالحائض فى تلك الأرض الرخوه و تقوم و تقع و لا تتخلص و كالحابط فى الليل المظلم يعثر و ينهض و لا يهتدى الطريق.

ص: ٢٤

والمرقبه الموضوع العالى و الأعلام جمع علم و هو ما يهتدى به فى الطرقات من المنار يقول له سمت همتك إلى دعوى الخلافه و هى منك كالمرقبه التى لا- ترام بتعد على من يطلبها و ليس فيها أعلام تهدى إلى سلوك طريقها أى الطرق إليها غامضه كالجبل الأملس الذى ليس فيه درج و مراق يسلك منها إلى ذروته.

و الأنوق على فعول بالفتح كأكول و شروب طائر و هو الرخمه و فى المثل أعز من بيض الأنوق لأنها تحرزه و لا يكاد أحد يظفر به و ذلك لأن أوكارها فى رءوس الجبال و الأماكن الصعبه البعيده.

و العيوق كوكب معروف فوق زحل فى العلو و هذه أمثال ضربها فى بعد معاويه عن الخلافه .

ثم قال حاش لله إن أوليك شيئا من أمور المسلمين بعدى أى معاذ الله و الأصل إثبات الألف فى حاشا و إنما اتبع فيها المصحف .

و الورد و الصدر الدخول و الخروج و أصله فى الإبل و الماء و ينهد إليك عباد الله أى ينهض و أرتجت عليك الأمور أغلقت.

و هذا الكتاب هو جواب كتاب وصل من معاويه إليه ع بعد قتل على ع الخوارج و فيه تلويح بما كان يقوله من قبل

٤٥٢٠

١٤,١- إن رسول الله وعدنى بقتال طائفه أخرى غير أصحاب الجمل و صفيين و إنه سماهم المارقين فلما واقعهم ع بالنهروان و قتلهم كلهم بيوم واحد و هم عشره آلاف فارس أحب أن يذكر معاويه بما كان يقول من قبل و يعد به أصحابه و خواصه فقال له قد آن لك أن تنتفع بما عاينت و شاهدت معاينه و مشاهده من صدق القول الذى كنت أقوله للناس و يبلغك فتستهزئ به .

ص: ٢٧

و قد تقدم ذكره بخلاف هذه الروايه أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ [الْعَبْدَ]

الْمَرْءَ لَيَفْرُحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَيُنْفُوتهُ وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغٌ لَدَيْهِ أَوْ شِفَاءٌ غَيْظٍ وَ لَكِنْ إِطْفَاءٌ بَاطِلٍ وَ إِحْيَاءٌ حَقٌّ وَ لِيُكُنْ سُورُوكَ بِمَا قَدَّمْتَ وَ أَسْفَكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ وَ هُمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ .

هذا الفصل قد تقدم شرح نظيره و ليس فى ألفاظه و لا معانيه ما يفتقر إلى تفسير و لكننا سنذكر من كلام الحكماء و الصالحين كلمات تناسبه

[نبذ من كلام الحكماء]

فمن كلام بعضهم ما قدر لك أتاك و ما لم يقدر لك تعداك فعلام تفرح بما لم يكن بد من وصوله إليك و علام تحزن بما لم يكن ليقدّم عليك.

و من كلامهم الدنيا تقبل إقبال الطالب و تدبر إدبار الهارب و تصل وصال المتهالك و تفارق فراق المبغض الفارك فخيرها يسير و عيشها قصير و إقبالها خدعه و إدبارها

فجعه و لذاتها فانيه و تبعاتها باقيه فاعتنم غفله الزمان و انتهز فرصه الإمكان و خذ من نفسك لنفسك و تزود من يومك لغدك قبل نفاذ المده و زوال القدره فلكل امرئ من دنياه ما ينفعه على عماره أخراه.

و من كلامهم من نكد الدنيا أنها لا- تبقى على حاله و لا- تخلو من استحاله تصلح جانباً بإفساد جانب و تسر صاحباً بمساءه صاحب فالسكون فيها خطر و الثقه إليها غرر و الالتجاء إليها محال و الاعتماد عليها ضلال.

و من كلامهم لا تبتهجن لنفسك بما أدركت من لذاتها الجسمانيه و ابتهج لها بما تناله من لذاتها العقليه و من القول بالحق و العمل بالحق فإن اللذات الحسيه خيال ينفد و المعارف العقليه باقيه بقاء الأبد

أَمَا بَعِيدٌ فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَ اجْلِسْ لَهُمُ الْعَصِيرِينَ فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتَى وَ عَلِّمِ الْجَاهِلَ وَ ذَاكِرِ (١) الْعَالِمَ وَ لَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَيْفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ وَ لَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ وَ لَا تَحُجِّبَنَّ ذَا حَاجِهِ عَن لِقَائِكَ بِهَا فَإِنَّهَا إِنِ ذِيدَتْ عَن أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وَرْدِهَا لَمْ تُحْمَدْ فِيهَا بَعِيدٌ عَلَى قَضَائِهَا وَ انْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَ الْمَجَاعَةِ مُصِيبًا بِهِ مَوَاضِعَ [الْمَفَاقِرِ]

الْفَاقِهِ وَ الْخَلَائِطِ وَ مَا فَضَلَ عَن ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قَبْلَنَا وَ مُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلَّا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْرًا فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَ الْبَادِ (٢) فَالْعَاكِفُ الْمُقِيمُ بِهِ وَ الْبَادِي الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ وَ فَقْنَا اللَّهَ وَ إِيَّاكُمْ لِمَحَابَّتِهِ وَ السَّلَامِ.

ص : ٣٠

١-١) في د«و ذكر».

٢-٢) سورة الحج ٢٥.

قد تقدم ذكر قثم و نسبه أمره أن يقيم للناس حجهم و أن يذكرهم بأيام الله و هي أيام الإنعام و أيام الانتقام لتحصل الرغبه و الرهبه.

و اجلس لهم العصرين

الغداه و العشى.

ثم قسم له ثمره جلوسه لهم ثلاثه أقسام إما أن يفتى مستفتيا من العامه فى بعض الأحكام و إما أن يعلم متعلما يطلب الفقه و إما أن يذكر (١) عالما و يباحثه و يفاوضه و لم يذكر السياسه و الأمور السلطانيه لأن غرضه متعلق بالحجيج و هم أضيافه يقيمون ليالى يسيره و يقفلون و إنما يذكر السياسه و ما يتعلق بها فيما يرجع إلى أهل مكه و من يدخل تحت ولايته دائما ثم نهاه عن توسط السفراء و الحجاب بينه و بينهم بل ينبغى أن يكون سفيره لسانه و حاجبه وجهه و روى و لا يكن إلا لسانك سفيرا لك إلى الناس بجعل لسانك اسم كان مثل قوله **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا (٢)** و الروايه الأولى هي المشهوره و هو أن يكون سفيرا اسم كان و لك خبرها و لا- يصح ما قاله الراوندى إن خبرها إلى الناس لأن إلى هاهنا متعلقه بنفس سفير فلا يجوز أن تكون الخبر عن سفير تقول سفرت إلى بنى فلان فى الصلح و إذا تعلق حرف الجر بالكلمه صار كالشىء الواحد.

ثم قال فإنها إن زيدت أى طردت و دفعت.

كان أبو عباد ثابت بن يحيى كاتب المأمون إذا سئل الحاجه يشتم السائل و يسطو عليه و يخجله و يبكته ساعه ثم يأمر له بها فيقوم و قد صارت إليه و هو يذمه و يلعنه قال على بن جبلة العكوك

ص: ٣١

١-١) فى «يذكر».

٢-٢) سوره النمل ٥٦.

لعن الله أبا عباد

و كان الناس يقفون لأبى عباد وقت ركوبه فيتقدم الواحد منهم إليه بقصته ليناوله إياها فيركله برجله بالركاب و يضربه بسوطه و يطير غضبا ثم لا ينزل عن فرسه حتى يقضى حاجته و يأمر له بطلبته فينصرف الرجل بها و هو ذام له ساخط عليه فقال فيه دعبل أولى الأمور بضيعه و فساد

و قال فيه بعض الشعراء قل للخليفة يا ابن عم محمد

و المفاقر الحاجات يقال سد الله مفاقره أى أغنى الله فقره ثم أمره أن يأمر أهل مكه ألا يأخذوا من أحد من الحجيج أجره مسكن و احتج على ذلك بالآيه و أصحاب أبى حنيفه يتمسكون بها فى امتناع بيع دور مكه و إيجارتها و هذا بناء على أن

ص: ٣٢

المسجد الحرام هو مكة كلها و الشافعي يرى خلاف ذلك و يقول إنه الكعبة و لا يمنع من بيع دور مكة و لا إيجارتها و يحتج بقوله تعالى الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ (١) و أصحاب أبي حنيفة يقولون إنها إضافة اختصاص لا إضافة تمليك كما تقول جل الدابة و قرأ سَوَاءً بِالنَّصَبِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مَفْعُولِي جَعَلْنَا أَى جَعَلْنَاهُ مُسْتَوِيَا فِيهِ الْعَاكِفِ وَ الْبَادِ وَ مِنْ قَرَأَ بِالرَّفْعِ جَعَلَ الْجَمْلَةَ هِيَ (٢) المفعول الثاني

ص: ٣٣

١-١) الْحَجَّ ٤.

٢-٢) فِي د«عَلَى».

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ (١) الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقَلَّهٗ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا وَ ضَعَّ عَنْكَ هُمُومَهَا لَمَّا أَتَيْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَ تَصَيَّرُفِ حَالَاتِهَا وَ كُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا أَحْدَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا أَطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ أَوْ إِلَى إِيْنَاسٍ أَزَالَتَهُ عَنْهُ إِلَى إِيْحَاشٍ وَ السَّلَامِ.

[سلمان الفارسي و خبر إسلامه]

سلمان

رجل من فارس من رامهرمز و قيل بل من أصبهان من قريه يقال لها جى و هو معدود من موالى رسول الله ص و كنيته أبو عبد الله و كان إذا قيل ابن من أنت يقول أنا سلمان ابن الإسلام أنا من بنى آدم .

و قد روى أنه قد تداوله أرباب كثيره بضعه عشر ربا من واحد إلى آخر حتى أفضى إلى رسول الله ص (٢).

٤٥٢١

١٤- و روى أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب أن سلمان أتى رسول الله ص

ص: ٣٤

(١-١) فى د«كمثل».

(٢-٢) الاستيعاب ٦٣٤ و ما بعدها (طبعه نهضة مصر)، و بعدها هناك: «و من الله عليه بالإسلام».

بصدقه فقال هذه صدقه عليك و على أصحابك فلم يقبلها و قال إنه لا تحل لنا الصدقه فرفعها ثم جاء من الغد بمثلها و قال هديه هذه فقال لأصحابه كلوا

٤٥٢٢

١٤- و اشتراه من أربابه و هم قوم يهود بدراهم و على أن يغرّس لهم من النخيل كذا و كذا و يعمل فيها حتى تدرك فغرّس رسول الله ص ذلك النخل كله بيده إلا نخله واحده غرّسها عمر بن الخطاب فأطعم النخل كله إلا تلك النخلة فقال رسول الله ص من غرّسها قيل عمر فقلعها و غرّسها رسول الله ص بيده فأطعمت (١)

قال أبو عمر و كان سلمان يسف (٢) الخوص و هو أمير على المدائن و يبيعه و يأكل منه و يقول لا أحب أن آكل إلا من عمل يدي و كان قد تعلم سف الخوص من المدينة .

و أول مشاهدته الخندق و هو الذى أشار بحفره فقال أبو سفيان و أصحابه لما رأوه هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها.

قال أبو عمر و قد روى أن سلمان شهد بدرا و أحدا و هو عبد يومئذ و الأكثر أن أول مشاهدته الخندق و لم يفته بعد ذلك مشهد.

قال و كان سلمان خيرا فاضلا حبرا عالما زاهدا متقشفا.

قال و ذكر هشام بن حسان عن الحسن البصرى قال كان عطاء سلمان خمسه آلاف و كان إذا خرج عطاؤه تصدق به و يأكل من عمل يده و كانت له عباءه يفرش بعضها و يلبس بعضها.

ص: ٣٥

١-١) بعدها فى الاستيعاب: «من عامها».

٢-٢) يسف الخوص، أى ينسجه، و فى اللسان: «و فى حديث أبى ذر، قالت له امرأه: ما فى بيتك سفه و لا هفه؛ السفه: ما يسف من الخوص كالزبيل و نحوه».

قال وقد ذكر ابن وهب و ابن نافع أن سلمان لم يكن له بيت إنما كان يستظل بالجدر و الشجر و أن رجلا قال له ألا أبني لك بيتا تسكن فيه قال لا حاجه لي في ذلك فما زال به الرجل حتى قال له أنا أعرف البيت الذى يوافقك قال فصفه لي قال أبني لك بيتا إذا أنت قمت فيه أصاب رأسك سقفه و إن أنت مددت فيه رجلك أصابهما [الجدار (1)]

قال نعم فبنى له.

٤٥٢٣

قال أبو عمر و قد روى عن رسول الله ص من وجوه أنه قال لو كان الدين فى الثريا لنالها سلمان .

٤٥٢٤

و فى روايه أخرى لنالها رجل من فارس .

٤٥٢٥

قال و قد رويانا عن عائشه قالت كان لسلمان مجلس من رسول الله ص ينفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله ص .

٤٥٢٦

قال و قد روى من حديث ابن بريده عن أبيه أن رسول الله ص قال أمرنى ربي بحب أربعة و أخبرنى أنه يحبهم على و أبو ذر و المقداد و سلمان .

٤٥٢٧

قال و روى قتاده عن أبي هريره قال

سلمان صاحب الكتابين.

يعنى الإنجيل و القرآن .

٤٥٢٨

١- و قد روى الأعمش عن عمرو بن مره عن أبي البختري عن على ع أنه سئل عن سلمان فقال علم العلم الأول و العلم الآخر ذاك بحر لا ينزف و هو منا أهل البيت .

٤٥٢٩

قال و في روايه زاذان عن على ع

سلمان الفارسى

كلقمان الحكيم .

٤٥٣٠

قال و قال فيه كعب الأخبار

سلمان حشى علما و حكمه .

ص :٣٦

١ - ١) من «د» .

١٤- قال و فى الحديث المروى أن أبا سفيان مر على سلمان و صهيب و بلال فى نفر من المسلمين فقالوا ما أخذت السيوف من عنق عدو الله مأخذها و أبو سفيان يسمع قولهم فقال لهم أبو بكر أ تقولون هذا لشيخ قريش و سيدها و أتى النبى ص و أخبره فقال يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت الله فأتاهم أبو بكر فقال أبو بكر يا إخوتاه لعلى أغضبتكم قالوا لا يا أبا بكر يغفر الله لك.

قال و آخى رسول الله ص بينه و بين أبى الدرداء لما آخى بين المسلمين

قال و لسلمان فضائل جمه و أخبار حسان و توفى فى آخر خلافه عثمان سنه خمس و ثلاثين و قيل توفى فى أول سنه ست و ثلاثين و قال قوم توفى فى خلافه عمر و الأول أكثر.

و أما حديث إسلام سلمان فقد ذكره كثير من المحدثين (١) و روه عنه قال كنت ابن دهقان (٢) قريه جى من أصبهان و بلغ من حب أبى لى أن حبسنى فى البيت كما تحبس الجاربه فاجتهدت فى المجوسيه حتى صرت قطن (٣) بيت النار فأرسلنى أبى يوما إلى ضيعه له فمررت بكنيسه النصرارى فدخلت عليهم فأعجبتنى صلاتهم فقلت دين هؤلاء خير من دينى فسألتهم أين أصل هذا الدين قالوا بالشام فهربت من والدى حتى قدمت الشام فدخلت على الأسقف (٤) فجعلت أخدمه و أتعلم منه حتى حضرته الوفاه فقلت إلى من توصى بى فقال قد هلك الناس و تركوا دينهم إلا رجلا بالموصل فالحق به فلما قضى نجه لحقت بذلك الرجل

ص: ٣٧

١- (١) و قد ذكر خبر إسلامه أيضا ابن هشام؛ أوردته فى السيره ٢٣٣:١-٢٤٢.

٢- (٢) الدهقان: شيخ القريه فى بلاد فارس.

٣- (٣) قطن النار: خادمها.

٤- (٤) الأسقف: من وظائف النصرانيه، و هو فوق القسيس و دون المطران.

فلم يلبث إلا قليلا حتى حضرته الوفاة فقلت إلى من توصى بي فقال ما أعلم رجلا بقى على الطريقه المستقيمه إلا رجلا بنصيبين فلحقت بصاحب نصيبين قالوا و تلك الصومعه اليوم باقيه و هى التى تعبد فيها سلمان قبل الإسلام قال ثم احتضر صاحب نصيبين فبعثنى إلى رجل بعموريه من أرض الروم فأتيته و أقمت عنده و اكتسبت بقرات و غنيمات فلما نزل به الموت قلت له بمن توصى بي فقال قد ترك الناس دينهم و ما بقى أحد منهم على الحق و قد أظل زمان نبى مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرا إلى أرض بين حرتين لها نخل قلت فما علامته قال يأكل الهديه و لا يأكل الصدقه بين كتفيه خاتم النبوه

٤٥٣٢

١٤- قال و مر بي ركب من كلب فخرجت معهم فلما بلغوا بي وادى القرى ظلموني و باعوني من يهودى فكنت أعمل له فى زرع و نخله فيينا أنا عنده إذ قدم ابن عم له فابتاعنى منه و حملنى إلى المدينه فو الله ما هو إلا- أن رأيتها فعرفتها و بعث الله محمدا بمكه و لا أعلم بشيء من أمره فيينا أنا فى رأس نخله إذ أقبل ابن عم لسيدى فقال قاتل الله بنى قيله قد اجتمعوا على رجل بقاء قدم عليهم من مكه يزعمون أنه نبى قال فأخذنى القر و الانتفاض و نزلت عن (١) النخله و جعلت أستقصى فى السؤال فما كلمنى سيدى بكلمه بل قال أقبل على شأنك و دع ما لا يعينك فلما أمسيت أخذت شيئا كان عندى من التمر و أتيت به النبى ص فقلت له بلغنى أنك رجل صالح و أن لك أصحابا غرباء ذوى حاجه و هذا شيء عندى للصدقه فرأيتكم أحق به من غيركم فقال ع لأصحابه كلوا و أمسك فلم يأكل فقلت فى نفسى هذه واحده و انصرفت فلما كان من الغد أخذت ما كان بقى عندى و أتيت به فقلت له إنى رأيتك لا تأكل الصدقه و هذه هديه

ص: ٣٨

١- (١) ب «من».

فقال كلوا و أكل معهم فقلت إنه لهو فأكبت عليه أقبله و أبكى فقال ما لك فقصصت عليه القصة فأعجبه ثم قال يا سلمان كاتب صاحبك فكاتبته على ثلاثمائة نخله و أربعين أوقيه فقال رسول الله ص للأنصار أعينوا أخاكم فأعانوني بالنخل حتى جمعت ثلاثمائة وديه فوضعها رسول الله ص بيده فصحت كلها و أتاه مال من بعض المغازى فأعطاني منه و قال أد كتابتك فأديت و عتقت .

و كان سلمان من شيعه على ع و خاصته و تزعم الإماميه أنه أحد الأربعة الذين حلقوا رءوسهم و أتوه متقلدى سيوفهم فى خبر يطول و ليس هذا موضع ذكره و أصحابنا لا يخالفونهم فى أن سلمان كان من الشيعة و إنما يخالفونهم فى أمر أزيد من ذلك و ما يذكره المحدثون من قوله للمسلمين يوم السقيفه كرديد و نكرديد محمول عند أصحابنا على أن المراد صنعتم شيئا و ما صنعتم أى استخلفتم خليفه و نعم ما فعلتم إلا أنكم عدلتم عن أهل البيت فلو كان الخليفه منهم كان أولى و الإماميه تقول معناه أسلمتم و ما أسلمتم و اللفظه المذكوره فى الفارسيه لا تعطى هذا المعنى و إنما تدل على الفعل و العمل لا غير و يدل على صحه قول أصحابنا أن سلمان عمل لعمر على المدائن فلو كان ما تنسبه الإماميه إليه حقا لم يعمل له.

فأما ألفاظ الفصل و معانيه فظاهره و مما يناسب مضمونه قول بعض الحكماء تعز عن الشىء إذا منعتة بقله صحبتته لك إذا أعطيته.

و كان يقال الهالك على الدنيا رجلان رجل نafs فى عزها و رجل أنف من ذلها.

و مر بعض الزهاد بباب دار و أهلها يكون ميتا لهم فقال وا عجباً لقوم مسافرين يكون مسافراً قد بلغ منزله.

و كان يقال يا ابن آدم لا تأسف على مفقود لا يردده عليك الفوت و لا تفرح بموجود لا يتركه عليك الموت.

لقى عالم من العلماء راهباً فقال أيها الراهب كيف ترى الدنيا قال تخلق الأبدان و تجدد الآمال و تباعد الأمنيه و تقرب المنيه قال فما حال أهلها قال من ظفر بها نصب و من فاتته أسف قال فكيف الغنى عنها قال بقطع الرجاء منها قال فأى الأصحاب أبر و أوفى قال العمل الصالح قال فأيهم أضر و أنكى قال النفس و الهوى قال فكيف المخرج قال فى سلوك المنهج قال و بما ذا أسلكه قال بأن تخلع لباس الشهوات الفانيه و تعمل للدار الباقيه

ص : ٤٠

وَ تَمَسَّكَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَ [انْتَصَحَهُ]

اسْتَنْصَحَهُ وَ أَحَلَّ حَلَالَهُ وَ حَرَّمَ حَرَامَهُ وَ صَدَّقَ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ وَ اعْتَبَرَ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً وَ آخِرَهَا لِأَحَقِّ بِأَوْلِيهَا وَ كُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ وَ عَظُمَ اسْمُ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ وَ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَ مَا بَعِيدَ الْمَوْتِ وَ لَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ وَ اخَذَ كُلَّ عَمَلٍ يَوْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَ [يَكْرَهُهُ]

يُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَ اخَذَ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ وَ يُسْتَعْتَمَرُ مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ وَ اخَذَ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ وَ اعْتَدَرَ مِنْهُ وَ لَا تَجْعَلْ عَرَضَكَ غَرَضاً لِنَبَالِ [الْقَوْمِ]

الْقَوْلِ وَ لَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَجِعْتَ بِهِ فَكَفَى بِعَدْلِكَ كَذِباً وَ لَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلِّ مَا حَيْدُوكَ بِهِ فَكَفَى بِعَدْلِكَ جَهلاً وَ اكْظِمِ الْغَيْظَ وَ [أَحْلَمْ عِنْدَ الْغَضَبِ وَ تَجَاوَزَ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ]

تَجَاوَزَ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ وَ أَحْلَمْ عِنْدَ الْغَضَبِ وَ اصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ وَ اسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ وَ لَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ وَ لَيْتَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ وَ اعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقَدَّمَ مِنْ نَفْسِهِ* وَ أَهْلِهِ وَ مَالِهِ [وَ إِنَّكَ]

فَإِنَّكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ ذُخْرُهُ وَ مَا تُؤَخَّرُهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ

وَاحْذِرْ صِيَابَهُ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ وَاسْتِكْنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَاحْذِرْ
مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ وَقَلَّةَ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَاقْصِرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ
وَمَعَارِضُ الْفِتَنِ وَأَكْثَرُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَضَلَتْ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعِهِ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ إِلَّا
فَاصِلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذِرُ بِهِ وَأَطِعِ اللَّهَ فِي [جَمَلٍ]

جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا وَخَادِعٌ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ وَارْفُقْ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا إِلَّا مَا
كَانَ مَكْتُوبًا عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهِدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ
فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَإِيَّاكَ وَمُصِيبَةِ الْفُسَاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ وَقَرِّ اللَّهَ وَأَحِبِّ أَحِبَّاءَهُ وَاحْذِرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ
إِبْلِيسَ وَالسَّلَامِ.

[الحارث الأعور و نسبه]

هو الحارث الأعور صاحب أمير المؤمنين ع و هو الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد بن نخله بن حرث بن سبع بن صععب بن
معاوية الهمداني كان أحد

الفقهاء له قول في الفتيا و كان صاحب على ع و إليه تنسب الشيعة الخطاب الذي خاطبه به في

٤٥٣٣

قوله ع

يا حار همدان من يمت يرني

من مؤمن أو منافق قبلا.

و هي أبيات مشهورة قد ذكرناها فيما تقدم

[نبد من الأقوال الحكيمه]

و قد اشتمل هذا الفصل على وصايا جليله الموقع منها قوله و تمسك بحبل القرآن

٤٥٣٤

جاء في الخبر المرفوع لما ذكر الثقلين فقال أحدهما كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض طرف بيد الله و طرف بأيديكم.

و منها قوله انتصحه أى عده ناصحا لك فيما أمرك به و نهاك عنه.

و منها قوله و أحل حلاله و حرم حرامه أى احكم بين الناس فى الحلال و الحرام بما نص عليه القرآن .

و منها قوله و صدق بما سلف من الحق أى صدق بما تضمنه القرآن من أيام الله و مثلاته فى الأمم السالفه لما عصوا و كذبوا.

و منها قوله و اعتبر بما مضى من الدنيا لما بقى منها و فى المثل إذا شئت أن تنظر الدنيا بعدك فانظرها بعد غيرك و قال الشاعر و ما نحن إلا مثلهم غير أننا أقمنا قليلا بعدهم ثم نرحل (١) .

و يناسب قوله و آخرها لاحق بأولها و كلها حائل مفارق قوله أيضا ع

ص: ٤٣

١- ١) فى د«و ترحلوا»و المعنى عليه يستقيم أيضا.

للمقيم عبره و الميت للحى عظه و ليس لأمس عوده و لا المرء من غد على ثقة الأول للأوسط رائد و الأوسط للأخير قائد و كل بكل لاحق و الكل للكل مفارق .

و منها قوله و عظم اسم الله أن تذكره إلا على حق قال الله سبحانه وَ لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ (١) و قد نهى عن الحلف بالله فى الكذب و الصدق أما فى أحدهما فمحرم و أما فى الآخر فمكروه و لذلك لا يجوز ذكر اسمه تعالى فى لغو القول و الهزء و العبث.

و منها قوله و أكثر ذكر الموت و ما بعد الموت

جاء فى الخبر المرفوع أكثروا ذكر هاذم (٢) اللذات.

و ما بعد الموت العقاب و الثواب فى القبر و فى الآخرة.

و منها قوله و لا- تتمن الموت إلا- بشرط و ثق هذه كلمه شريفه عظيمه القدر أى لا تتمن الموت إلا و أنت واثق من أعمالك الصالحه أنها تؤديك إلى الجنه و تنقذك من النار و هذا هو معنى قوله تعالى لليهود إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَ لَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٣) .

و منها قوله و احذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه و يكرهه لعامه المسلمين و احذر كل عمل يعمل فى السر و يستحيا منه فى العلانيه و احذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكروه و اعتذر منه و هذه الوصايا الثلاث متقاربه فى المعنى و يشملها معنى قول الشاعر لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم (٤) .

١-١) سورة البقره.

٢-٢) هاذم اللذات، من الهدم و هو القطع.

٣-٣) سورة الجمعه ٧، ٦.

٤-٤) لأبى الأسود الدؤلى من قصيدته الميميه، أوردها صاحب الخزانة فى ٣:٦١٨.

وقال الله تعالى حاكيا عن نبي من أنبيائه وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ [\(١\)](#).

و من كلام الجنيد الصوفى ليكن عملك من وراء ستر كعملك من وراء الزجاج الصافى

٤٥٣٧

و فى المثل و هو منسوب إلى على ع إياك و ما يعتذر منه.

و منها قوله و لا تجعل عرضك غرضا لنبال القوم قال الشاعر لا تستتر أبدا ما لا تقوم له

و قال مقاله السوء إلى أهلها و منها قوله و لا تحدث الناس بكل ما سمعت فكفى بذلك كذبا قد نهى أن يحدث الإنسان بكل ما رأى من العجائب فضلا عما سمع لأن الحديث الغريب المعجب تسارع النفس إلى تكذيبه و إلى أن تقوم الدلالة على صدقه قد فرط من سوء الظن فيه ما فرط.

و يقال إن بعض العلوية قال فى حضره عضد الدوله ببغداد عندنا فى الكوفه نبق وزن كل نبقه مثقالان فاستطرف الملك ذلك و كاد يكذبه الحاضرون فلما قام ذكر ذلك لأبيه فأرسل حماما كان عنده فى الحال إلى الكوفه يأمر و كلاءه بإرسال مائه حمامه فى رجلى كل واحده نبقتان من ذلك النبق فجاء النبق فى بكره الغد و حمل إلى عضد الدوله فاستحسنه و صدقه حينئذ ثم قال له لعمري لقد صدقت

ص: ٤٥

١-١ (١) هود ٨٨.

و لكن لا تحدث فيما بعد بكل ما رأيت من الغرائب فليس كل وقت يتهيأ لك إرسال الحمام.

و كان يقال الناس يكتبون أحسن ما يسمعون و يحفظون أحسن ما يكتبون و يتحدثون بأحسن ما يحفظون و الأصدق نوع تحت جنس الأحسن و منها قوله و لا ترد على الناس كل ما حدثوك فكفى بذلك جهلا من الجهل المبادره بإنكار ما يسمعه و قال ابن سينا فى آخر الإشارات إياك أن يكون تكيسك و تبرؤك من العامه هو أن تنبرى منكرا لكل شىء فلذلك عجز و طيش و ليس الخرق فى تكذيبك ما لم يستتب لك بعد جلته دون الخرق فى تصديقك بما لم تقم بين يديك بينه بل عليك الاعتصام بحبل التوقف و إن أزعجك استنكار ما يوعيه سمعك مما لم يبرهن على استحاله لك فالصواب أن تسرح أمثال ذلك إلى بقعه الإمكان ما لم يزدك عنها قائم البرهان .

و منها قوله و اكظم الغيظ قد مدح الله تعالى ذلك فقال وَ الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ (١)

٤٥٣٨

٧- روى أن عبدا لموسى بن جعفر قدم إليه صحفه فيها طعام حار فعبج فصبها على رأسه و وجهه فغضب فقال له وَ الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ قال قد كظمت قال وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ قال قد عفوت قال وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٢) قال أنت حر لوجه الله و قد نحللتك ضيعتى الفلانيه

و منها قوله و احلم عند الغضب هذه مناسبة الأولى و قد تقدم منا قول كثير فى الحلم و فضله و كذلك القول فى قوله ع و تجاوز عند القدره و كان يقال القدره تذهب الحفيظه.

ص: ٤٦

١- ١) سورة آل عمران ١٣٤.

١- ٢) سورة آل عمران ١٣٤.

و منها قوله و اصفح مع الدوله تكن لك العاقبه هذه كانت شيمه رسول الله ص و شيمه على ع أما شيمه رسول الله ص فظفر بمشركى مكه و عفا عنهم كما سبق القول فيه فى عام الفتح و أما على ع فظفر بأصحاب الجمل و قد شقوا عصا الإسلام عليه و طعنوا فيه و فى خلافته فعفا عنهم مع علمه بأنهم يفسدون عليه أمره فيما بعد و يصيرون إلى معاويه إما بأنفسهم أو بأرائهم و مكتوباتهم و هذا أعظم من الصفح عن أهل مكه لأن أهل مكه لم يبق لهم لما فتحت فئه يتحيزون إليها و يفسدون الدين عندها.

و منها قوله و استصلح كل نعمه أنعمها الله عليك معنى استصلحها استدمها لأنه إذا استدامها فقد أصلحها فإن بقاءها صلاح لها و استدامتها بالشكر .

و منها قوله و لا تضيعن نعمه من نعم الله عندك أى واس الناس منها و أحسن إليهم و اجعل بعضها لنفسك و بعضها للصدقه و الإيثار فإنك إن لم تفعل ذلك تكن قد أضعتها.

و منها قوله و لير عليك أثر النعمه قد أمر بأن يظهر الإنسان على نفسه آثار نعمه الله عليه و قال سبحانه وَ أَمَا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١) و قال الرشيد لجعفر قم بنا لنمضى إلى منزل الأصمعى فمضيا إليه خفيه و معها خادم معه ألف دينار ليدفع ذلك إليه فدخلا داره فوجدا كساء جرداء و باريه (٢) سملاء و حصيرا مقطوعا و خباء قديمه و أباريق من خزف و دواه من زجاج و دفاتر عليها التراب و حيطاننا مملوءه من نسج العناكب فوجم الرشيد و سأله مسائل غشه لم تكن من غرضه و إنما قطع بها خجله و قال الرشيد لجعفر ألا ترى إلى نفس هذا المهين قد برناه بأكثر

ص: ٤٧

١-١ (١) الضحى ١١.

٢-٢ (٢) الباريه:الحصيره.

من خمسين ألف دينار و هذه حاله لم تظهر عليه آثار نعمتنا و الله لا دفعت إليه شيئاً و خرج و لم يعطه.

و منها قوله و اعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمه من نفسه و أهله و ماله أى أفضلهم إنفاقاً فى البر و الخير من ماله و هى التقدمه قال الله تعالى وَ مَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ (١) فأما النفس و الأهل فإن تقدمتهما فى الجهاد و قد تكون التقدمه فى النفس بأن يشفع شفاعه حسنه أو يحضر عند السلطان بكلام طيب و ثناء حسن و أن يصلح بين المتخاصمين و نحو ذلك و التقدمه فى الأهل أن يحج بولده و زوجته و يكلفهما المشاق فى طاعه الله و أن يؤدب ولده إن أذنب و أن يقيم عليه الحد و نحو ذلك.

و منها قوله و ما تقدم من خير يبق لك زخره و ما تؤخره يكن لغيرك خيره و قد سبق مثل هذا و أن ما يتركه الإنسان بعده فقد حرم نفعه و كأنما كان يكدح لغيره و ذلك من الشقاوه و قله التوفيق.

و منها قوله و احذر صحابه من يفيل رأيه الصحابه بفتح الصاد مصدر صحبت و الصحابه بالفتح أيضاً جمع صاحب و المراد هاهنا الأول و فال رأيه فسد و هذا المعنى قد تكرر و قال طرفه عن المرء لا تسأل و سل عن قرينه فإن القرين بالمقارن يقتدى .

و منها قوله و اسكن الأمصار العظام قد قيل لا تسكن إلا فى مصر فيه سوق قائمه و نهر جار و طيب حاذق و سلطان عادل فأما منازل الغفله و الجفاء فمثل قرى السواد الصغار فإن أهلها لا نور فيهم و لا ضوء عليهم و إنما هم كالدواب

ص: ٤٨

و الأنعام همهم الحرث و الفلاحه و لا يفقهون شيئا أصلا فمجاورتهم تعمى القلب و تظلم الحس و إذا لم يجد الإنسان من يعينه على طاعه الله و على تعلم العلم قصر فيهما .

و منها قوله و اقصر رأيك على ما يعينك كان يقال من دخل فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه.

و منها نهيه إياه عن القعود فى الأسواق قد جاء فى المثل السوق محل الفسوق.

و

٤٥٣٩

جاء فى الخبر المرفوع الأسواق مواطن إبليس و جنده.

و ذلك لأنها قلما تخلو عن الأيمان الكاذبه و البيوع الفاسده و هى أيضا مجمع النساء المومسات و فجار الرجال و فيها اجتماع أرباب الأهواء و البدع فلا يخلو أن يتجادل اثنان منهم فى المذاهب و النحل فيفضى إلى الفتن.

و منها قوله و انظر إلى من فضلت عليه كان يقال انظر إلى من دونك و لا تنظر إلى من فوقك و قد بين ع السرفيه فقال إن ذلك من أبواب الشكر و صدق ع لأنك إذا رأيت جاهلا و أنت عالم أو عالما و أنت أعلم منه أو فقيرا و أنت أغنى [منه]

(١) أو مبتلى بسقم و أنت معافى عنه كان ذلك باعثا و داعيا لك إلى الشكر .

و منها نهيه عن السفر يوم الجمعة ينبغى أن يكون هذا النهى عن السفر يوم الجمعة قبل الصلاه و أما بعد الصلاه فلا بأس به و استثنى فقال إلا فاصلا فى سبيل الله أى شاخصا إلى الجهاد.

قال أو فى أمر تعذر به أى لضروره دعتك إلى ذلك.

ص: ٤٩

(١-١) تكمله من ا.

وقد ورد نهى كثير عن السفر يوم الجمعة قبل أداء الفرض على أن من الناس من كره ذلك بعد الصلاة أيضا وهو قول شاذ .
ومنها قوله و أطع الله فى جمل أمورك أى فى جملتها و فيها كلها و ليس يعنى فى جملتها دون تفاصيلها قال فإن طاعه الله
فاضله على غيرها و صدق ع لأنها توجب السعادة الدائمة و الخلاص من الشقاء الدائم و لا أفضل مما يؤدى إلى ذلك.
ومنها قوله و خادع نفسك فى العبادة أمره أن يتلطف بنفسه فى النوافل و أن يخادعها و لا يقهرها فتمل و تضجر و تترك (1)
بل يأخذ عفوها و يتوخى أوقات النشاط و انشراح الصدر للعبادة.
قال فأما الفرائض فحكمها غير هذا الحكم عليك أن تقوم بها كرهتها النفس أو لم تكرهها ثم أمره أن يقوم بالفريضة فى وقتها و
لا يؤخرها عنه فتصير قضاء .

ومنها قوله و إياك أن ينزل بك المنون و أنت آبق من ربك فى طلب الدنيا هذه وصيه شريفه جدا جعل طالب الدنيا المعرض
عن الله عند موته كالعبد الآبق يقدم به على مولاه أسيرا مكتوفا ناكس الرأس فما ظنك به حينئذ.

ومنها قوله و إياك و مصاحبه الفساق فإن الشر بالشر ملحق يقول إن الطباع ينزع بعضها إلى بعض فلا تصحب الفساق فإنه ينزع
بك ما فيك من طبع الشر إلى مساعدتهم على الفسوق و المعصية و ما هو إلا كالنار تقوى بالنار فإذا لم تجاورها و تمازجها نار
كانت إلى الانطفاء و الخمود أقرب.

ص : ٥٠

و روى ملحق بكسر الحاء و قد جاء ذلك

٤٥٤٠

فى الخبر النبوى فإن عذابك بالكفار ملحق. بالكسر.

و منها قوله و أحب أعباءه

٤٥٤١

قد جاء فى الخبر لا يكمل إيمان امرئ حتى يحب من أحب الله و يبغض من أبغض الله.

و منها قوله و احذر الغضب قد تقدم لنا كلام طويل فى الغضب

٤٥٤٢

١٤- قال إنسان للنبي ص أوصنى قال لا تغضب فقال زدنى فقال لا تغضب قال زدنى قال لا أجد لك مزيدا .

و إنما جعله ع جندا عظيما من جنود إبليس لأنه أصل الظلم و القتل و إفساد كل أمر صالح و هو إحدى القوتين المشئومتين اللتين لم يخلق أضر منهما على الإنسان و هما منبع الشر الغضب و الشهوة

ص: ٥١

٧٠ و من كتاب له ع إلى سهل بن حنيف الأنصاري و هو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعويه

أَمَّا بَعِيدٌ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِمَّنْ قَبْلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَلَا تَأْسَفْ عَلَيَّ مَا يَفُوتُكَ مِنْ عِدَدِهِمْ وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ فَكَفَى لَهُمْ غِيًّا وَ لِمَكَ مِنْهُمْ شَافِيًّا فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ وَ إِضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا وَ مُهْطِعُونَ إِلَيْهَا قَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَ رَأَوْهُ وَ سَمِعُوهُ وَ وَعَوْهُ وَ عَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرِ فَبُعْدًا لَهُمْ وَ سُحْقًا إِنَّهُمْ وَ اللَّهُ لَمَّ [يَفِرُّوا]

يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرِ وَ لَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلِ وَ إِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُدَلِّلَ اللَّهُ لَنَا صِدْقَهُ وَ يُسَيِّهَ لَنَا حَزَنَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَ السَّلَامُ [عَلَيْكَ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ]

قد تقدم نسب سهل بن حنيف و أخيه عثمان فيما مضى .

و يتسللون يخرجون إلى معاوية هاربين في خفيه و استتار.

قال فلا تأسف أى لا تحزن و الغى الضلال.

قال و لك منهم شافيا أى يكفيك فى الانتقام منهم و شفاء النفس من عقوبتهم أنهم يتسللون إلى معاوية .

قال ارض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيه.

و الإيضاع الإسراع وضع البعير أى أسرع و أوضعه صاحبه قال رأى برقا فأوضع فوق بكر فلا يك ما أسال و لا أعاما .

و مهطعون

مسرعون (1) أيضا و الأثره الاستثثار يقول قد عرفوا أنى لا- أقسم إلا- بالسويه و أنى لا- أنفل قوما على قوم و لا- أعطى على الأحساب و الأنساب كما فعل غيرى فتركونى و هربوا إلى من يستأثر و يؤثر.

قال فبعدا لهم و سحقا دعاء عليهم بالبعد و الهلاك .

و روى أنهم لم ينفروا بالنون من نفر ثم ذكر أنه راج من الله أن يذل له صعب هذا الأمر و يسهل له حزنه و الحزن ما غلظ من الأرض و ضده السهل

ص: ٥٣

(١- ١) فى ا: «مهطعين مسرعين:».

وقد كان استعمله على بعض النواحي فخان الأمانه فى بعض ما ولاه من أعماله أمّا بَعِيدُ فَإِنَّ صِيْلَاحَ أَبِيكَ عَزَّرَنِ مِنْكَ وَظَنَنْتُ
أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَيْدِيَهُ وَتَسِيلُكَ سَبِيلَهُ فَإِذَا أَنْتَ فِيْمَا رُقِيَ إِلَيَّ عَنْكَ لَا- تَدْعُ لِهَوَاكَ أَنْتَقِيَادًا وَلَا- تُبْقِي لِأَخْرَجَتِكَ عَتَادًا تَعْمُرُ دُنْيَاكَ
بِحَرَابِ أَخْرَجَتِكَ وَتَصَلُّ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعِهِ دِينِكَ وَ لَيْنُ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَ شَسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ وَ مَنْ
كَانَ بِصَةِ فَمَتَكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَيِّدَ بِهِ نَعْرًا أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرًا أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانِهِ أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جَبَائِهِ فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ
يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

[قال الرضى رضى الله عنه: المنذر [بن الجارود]

(١) هذا هو الذى]

٤٥٤٣

قال فيه أمير المؤمنين ع إنه لنظار فى عطفيه مختال فى برديه تفال فى شراكيه.

ص: ٥٤

(١ - ١) من ا.

هو المنذر بن الجارود و اسم الجارود بشر بن خنيس بن المعلى و هو الحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبه بن جذيمه بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعه بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديله بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بيتهم بيت الشرف فى عبد القيس و إنما سمي الجارود لبيت قاله بعض الشعراء فيه فى آخره.

كما جرد الجارود بكر بن وائل (١).

و وفد الجارود على النبي ص فى سنة تسع و قيل فى سنة عشر .

و ذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب (٢) أنه كان نصرانيا فأسلم و حسن إسلامه و كان قد وفد مع المنذر بن ساوى فى جماعه من عبد القيس و قال شهدت بأن الله حق و سامحت قال و قد اختلف فى نسبه اختلافا كثيرا فقيل بشر بن المعلى بن خنيس و قيل بشر بن خنيس بن المعلى و قيل بشر بن عمرو بن العلاء و قيل بشر بن عمرو بن المعلى و كنيته أبو عتاب و يكنى أيضا أبا المنذر .

و سكن الجارود البصره و قتل بأرض فارس و قيل بل قتل بنهاوند مع النعمان بن مقرن و قيل إن عثمان بن العاص بعث الجارود فى بعث نحو ساحل فارس فقتل

ص: ٥٥

١-١) صدره: *و دسناهم بالخيل من كلّ جانب*.

٢-٢) الاستيعاب(نهضة مصر)٢٦٢-٢٦٤.

بموضع يعرف بعقبه الجارود و كان قبل ذلك يعرف بعقبه الطين فلما قتل الجارود فيه عرفه الناس بعقبه الجارود و ذلك فى سنه إحدى و عشرين .

و قد روى عن النبى ص أحاديث و روى عنه و أمه دريمكه بنت رويم الشيبانيه .

٤٥٤٤

١٤- و قال أبو عبيده معمر بن المثنى فى كتاب التاج إن رسول الله ص أكرم الجارود و عبد القيس حين وفدا إليه و قال للأنصار قوموا إلى إخوانكم و أشبه الناس بكم .

قال لأنهم أصحاب نخل كما أن الأوس و الخزرج أصحاب نخل و مسكنهم البحرين و اليمامة قال أبو عبيده

٤٥٤٥

و قال عمر بن الخطاب لو لا- أنى سمعت رسول الله ص يقول إن هذا الأمر لا- يكون إلا- فى قريش لما عدلت بالخلافه عن الجارود بن بشر بن المعلى و لا تخالجنى فى ذلك الأمور.

قال أبو عبيده و لعبد القيس ست خصال فاقت بها على العرب منها أسود العرب بيتا و أشرفهم رهط الجارود هو و ولده.

و منها أشجع العرب حكيم بن جبلة قطعت رجله يوم الجمل فأخذها بيده و زحف على قاتله فضربه بها حتى قتله و هو يقول يا نفس لا تراعى إن قطعت كراعى إن معى ذراعى.

فلا يعرف فى العرب أحد صنع صنيعه.

و منها أعبد العرب هرم بن حيان صاحب أوبس القرنى .

و منها أجود العرب عبد الله بن سواد بن همام غزا السند فى أربعه آلاف ففتحها و أطعم الجيش كله ذاهبا و قافلا فبلغه أن رجلا من الجيش مرض فاشتتهى خبيصا

ص: ٥٦

فأمر باتخاذ الخبيص لأربعة آلاف إنسان فأطعمهم حتى فضل و تقدم إليهم ألا يوقد أحد منهم نارا لطعام في عسكره مع ناره.

و منها أخطب العرب مصقله بن رقبه به يضرب المثل فيقال أخطب من مصقله .

و منها أهدى العرب في الجاهليه و أبعدهم مغارا و أثرا في الأرض في عدوه و هو دعيميص (1) الرمل كان يعرف بالنجوم هدايه و كان أهدى من القطا يدفن بيض النعام في الرمل مملوءا ماء ثم يعود إليه فيستخرجه.

فأما المنذر بن الجارود فكان شريفا و ابنه الحكم بن المنذر يتلوه في الشرف و المنذر غير معدود في الصحابه و لا رأى رسول الله ص و لا- ولد له في أيامه و كان تائها معجبا بنفسه و في الحكم ابنه يقول الراجز يا حكم بن المنذر بن الجارود أنت الجواد ابن الجواد المحمود سرادق المجد عليك ممدود.

و كان يقال أطوع الناس في قومه الجارود بن بشر بن المعلى لما قبض رسول الله ص فارتدت العرب خطب قومه فقال أيها الناس إن كان محمد قد مات فإن الله حتى لا يموت فاستمسكوا بدينكم و من ذهب له في هذه الفتنة دينار أو درهم أو بقره أو شاه فعلى مثلاه فما خالفه من عبد القيس أحد .

قوله ع إن صلاح أبيك غرنى منك قد ذكرنا حال الجارود و صحبته و صلاحه و كثيرا ما يغتر الإنسان بحال الآباء فيظن أن الأبناء على منهاجهم فلا يكون و الأمر كذلك يُخْرِجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ .

قوله فيما رقى بالتشديد أى فيما رفع إلى و أصله أن يكون الإنسان فى موضع عال

ص: ٥٧

(١ - ١) ب: دعيميص، و انظر القاموس.

فيرقى إليه شىء و كان العلو هاهنا هو علو المرتبه بين الإمام و الأمير و نحوه قولهم تعال باعتبار علو رتبه الأمر على المأمور و اللام فى لهواك متعلقه بمحذوف دل عليه انقيادا و لا- يتعلق بنفس انقياد لأن المتعلق من حروف الجر بالمصدر لا يجوز أن يتقدم على المصدر.

و العتاد العده.

قوله و تصل عشيرتك كان فيما رقى إليه عنه أنه يقتطع المال و يفيضه على رهطه و قومه و يخرج بعضه فى لذاته و مآربه .

قوله لجمل أهلك العرب تضرب بالجمل المثل فى الهوان قال لقد عظم البعير بغير لب

فأما شمع النعل فضرب المثل بها فى الاستهانه مشهور لابتنالها و وطئها الأقدام فى التراب .

ثم ذكر أنه من كان بصفته فليس بأهل لكذا و لا كذا إلى أن قال أو يشرك فى أمانه و قد جعل الله تعالى البلاد و الرعايا أمانه فى ذمه الإمام فإذا استعمل العمال على البلاد و الرعايا فقد شركهم فى تلك الأمانه.

قال أو يؤمن على جبايه أى على استجباء الخراج و جمعه و هذه الروايه التى سمعناها و من الناس من يرويها على خيانه و هكذا رواها الراوندى و لم يرو الروايه الصحيحه التى ذكرناها نحن و قال يكون على متعلقه بمحذوف أو بيؤمن نفسها و هو بعيد و متكلف.

ص: ٥٨

ثم أمره أن يقبل إليه و هذه كناية عن العزل .

فأما الكلمات التي ذكرها الرضى عنه ع في أمر المنذر فهي داله على أنه نسبه إلى التيه و العجب فقال نظار في عطفيه أى جانبه ينظر تاره هكذا و تاره هكذا ينظر لنفسه و يستحسن هيئته و لبسته و ينظر هل عنده نقص في ذلك أو عيب فيستدركه بإزالته كما يفعل أرباب الزهو و من يدعى لنفسه الحسن و الملاحه.

قال مختال في برديه يمشى الخيلاء عجا قال محمد بن واسع لابن له و قد رآه يختال في برد له ادن فدنا فقال من أين جاءتك هذه الخيلاء ويلك أما أمك فأمه ابتعتها بمائتي درهم و أما أبوك فلا أكثر الله في الناس أمثاله.

قوله تفال في شراكيه الشراك السير الذي يكون في النعل على ظهر القدم.

و التفل بالسكون مصدر تفل أى بصق و التفل محركا البصاق نفسه و إنما يفعل المعجب و التائه في شراكيه ليذهب عنهما الغبار و الوسخ يتفل فيهما و يمسحهما ليعودا كالجديدين

ص: ٥٩

٧٢ و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس رضى الله عنه

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقِ أَجْلِكَ وَلَا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَكَ وَ يَوْمٌ عَلَيْكَ وَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُولٍ
فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ وَ مَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ .

قد تقدم شرح مثل هذا الكلام و هذا معنى مطروق قد قال الناس فيه فأكثرُوا قال الشاعر قد يرزق العاجز الضعيف و ما

و من جيد ما قيل فى هذا المعنى قول أبى يعقوب الخريمى (١) هل الدهر إلا صرفه و نوائبه

ص : ٦٠

١- ١) من أبيات نسبها صاحب الأغانى (٢١:١٥-ساسى) إلى ابن عبد الأسدى بروايه مخالفه.

يحاسب فيه نفسه في حياته

ص: ٦١

أَمَّا بَعْدُ فَيَأْتِي عَلَى السَّرْدِ فِي جَوَابِكَ وَالْإِسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ لِمَوْهَنْ رَأْيِي وَمُخْطِئِ فِرَاسِي وَ إِنَّا إِذْ تُجَاوِلُنِي الْأُمُورَ وَ تَرَا جِعُنِي السُّطُورَ كَالْمُسْتَقْبَلِ النَّائِمِ تَكَدِيبُهُ أَحْلَامُهُ وَ الْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ لَا يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ وَ لَسْتَ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهُ وَ أَقْسِمُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَوْ لَا بَعْضُ الْإِسْتِبْقَاءِ لَوْصَلَتْ [مِنِّي إِلَيْكَ]

إِلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ تَفْرَعُ الْعُظْمِ وَ [تَنْهَسُ]

تَهْلِسُ اللَّحْمَ وَ اعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ وَ تَأْذَنَ لِمَقَالِ [نَصِيحِكَ]

نَصِيحَتِكَ وَ السَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

روى نوازع جمع نازعه أى جاذبه قالعه و روى تهلس اللحم و تلهس بتقديم اللام و تهلس بكسر اللام تذيبه حتى يصير كبدن به الهلاس و هو السل و أما تهلس فهو بمعنى تلحس أبدلت الحاء هاء و هو عن لحست كذا بلسانى بالكسر ألحسه أى تأتى على اللحم حتى تلحسه لحسا لأن الشىء إنما يلحس إذا ذهب و بقى أثره و أما ينهس و هى الروايه المشهوره فمعناه يعترق .

بفتح الذال أى تسمع .

قوله ع إنى لموهن رأىى بالتشديد أى إنى لائم نفسى و مستضعف رأىى فى أن جعلتك نظيرا أكتب و تجينى و تكتب و أجيبك و إنما كان ينبغى أن يكون جواب مثلك السكوت لهوانك.

فإن قلت فما معنى قوله على التردد .

قلت ليس معناه التوقف بل معناه التردد و التكرار أى أنا لائم نفسى على أنى أكرر تاره بعد تاره أجوبتك عما تكتبه ثم قال و إنك فى مناظرتى و مقاومتى بالأمر التى تحاولها و الكتب التى تكتبها كالنائم يرى أحلاما كاذبه أو كمن قام مقاما بين يدى سلطان أو بين قوم عقلاء ليعتذر عن أمر أو ليخطب بأمر فى نفسه قد بهظه مقامه ذلك أى أثقله فهو لا يدرى هل ينطق بكلام هو له أم عليه فيتحير و يتبدل و يدركه العمى و الحصر.

قال و إن كنت لست بذلك الرجل فإنك شبيه به أما تشبيهه بالنائم ثم ذى الأحلام فإن معاويه لو رأى فى المنام فى حياه رسول الله ص أنه خليفه يخاطب بإمره المؤمنين و يحارب عليا على الخلافه و يقوم فى المسلمين مقام رسول الله ص لما طلب لذلك المنام تأويلا و لا تعبيرا و لعدده من وساوس الخيال و أضغاث الأحلام و كيف و أنى له أن يخطر هذا بباله و هو أبعد الخلق منه و هذا كما يخطر للنفاط (١) أن يكون ملكا و لا تنظرن إلى نسبه فى المناقب (٢) بل انظر إلى أن

ص: ٦٣

(١ - ١) النفاط: مستخرج النفط؛ و هو الزيت.

(٢ - ٢) حاشيه ب: «قوله و لا- تنظرن فى المناقب» قال فى القاموس: «النقاب، بالكسر: الرجل العلامه و البطن، و منه: «فرخان فى نقاب» يضر للمتشابهين؛ فعلى هذا يريد بالمناقبه المشابهه بالنسب.

الإمامه هي نبوه مختصره و أن الطليق المعدود من المؤلفه قلوبهم المكذب بقلبه و أن أقر بلسانه الناقص المنزله عند المسلمين القاعد في أخريات الصف إذا دخل إلى مجلس فيه أهل السوابق من المهاجرين كيف يخطر ببال أحد أنها تصير فيه و يملكها و يسمه الناس وسمها و يكون للمؤمنين أميرا و يصير هو الحاكم في رقاب أولئك العظماء من أهل الدين و الفضل- و هذا أعجب من العجب أن يجاهد النبي ص قوما بسيفه و لسانه ثلاثا و عشرين سنه- و يلعنهم و يبعدهم عنه و ينزل القرآن بدمهم و لعنهم و البراءه منهم فلما تمهدت له الدوله و غلب الدين على الدنيا و صارت شريعته دينيه محكمه مات فشيده دينه الصالحون من أصحابه و أوسعوا رقعته ملته و عظم قدرها في النفوس فتسلمها منهم أولئك الأعداء الذين جاهدهم النبي ص فملكوها و حكموا فيها و قتلوا الصلحاء و الأبرار و أقارب نبيهم الذين يظهرون طاعته و آلت تلك الحركه الأولى و ذلك الاجتهاد السابق إلى أن كان ثمرته لهم فليته كان يبعث فيرى معاويه الطليق و ابنه و مروان و ابنه خلفاء في مقامه يحكمون على المسلمين فوضح أن معاويه فيما يراجعه و يكاتبه به كصاحب الأحلام.

و أما تشبيهه إياه بالقائم مقاما قد بهظه فلأن الحجج و الشبه و المعاذير التي يذكرها معاويه في كتبه أو هن من نسج العنكبوت فهو حال ما يكتب كالقائم ذلك المقام يخبط يخبط العشواء و يكتب ما يعلم هو و العقلاء من الناس أنه سفه و باطل.

فإن قلت فما معنى قوله ع لو لا بعض الاستبقاء و هل كانت الحال تقتضى أن يستبقى و ما تلك القوارع التي أشار إليها.

(٢)

-يعنى أن معاويه و إن كان في النسب له بعض المشابهه بنسبه عليه السلام من حيث القرشيه و القرابه و لكننه. إذا نظرت إلى أن الإمامه هي نبوه مختصره لا يصلح لها إلا من اجتمعت فيه فضائل من النبوه و مناقب تضارعها و سوابق تتلوها، و أمّا الطلقاء و أبناء الطلقاء فليس لهم أن يتعرضوا لأن يكونوا من أدنى موالى أربابها».

ص: ٦٤

قلت قد قيل إن النبي ص فوض إليه أمر نسائه بعد موته و جعل إليه أن يقطع عصمه أيتهن شاء إذا رأى ذلك و له من الصحابه جماعه يشهدون له بذلك فقد كان قادرا على أن يقطع عصمه أم حبيبه و يبيح نكاحها الرجال عقوبه لها و لمعاويه أخيها فإنها كانت تبغض عليا كما يبغضه أخوها و لو فعل ذلك لانتهس لحمه و هذا قول الإماميه و قد رووا عن رجالهم أنه ع تهدد عائشه بضرب من ذلك و أما نحن فلا نصدق هذا الخبر و نفسر كلامه على معنى آخر و هو أنه قد كان معه من الصحابه قوم كثيرون سمعوا من رسول الله ص يلعن معاويه بعد إسلامه و يقول إنه منافق كافر و إنه من أهل النار و الأخبار في ذلك مشهوره فلو شاء أن يحمل إلى أهل الشام خطوطهم و شهاداتهم بذلك و يسمعهم قولهم ملافظه و مشافهه لفعل و لكنه رأى العدول عن ذلك مصلحه لأمر يعلمه هوع و لو فعل ذلك لانتهس لحمه و إنما أبقى عليه.

و قلت لأبي زيد البصرى لم أبقى عليه فقال و الله ما أبقى عليه مراعاة له و لا رفقا به و لكنه خاف أن يفعل كفعله فيقول لعمر و بن العاص و حبيب بن مسلمة و بسر بن أبي أرطاه و أبي الأعور و أمثالهم ارووا أنتم عن النبي ص أن عليا ع منافق من أهل النار ثم يحمل ذلك إلى أهل العراق فلهذا السبب أبقى عليه

و نقل من خط هشام بن الكلبي هَذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَ بَادِيهَا وَ رَيْعُهُ حَاضِرُهَا وَ بَادِيهَا أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَ يَأْمُرُونَ بِهِ وَ يُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَ أَمَرَ بِهِ لَا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا وَ لَا يَرْضُونَ بِهِ بَدَلًا وَ أَنَّهُمْ يَدُّ وَاحِدَةً عَلَى مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَ تَرَكَهُ [وَ أَنَّهُمْ]

أَنْصَارًا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ دَعَوْتُهُمْ وَاحِدَةً لَا يَنْتَقِضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبِهِ عَاتِبٍ وَ لَا لِعَظْبٍ غَاضِبٍ وَ لَا لِاسْتِدْلَالِ قَوْمٍ قَوْمًا وَ لَا لِمَسَبِّهِ قَوْمٍ قَوْمًا عَلَى ذَلِكَ شَاهِدُهُمْ وَ غَائِبُهُمْ وَ سَيْفِيهِمْ وَ عَالِمُهُمْ وَ حَلِيمُهُمْ وَ جَاهِلُهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَ مِيثَاقَهُ إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْئُولًا وَ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

الحلف العهد أى و من كتاب حلف فحذف المضاف و اليمن كل من ولده قحطان نحو حمير و عك و جذام و كنده و الأزد و غيرهم.

و ربيعه هو ربيعه بن نزار بن معد بن عدنان و هم بكر و تغلب و عبد القيس .

و هشام هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي نسابه ابن نسابه عالم بأيام العرب و أخبارها و أبوه أعلم منه و هو يروى عن أبيه .

و الحاضر ساكنو الحضر و البادى ساكنو الباديه و اللفظ لفظ المفرد و المعنى الجمع.

قوله إنهم على كتاب الله حرف الجر يتعلق بمحذوف أى مجتمعون.

قوله لا- يشترى به ثَمناً قَلِيلاً- أى لا- يتعوضون عنه بالثمن فسمى التعوض اشتراء و الأصل هو أن يشتري الشيء بالثمن لا الثمن بالشيء لكنه من باب اتساع العرب و هو من ألفاظ القرآن العزيز (١).

و إنهم يد واحده

أى لا خلف بينهم .

قوله لمعتبه عاتب أى لا يؤثر فى هذا العهد و الحلف و لا ينقضه أن يعتب أحد منهم على بعضهم لأنه استجداه فلم يجده أو طلب منه أمراً فلم يقيم به و لا- لأذن أحداً منهم غضب من أمر صدر من صاحبه و لا لأن عزيزاً منهم استدل ذليلاً منهم و لا لأن إنساناً منهم سب أو هجا بعضهم فإن أمثال هذه الأمور يتعذر ارتفاعها بين الناس و لو كانت تنقض الحلف لما كان حلف أصلاً.

و اعلم أنه قد ورد

٤٥٤٦

فى الحديث عن النبى ص كل حلف كان فى الجاهليه فلا يزيده الإسلام إلا شده.

و لا حلف فى الإسلام لكن فعل أمير المؤمنين ع أولى بالاتباع من خبر الواحد و قد تحالفت العرب فى الإسلام مرارا و من أراد الوقوف على ذلك فليطلبه من كتب التواريخ

ص: ٦٧

(١- ١) و هو قوله تعالى: [□]وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي [□]ثَمَنًا قَلِيلًا .

٧٥ و من كتاب له ع إلى معاوية من المدينة في أول ما بويح له بالخلافه

ذكره الواقدي في كتاب الجمل من عبيد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أمّا بعيد فقد علمت إغذاري فيكم و إغراضتي عنكم حتى كان ما لا يد منه ولا دفع له و الحديث طويل و الكلام كثير و قد أدبر ما أدبر و أقبل ما أقبل فبايع من قبلك و أقبل إلي في وفد من أصحابك و السلام .

كتابه إلى معاوية و مخاطبته لبنى أميه جميعا قال و قد علمت إغذاري فيكم أي كوني ذا عذر لو لمتمكم أو ذمتمكم يعني في أيام عثمان .

ثم قال و إغراضتي عنكم أي مع كوني ذا عذر لو فعلت ذلك فلم أفعله بل عرضت عن إساءتكم إلى و ضربت عنكم صفحا حتى كان ما لا بد منه يعني قتل عثمان و ما جرى من الرجبه بالمدينه .

ثم قاطعه الكلام مقاطعه و قال له و الحديث طويل و الكلام كثير و قد أدبر ذلك الزمان و أقبل زمان آخر فبايع و أقدم فلم يبايع و لا قدم و كيف يبايع

و عينه طامحه إلى الملك و الرئاسه منذ أمره عمر على الشام و كان عالى الهمه تواقا إلى معالى الأمور و كيف يطيع عليا و المحرضون له على حربته عدد الحصى و لو لم يكن إلا الوليد بن عقبه لكفى و كيف يسمع قوله فو الله ما هند بأمكن إن مضى النهار

و يطيع عليا و يبائع له و يقدم عليه و يسلم نفسه إليه و هو نازل بالشام فى وسط قحطان و دونه منهم حره لا ترام و هم أطوع له من نعله و الأمر قد أمكنه الشروع فيه و تالله لو سمع هذا التحريض أجنب الناس و أضعفهم نفسا و أنقصهم همه لحركه و شحذ من عزمه فكيف معاويه و قد أيقظ الوليد بشعره من لا ينام

ص: ٦٩

٧٦ و من وصيه له ع لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصره

سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَ مَجْلِسِكَ وَ حُكْمِكَ وَ إِيَّاكَ وَ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَ اعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ وَ مَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ .

روى و حلمك و القرب من الله هو القرب من ثوابه و لا شبهه أن ما قرب من الثواب باعد من العقاب و بالعكس لتنافيهما.

فأما وصيته له أن يسع الناس بوجهه و مجلسه و حكمه فقد تقدم شرح مثله و كذلك القول فى الغضب.

و طيره من الشيطان بفتح الطاء و سكون الياء أى خفه و طيش قال الكميت و حلمك عز إذا ما حلمت و طيرتك الصاب و

الحنظل (١)

ص : ٧٠

٧٧ و من وصيه له ع لعبد الله بن العباس أيضا لما بعثه للاحتجاج على الخوارج

لَا تُخَاصِمُهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَلٌ ذُو وُجُوهِ تَقُولُ وَ يَقُولُونَ... وَ لَكِنْ حَاجَّجُهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصًا .

هذا الكلام لا نظير له في شرفه و علو معناه و ذلك أن القرآن كثير الاشتباه فيه مواضع يظن في الظاهر أنها متناقضة متنافيه نحو قوله لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ (١) و قوله إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢) و نحو قوله وَ جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٣) و قوله وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ (٤) و نحو ذلك و هو كثير جدا و أما السنه فليست كذلك و ذلك لأن الصحابه كانت تسأل رسول الله ص و تستوضح منه الأحكام في الوقائع و ما عساه يشتهه عليهم من كلامهم يراجعونه فيه و لم يكونوا يراجعونه في القرآن إلا فيما قل بل كانوا يأخذونه منه تلقفا و أكثرهم لا يفهم معناه

ص: ٧١

١-١ (١) سورة الأنعام ١٠٣.

٢-٢ (٢) سورة القيامة ٢٣.

٣-٣ (٣) سورة يس ٩.

٤-٤ (٤) سورة فصلت ١٧.

لا- لأنه غير مفهوم بل لأنهم ما كانوا يتعاطون فهمه إما إجلالا له أو لرسول الله أن يسألوه عنه أو يجرونه مجرى الأسماء الشريفة التي إنما يراد منها بركتها لا الإحاطة بمعناها فلذلك كثر الاختلاف في القرآن و أيضا فإن ناسخه و منسوخه أكثر من ناسخ السنه و منسوخها و قد كان في الصحابه من يسأل الرسول عن كلمه في القرآن يفسرها له تفسيرا موجزا فلا يحصل له كل الفهم لما أنزلت آيه الكلاله (١) و قال في آخرها يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا (٢).

٤٥٤٧

١٤- سأله عمر عن الكلاله ما هو فقال له يكفيك آيه الصيف لم يزد على ذلك فلم يراجعه عمر و انصرف عنه فلم يفهم مراده و بقي عمر على ذلك إلى أن مات و كان يقول بعد ذلك اللهم مهما بينت فإن عمر لم يتبين .

يشير إلى قوله يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا و كانوا في السنه و مخاطبه الرسول على خلاف هذه القاعده فلذلك أوصاه على ع أن يحاجهم بالسنه لا بالقرآن .

فإن قلت فهل حاجهم بوصيته.

قلت لا- بل حاجهم بالقرآن مثل قوله فَاَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا (٣) و مثل قوله في صيد المحرم- يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ (٤) و لذلك لم يرجعوا و التحمت الحرب و إنما رجع باحتجاجة نفر منهم.

فإن قلت فما هي السنه التي أمره أن يحاجهم بها.

قلت كان لأمير المؤمنين ع في ذلك غرض صحيح و إليه أشار و حوله كان يطوف و يحوم و ذلك أنه أراد أن يقول لهم

٤٥٤٨

قال رسول الله ص

على مع الحق و الحق مع على يدور معه حيثما دار.

٤٥٤٩

و قوله

اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله .

و نحو ذلك من الأخبار التي

ص: ٧٢

١-١) يريد قوله تعالى في آخر آيه من سورة النساء: «يسألونك عن الْكَلَالَةِ» الخ.

٢-٢) سورة النساء ١٢.

٣-٣) سورة النساء ٣٥.

٤-٤) سورة المائدة ٩٥.

كانت الصحابه قد سمعتها من فلق فيه ص و قد بقى ممن سمعها جماعه تقوم الحجه و تثبت بنقلهم و لو احتج بها على الخوارج أنه لا- يحل مخالفته و العدول عنه بحال لحصل من ذلك غرض أمير المؤمنين في محاجتهم و أغراض أخرى أرفع و أعلى منهم فلم يقع الأمر بموجب ما أراد و قضى عليهم بالحرب حتى أكلتهم عن آخرهم وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

عن كتاب كتبه إليه من المكان الذي اتعدوا فيه للحكومه و ذكر هذا الكتاب سعيد بن يحيى الأموى فى كتاب المغازى فإنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ فَمِ الْوَأَمَّ الدُّنْيَا وَ نَطَقُوا بِالْهَوَى وَ إِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَنزِلًا - مُعْجِبًا اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبْتُهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَ أَنَا أَدَاوَى مِنْهُمْ فَرَحًا أَخَافُ أَنْ [يَعُودَ عَلَقًا يَعُودُ]

يَكُونُ عَلَقًا وَ لَيْسَ رَجُلٌ فَاعْلَمَ أَحْرَصَ [النَّاسِ]

عَلَى جَمَاعِهِ أُمِّهِ مُحَمَّدٍ ص وَ أَلْفَتْهَا مِنِّي أَبْتَغِي بِجَدْلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ وَ كَرَمَ الْمَأْتَابِ وَ سَأْفَى بِالذِّى وَ أُبْتُ عَلَى نَفْسِي وَ إِنْ تَغَيَّرَتْ عَنْ صَالِحٍ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ وَ التَّجْرِبَةِ وَ إِنِّي لَأَعْبُدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِنَاطِلٍ وَ أَنْ أُفْسِدَ أَمْرًا قَدْ أَصْلَحَهُ اللَّهُ فَدَعِ [عَنْكَ]

مَا لَا تَعْرِفُ فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ وَ السَّلَامُ .

روى و نطقوا مع الهوى أى مائلين مع الهوى.

و روى و أنا أدارى بالراء من المداراه و هى الملاينه و المساهله .

و روى نفع ما أولى باللام يقول أوليته معروفا .

و روى إن قال قائل بباطل و يفسد أمرا [قد أصلحه الله (١)]

و اعلم أن هذا الكتاب كتاب من شك في أبي موسى و استوحش منه و من قد نقل عنه إلى أبي موسى كلاما إما صدقا و إما كذبا [و قد نقل عن أبي موسى إليه كلاما إما صدقا أيضا و إما كذبا (٢)]

قال ع إن الناس قد تغير كثير منهم عن حظهم من الآخرة فمالوا مع الدنيا و إنى نزلت من هذا الأمر منزلا معجبا بكسر الجيم أى يعجب من رآه أى يجعله متعجبا منه.

و هذا الكلام شكوى من أصحابه و نصاره من أهل العراق فإنهم كان اختلافهم عليه و اضطرابهم شديدا جدا و المنزل و النزول هاهنا مجاز و استعاره و المعنى أنى حصلت فى هذا الأمر الذى حصلت فيه على حال معجبه لمن تأملها لأنى حصلت بين قوم كل واحد منهم مستبد برأى يخالف فيه رأى صاحبه فلا تنتظم لهم كلمه و لا يستوثق لهم أمر و إن حكمت عليهم برأى أراه أنا خالفوه و عصوه و من لا يطاع فلا رأى له و أنا معهم كالطبيب الذى يداوى قرحا أى جراحه قد قاربت الاندمال و لم تندمل بعد فهو يخاف أن يعود علقا أى دما .

ثم قال له ليس أحد فاعلم أحرص على ألفه الأمة و ضم نشر المسلمين.

و أدخل قوله فاعلم بين اسم ليس و خبرها فصاحه و يجوز رفع أحرص بجعله صفه لاسم ليس و يكون الخبر محذوفا أى ليس فى الوجود رجل.

و تقول قد وأيت وأيا أى وعدت وعدا قال له أما أنا فسوف أفى بما وعدت و ما استقر بينى و بينك و إن كنت أنت قد تغيرت عن صالح ما فارقتنى عليه .

ص: ٧٥

١-١ من د.

٢-٢ من د.

فإن قلت فهل يجوز أن يكون قوله و إن تغيرت من جمله قوله فيما بعد فإن الشقى كما تقول إن خالفتنى فإن الشقى من يخالف الحق.

قلت نعم و الأول أحسن لأنه أدخل فى مدح أمير المؤمنين ع كأنه يقول أنا أفى و إن كنت لا نفى و الإيجاب يحسنه السلب الواقع فى مقابلته و الضد يظهر حسنه الضد.

ثم قال و إنى لأعبد أى آنف من عبد بالكسر أى أنف و فسروا قوله فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (١) بذلك يقول إنى لأنف من أن يقول غيرى قولاً باطلا فكيف لا آنف أنا من ذلك لنفسى ثم تختلف الروايات فى اللفظه بعدها كما ذكرنا .

ثم قال فدع عنك ما لا تعرف أى لا تبني أمرك إلا على اليقين و العلم القطعى و لا تصنع إلى أقوال الوشاه و نقله الحديث فإن الكذب يخالط أقوالهم كثيرا فلا تصدق ما عساه يبلغك عنى شرار الناس فإنهم سراع إلى أقاويل السوء و لقد أحسن القائل فيهم أن يسمعوا الخير يخفوه و إن سمعوا شرا أذاعوا و إن لم يسمعوا كذبوا.

و نحو قول الآخر إن يسمعوا ريبه طاروا بها فرحا و إن ذكرت بخير عندهم دفنوا (٢)

ص: ٧٤

١-١) سورة الزخرف ٨١.

٢-٢) لقعب بن أم صاحب، مختارات ابن الشجرى ١:٧.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلُكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ وَأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ .

أى منعوا الناس الحق فاشترى الناس الحق منهم بالرشى و الأموال أى لم يضعوا الأمور مواضعها و لا ولوا الولايات مستحقيها و كانت أمورهم الدينيه و الدنياويه تجرى على وفق الهوى و الغرض الفاسد فاشترى الناس منهم الميراث و الحقوق كما تشتري السلع بالمال.

ثم قال و أخذوهم بالباطل فاقتدوه أى حملوهم على الباطل فجاء الخلف من بعد السلف فاقتدوا بآبائهم و أسلافهم فى ارتكاب ذلك الباطل ظنا أنه حق لما قد ألفوه و نشئوا و ربوا عليه.

و روى فاستروه بالسين المهمله أى اختاروه يقال استريت خيار المال أى اخترته و يكون الضمير عائدا إلى الظلمه لا إلى الناس أى منعوا الناس حقهم من المال و اختاروه لأنفسهم و استأثروا به

[باب المختار من حكم أمير المؤمنين و مواعظه و يدخل فى ذلك المختار من أجوبه مسائله و الكلام القصير الخارج من سائر أغراضه]

اعلم أن هذا الباب من كتابنا كالروح من البدن و السواد من العين و هو الدرر المكنونه التى سائر الكتاب صدفها و ربما وقع فيه تكرار لبعض ما تقدم يسير جدا و سبب ذلك طول الكتاب و بعد أطرافه عن الذهن و إذا كان الرضى رحمه الله قدسها فكرر فى مواضع كثيره فى نهج البلاغه على اختصاره كنا نحن فى تكرار يسير فى كتابنا الطويل أعذر

ص: ٨١

قَالَ ع كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ لَا ظَهْرَ فَيَرْكَبُ وَلَا ضَرْعَ فَيُحْلَبُ.

ابن اللبون

ولد الناقه الذكر إذا استكمل السنه الثانيه و دخل فى الثالثه و يقال للأنثى ابنه اللبون و ذلك لأن أمهما فى الأغلب ترضع غيرهما فتكون ذات لبن و اللبون من الإبل و الشاه ذات اللبن غزيره كانت أو بكيتها (١) فإذا أرادوا الغزيره قالوا لبنه و يقال ابن لبون و ابن اللبون منكرا أو معرفا قال الشاعر و ابن اللبون إذا ما لزم فى قرن لم يستطع صوله البزل القناعيس (٢).

و ابن اللبون لا يكون قد كمل و قوى ظهره على أن يركب و ليس بأنتى ذات ضرع فيحلب و هو مطرح لا ينتفع به.

و أيام الفتنه هى أيام الخصومه و الحرب بين رئيسين ضالين يدعوان كلاهما إلى ضلاله كفتنه عبد الملك و ابن الزبير و فتنه مروان و الضحاك و فتنه الحجاج و ابن الأشعث و نحو ذلك فأما إذا كان أحدهما صاحب حق فليست أيام فتنه كالجمل و صفين و نحوهما بل يجب الجهاد مع صاحب الحق و سل السيف و النهى عن المنكر و بذل النفس فى إعزاز الدين و إظهار الحق.

ص: ٨٢

١- ١) البكيتة: قليله اللبن.

٢- ٢) لجرير، ديوانه ٣٢٣. القرن: الحبل. و القناعيس: الشداد.

قال ع أحمّل نفسك أيام الفتنة و كن ضعيفا مغمورا بين الناس لا تصلح لهم بنفسك و لا بمالك و لا تنصر هؤلاء و هؤلاء.

و قوله فيركب فيحلب منصوبان لأنهما جواب النفي و في الكلام محذوف تقديره له و هو يستحق الرفع لأنه خبر المبتدأ مثل قولك لا إله إلا الله تقديره لنا أو في الوجود

ص: ٨٣

٢- [كلامه ع فى الطمع و الرضا بالابتلاء]

وَ قَالَ ع أَزْرَىٰ بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشَعَرَ الطَّمَعَ وَ رَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ وَ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ .

هذه ثلاثة فصول الفصل الأول فى الطمع قوله ع أزرى بنفسه أى قصر بها من استشعر الطمع أى جعله شعاره أى لازمه.

٤٥٥٠

و فى الحديث المرفوع أن الصفا الزلزال الذى لا تثبت عليه أقدام العلماء الطمع.

٤٥٥١

و فى الحديث أنه قال للأنصار إنكم لتكثرون عند الفزع و تقلون عند الطمع. أى عند طمع الرزق.

و كان يقال أكثر مصارع الألباب تحت ظلال الطمع.

و قال بعضهم العبيد ثلاثة عبد رق و عبد شهوه و عبد طمع.

٤٥٥٢

١٤- و سئل رسول الله ص عن الغنى فقال اليأس عما فى أيدي الناس و من مشى منكم إلى طمع الدنيا فليمش رويدا .

ص: ٨٤

و قال أبو الأسود البس عدوك في رفق و في دعه

قال عمر ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع

٤٥٥٣

و في الحديث المرفوع الطمع الفقر الحاضر.

قال الشاعر رأيت مخيله فطمعت فيها و في الطمع المذله للرقاب .

الفصل الثاني في الشكوى قال ع من كشف للناس ضره أى شكا إليهم بؤسه و فقره فقد رضى بالذل .

كان يقال لا تشكون إلى أحد فإنه إن كان عدوا سره و إن كان صديقا ساءه و ليست مسره العدو و لا مساءه الصديق بمحموده.

سمع الأحنف رجلا يقول لم أنم الليله من وجع ضرسى فجعل يكثر فقال يا هذا لم تكثر فو الله لقد ذهبت عيني منذ ثلاثين سنه
فما شكوت ذلك إلى أحد و لا أعلمت بها أحدا .

الفصل الثالث في حفظ اللسان قد تقدم لنا قول شاف في ذلك و كان يقال حفظ اللسان راحه الإنسان و كان يقال رب كلمه
سفكت دما و أورثت ندما.

و في الأمثال العاميه قال اللسان للرأس كيف أنت قال بخير لو تركتني.

و في وصيه المهلب لولده يا بني تباذلو تحابوا فإن بني الأعيان يختلفون فكيف بنى العلات إن البر ينسأ في الأجل و يزيد في
العدد و إن القطيعه تورث القله و تعقب

ص: ٨٥

النار بعد الذله اتقوا زله اللسان فإن الرجل تزل رجله فينتعش و يزل لسانه فيهلك و عليكم في الحرب بالمكيده فإنها أبلغ من النجده و إن القتال إذا وقع وقع القضاء فإن ظفر الرجل ذو الكيد و الحزم سعد و إن ظفر به لم يقولوا فرط.

و قال الشاعر في هذا المعنى يموت الفتى من عثره بلسانه و ليس يموت المرء من عثره الرجل

٣- [كلامه ع في البخل والجبن والفقير والمقل]

وَقَالَ عَ الْبُخْلُ عَارٌّ وَالْجُبْنُ مَنَقَصَةٌ وَالْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفِطْنَ عَنْ [حَاجَتِهِ]

حُجَّتِهِ وَالْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلَدَتِهِ .

هذه ثلاثه فصول الفصل الأول في البخل و قد تقدم لنا كلام مقنع في ذلك.

و من كلام بعض الحكماء في ذلك ما أقل من يحمده الطالب و تستقل به العشائر و يرضى عنه السائل و ما زالت أم الكرم نزورا و أم اللؤم ذلولا و أكثر الواجدين من لا وجود و أكثر الأجواد من لا يجد.

و ما أحسن قول القائل كفى حزنا أن الجواد مقتر عليه و لا معروف عند بخيل.

و كان يقال البخل مهانه و الجود مهابه.

و من أحسن ما نقل من جود عبد الله المأمون أن عمر بن مسعده كاتبه مات في سنه سبع عشره و مائتين و خلف تركه جليله فبعث أخاه أبا إسحاق المعتصم و جماعه معه من الكتاب ليحصروا مبلغها فجاء المعتصم إليه و هو في مجلس الخلافه و معه الكتاب فقال ما رأيتم فقال المعتصم معظما لما رآه وجدنا عينا و صامتا و ضياعا قيمه ذلك أجمع ثمانيه آلاف ألف دينار و مد صوته فقال المأمون إنا لله و الله ما كنت أرضاها

لتابع من أتباعه ليوفر هذا على مخلفيه فخجل المعتصم حتى ظهر خجله للحاضرين الفصل الثاني في الجبن و قد تقدم قولنا في فضل الشجاعه.

و قال هشام بن عبد الملك لمسلمه أخيه يا أبا سعيد هل دخلك ذعر في حرب قط شهدتها قال ما سلمت في ذلك عن ذعر ينبه على حيله و لا غشيني ذعر سلبني رأيي فقال له هشام هذه و الله البساله قال أبو دلامه و كان جباناً إنى أعود بروح أن يقدمنى

قال المنصور لأبى دلامه فى حرب إبراهيم تقدم ويلك قال يا أمير المؤمنين شهدت مع مروان بن محمد أربعة عساكر كلها انهزمت و كسرت و إنى أعيدك بالله أن يكون عسكرك الخامس .

الفصل الثالث فى الفقر و قد تقدم القول فيه أيضا.

و مثل قوله الفقر يخرس الفطن عن حاجته قول الشاعر سأعمل نص العيس حتى يكفنى

و مثل قوله ع و المقل غريب فى بلدته قول خلف الأحمر لا تظنى أن الغريب هو النائى و لكنما الغريب المقل.

و كان يقال مالک نورک فإن أردت أن تنكسف ففرقه و أتلفه.

قيل للإسكندر لم حفظت الفلاسفة المال مع حكمتها و معرفتها بالدنيا قال لئلا تحوجهم الدنيا إلى أن يقوموا مقامها لا يستحقونه.

و قال بعض الزهاد ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد.

٤٥٥٤

و قال الحسن ع من زعم أنه لا يحب المال فهو عندي كاذب فإن علمت صدقه فهو عندي أحق.

ص: ٨٩

٤- [كلامه ع فى العجز و الصبر و الزهد و الورع و الرضا]

وَ قَالَ ع الْعَجْزُ آفَةٌ وَ الصَّبْرُ شَجَاعَةٌ وَ الزُّهْدُ ثَرْوَةٌ وَ الْوَرَعُ جُنَّةٌ وَ نِعَمَ الْقَرِينِ [الرَّضَا] الرَّضَى .

فهذه فصول خمسہ الفصل الأول قوله ع العجز آفه و هذا حق لأن الآفه هى النقص أو ما أوجب النقص و العجز كذلك.

و كان يقال العجز المفرط ترك التأهب للمعاد.

و قالوا العجز عجزان أحدهما عجز التقصير و قد أمكن الأمر و الثانى الجد فى طلبه و قد فات.

و قالوا العجز نائم و الحزم يقظان .

الفصل الثانى فى الصبر و الشجاعه قد تقدم قولنا فى الصبر.

و كان يقال الصبر مر لا يتجرعه إلا حر.

و كان يقال إن للأزمان المحموده و المذمومه أعمارا و آجالا كأعمار الناس و آجالهم فاصبروا لزمان السوء حتى يفنى عمره و يأتى أجله.

و كان يقال إذا تضيفتك نازله فاقرها الصبر عليها و أكرم مثواها لديك بالتوكل

و الاحتساب لترحل عنك و قد أبقت عليك أكثر مما سلبت منك و لا تنسها عند رخائك فإن تذكرك لها أوقات الرخاء يبعد
السوء عن فعلك و ينفي القساوه عن قلبك و يوزعك حمد الله و تقواه .

الفصل الثالث قوله و الزهد ثروه و هذا حق لأن الثروه ما استغنى به الإنسان عن الناس و لا غناء عنهم كالزهد فى دنياهم فالزهد
على الحقيقه هو الغنى الأكبر.

٤٥٥٥

و روى أن عليا قال لعمر بن الخطاب أول ما ولى الخلافه إن سررك أن تلحق بصاحبيك فقصر الأمل و كل دون الشبع و ارفع
القميص و اخصف النعل و استغن عن الناس بفقرك تلحق بهما.

وقف ملك على سقراط و هو فى المشرفه قد أسند ظهره إلى جب كان يأوى إليه فقال له سل حاجتك فقال حاجتى أن تتنحى
عنى فقد منعى ظلك المرقق بالشمس فسأله عن الجب قال آوى إليه قال فإن انكسر الجب لم ينكسر المكان.

و كان يقال الزهد فى الدنيا هو الزهد فى المحمده و الرئاسه لا فى المطعم و المشرب و عند العارفين الزهد ترك كل شىء
يشغلك عن الله.

و كان يقال العالم إذا لم يكن زاهدا لكان عقوبه لأهل زمانه لأنهم يقولون لو لا أن علمه لم يصب عنه الزهد لزهد فهم
يقتدون بزهده فى الزهد .

الفصل الرابع قوله و الورع جنه كان يقال لا- عصمه كعصمه الورع و العباده أما الورع فيعصمك من المعاصى و أما العباده
فتعصمك من خصمك فإن عدوك لو رآك قائما تصلى و قد دخل ليقتلك لصد عنك و هابك.

ص : ٩١

وقال رجل من بني هلال لبنيه يا بني أظهروا النسك فإن الناس إن رأوا من أحد منكم بخلا قالوا مقتصد لا يحب الإسراف و إن رأوا عيا قالوا متوق يكره الكلام و إن رأوا جبنا قالوا متحرج يكره الإقدام على الشبهات .

الفصل الخامس قوله و نعم القرين الرضا قد سبق منا قول مقنع فى الرضا.

و قال أبو عمرو بن العلاء دفعت إلى أرض مجدبه بها نفر من الأعراب فقلت لبعضهم ما أرضكم هذه قال كما ترى لا زرع و لا ضرع قلت فكيف تعيشون قالوا نحترش (١) الضباب و نصيد الدواب قلت فكيف صبركم على ذلك قالوا يا هذا سل خالق الخلق هل سويت فقال بل رضيت.

و كان يقال من سخط القضاء طاح و من رضى به استراح.

و كان يقال عليك بالرضا و لو قلبت على جمر الغضا.

و

٤٥٥٦

فى الخبر المرفوع أنه ص قال عن الله تعالى من لم يرض بقضائى فليخذ ربا سوائى.

ص: ٩٢

١-١) فى اللسان: «حرش الضب يحرشه حرشا، و احترشه و تحرش و تحر عربه: أتى قفا جحره فققع بعصاه عليه و أتلج طرفها فى جحره فإذا سمع الصوت حسبه دابه تريد أن تدخل عليه فجاء يرحل على رجليه و عجزه مقاتلا و يضرب بذيئه فناهزه الرجل فأخذ بذيئه فضيب عليه- أى شد القبض- فلم يقدر أن يفيصه - أى يفلت منه».

٥- [كلامه ع فى العلم و الجبن و الآداب و الفكر]

وَ قَالَ عِ الْعِلْمُ وَرِاثَةُ كَرِيمَةٍ وَ الْآدَابُ حُلٌّ مُجَدَّدَةٌ وَ الْفِكْرُ مِرَاةٌ صَافِيَةٌ .

إنما قال العلم وراثته لأن كل عالم من البشر إنما يكتسب علمه من أستاذ يهذبه و موقف يعلمه فكأنه ورث العلم عنه كما يرث الابن المال عن أبيه و قد سبق منا كلام شافى فى العلم و الأدب.

و كان يقال عطيه العالم شبيهه بمواهب الله عز و جل لأنها لا تنفذ عند الجود بها و تبقى بكمالها عند مفيدها.

و كان يقال الفضائل العلميه تشبه النخل بطيء الثمره بعيد الفساد.

و كان يقال ينبغى للعالم ألا يترفع على الجاهل و أن يتطامن له بمقدار ما رفعه الله عليه و ينقله من الشك إلى اليقين و من الحيره إلى التبيين لأن مكافحته قسوه و الصبر عليه و إرشاده سياسه.

و مثاله قول بعض الحكماء الخير من العلماء من يرى الجاهل بمنزله الطفل الذى هو بالرحمه أحق منه بالغلظه و يعذره بنقصه فيما فرط منه و لا يعذر نفسه فى التأخر عن هدايته.

و كان يقال العلم فى الأرض بمنزله الشمس فى الفلك لو لا الشمس لأظلم الجو و لو لا العلم لأظلم أهل الأرض .

و كان يقال لا حله أجمل من حله الأدب لأن حلل الثياب تبلى و حلل الأدب تبقى و حلل الثياب قد يغتصبها الغاصب و يسرقها السارق و حلل الآداب باقيه مع جوهر النفس .

و كان يقال الفكره الصحيحه أضطراب روحانى.

و قال أوس بن حجر يرثى إن الذى جمع السماحه و النجده

و من كلام الحكماء النار لا ينقصها ما أخذ منها و لكن يخمدها ألا تجد حطبا و كذلك العلم لا يفنيه الاقتباس و لكن فقد الحاملين له سبب عدمه.

قيل لبعضهم أى العلوم أفضل قال ما العامه فيه أزهد.

و قال أفلاطون من جهل الشىء و لم يسأل عنه جمع على نفسه فضيحتين.

و كان يقال ثلاثه لا تجربه معهن أدب يزين و مجانبه الريبه و كف الأذى.

و كان يقال عليكم بالأدب فإنه صاحب فى السفر و مؤنس فى الوحده و جمال فى المحفل و سبب إلى طلب الحاجه.

و كان عبد الملك أديبا فاضلا و لا يجالس إلا أديبا.

و روى الهيثم بن عدى عن مسعر بن كدام قال حدثنى سعيد بن خالد الجدلى

قال لما قدم عبد الملك الكوفه بعد قتل مصعب دعا الناس يعرضهم على فرائضهم فحضرنا بين يديه فقال من القوم قلنا جديله فقال جديله عدوان قلنا نعم فأنشده عذير الحى من عدوان

ثم أقبل على رجل منا وسيم جسيم قدمناه أمامنا فقال أيكم يقول هذا الشعر قال لا أدري فقلت أنا من خلفه يقوله ذو الإصبع فتركنى و أقبل على ذلك الرجل الجسيم فقال ما كان اسم ذى الإصبع قال لا أدري فقلت أنا من خلفه اسمه حرثان فتركنى و أقبل عليه فقال له و لم سمي ذا الإصبع قال لا أدري فقلت أنا من خلفه نهشته حيه فى إصبغه فأقبل عليه و تركنى فقال من أيكم كان فقال لا أدري فقلت أنا من خلفه من بنى تاج الذين يقول الشاعر فيهم فأما بنو تاج فلا تذكرهم و لا تتبعن عيناك من كان هالكا.

فأقبل على الجسيم فقال كم عطاؤك قال سبعمائه درهم فأقبل على و قال و كم عطاؤك أنت قلت أربعمائه فقال يا أبا الزعيزعه حط من عطاء هذا ثلاثمائه و زدها فى عطاء هذا فرحت و عطائي سبعمائه و عطاؤه أربعمائه (١).

و أنشد منشد بحضره الواثق هارون بن المعتصم

ص: ٩٥

١-١) يقال للرجل الصعب المنيع: حيه الأرض.

فقال شخص رجل هو خبر إن و وافقه على ذلك قوم و خالفه آخرون فقال الواثق من بقى من علماء النحويين قالوا أبو عثمان المازنى بالبصره فأمر بإشخاصه إلى سر من رأى بعد إزاحه علقته قال أبو عثمان فأشخصت فلما أدخلت عليه قال ممن الرجل قلت من مازن قال من مازن تميم أم من مازن ربيعه أم مازن قيس أم مازن اليمين قلت من مازن ربيعه قال باسمك بالباء يريد ما اسمك لأن لغة مازن ربيعه هكذا يبدلون الميم بباء و الباء ميمًا فقلت مكر أى بكر فضحك و قال اجلس و اطمئن فجلست فسألنى عن البيت فأنشدته منصوبًا فقال فأين خبر إن فقلت ظلم قال كيف هذا قلت يا أمير المؤمنين ألا ترى أن البيت إن لم يجعل ظلم خبر إن يكون مقطوع المعنى معدوم الفائدة فلما كررت القول عليه فهم و قال قبح الله من لا أدب له ثم قال ألك ولد قلت بنيه قال فما قالت لك حين ودعتها قلت ما قالت بنت الأعشى تقول ابنتى حين جد الرحيل

قال فما قلت لها قال قلت أنشدتها بيت جرير ثقى بالله ليس له شريك و من عند الخليفة بالنجاح (٢).

فقال ثق بالنجاح إن شاء الله تعالى ثم أمر لى بألف دينار و كسوه و ردى إلى البصره (٣).

١ - ١) نسبه ابن خلكان و الحريرى فى دره الغواص ٤٣ إلى العرجى، و نسبه البغدادى فى الخزانة ١:٣١٧ إلى الحارث بن خالد المخزومى.

٢ - ٢) ديوانه ٣٣.

٣ - ٣) ديوانه ٣٦.

وَ قَالَ ع

[و]

صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ وَ الْبَشَّاشَةُ حَيَالُهُ الْمَوَدَّةُ وَ الْإِحْتِمَالُ قَسْبُ الْعُيُوبِ وَ رُوِيَ أَنَّهُ قَالَ فِي الْعِبَارَةِ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضاً
[الْمَسْأَلَةُ حَبَاءُ الْعُيُوبِ]

الْمَسْأَلَةُ حَبَاءُ الْعُيُوبِ وَ مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّخِطُ عَلَيْهِ .

هذه فصول ثلاثه الفصل الأول قوله صدر العاقل صندوق سره قد ذكرنا فيما تقدم طرفا صالحا في كتمان السر.

و كان يقال لا تنكح خاطب سرک.

قال معاويه للنجار العذري ابغ لى محدثا قال معى يا أمير المؤمنين قال نعم أستريح منك إليه و منه إليك و أجعله كتوما فإن
الرجل إذا اتخذ جليسا ألقى إليه عجره و بجره.

و قال بعض الأعراب لا تضع سرک عند من لا سر له عندک.

و قالوا إذا كان سر الملك عند اثنين دخلت على الملك الشبهه و اتسعت على الرجلين المعاذير فإن عاقبهما عند شياعه عاقب
اثنين بذنب واحد و إن اتهمهما اتهم بريئا

بجنايه مجرم و إن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما و لا ذنب له و عن الآخر و لا حجه عليه .

الفصل الثانی قوله البشاشه حباله الموده قد قلنا فی البشر و البشاشه فیما سبق قولاً مقنعاً.

و كان يقال البشر دال علی السخاء من ممدوحك و علی الود من صديقك دلالة النور علی الثمر (١).

و كان يقال ثلاث تبين لك الود فی صدر أخيك تلقاه ببشرک و تبدؤه بالسلام و توسع له فی المجلس.

و قال الشاعر لا تدخلنك ضجره من سائل

و قال البحتری لو أن كفك لم تجد لمؤمل

الفصل الثالث قوله الاحتمال قبر العيوب أى إذا احتملت صاحبك و حلمت

ص: ٩٨

١ - ١) فی د: «دلالة النور علی القمر»:

عنه ستر هذا الخلق الحسن منك عيوبك كما يستر القبر الميت و هذا مثل قولهم فى الجود كل عيب فالكرم يغطيه .

فأما الخبء فمصدر خبأته أخبؤه و المعنى فى الروايتين واحد و قد ذكرنا فى فضل الاحتمال و المسالمة فيما تقدم أشياء صالحه.

و

٤٥٥٧

من كلامه ع وجدت الاحتمال أنصر لى من الرجال.

و

٤٥٥٨

من كلامه من سالم الناس سلم منهم و من حارب الناس حاربوه فإن العثره للكاثر.

و كان يقال العاقل خادم الأحمق أبدا إن كان فوقه لم يجد من مداراته و التقرب إليه بدا و إن كان دونه لم يجد من احتماله و استكفاف شره بدا.

و أسمع رجل يزيد بن عمر بن هبيرة فأعرض عنه فقال الرجل إياك أعنى قال و عنك أعرض.

و قال الشاعر إذا نطق السفية فلا تجبه

ص: ٩٩

٧- [كلامه ع في الاغترار بالنفس و فضل الصدقه و مشاهدته الناس أعمالهم]

مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّخِطُ عَلَيْهِ وَ الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ وَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ نُصِبٌ أَعْيُنِهِمْ فِي [آجِلِهِمْ] آجَالِهِمْ .

هذه فصول ثلاثه الفصل الأول قوله من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه قال بعض الفضلاء لرجل كان يرضى عن نفسه و يدعى التميز على الناس بالعلم عليك بقوم تروقهم بزبرجك و تروعهم بزخرفك فإنك لا تعدم عزا و لا تفقد غمرا لا يبلغ مسبارهما غورك و لا تستغرق أقدارهما طورك.

و قال الشاعر أرى كل إنسان يرى عيب غيره

و قال بعضهم دخلت على ابن مناره و بين يديه كتاب قد صنفه فقلت ما هذا قال كتاب عملته مدخلا إلى التوريه فقلت إن الناس ينكرون هذا فلو قطعت الوقت بغيره (١) قال الناس جهال قلت و أنت ضدهم قال نعم قلت

ص : ١٠٠

(١ - ١) في د: «بغير هذا».

فينبغي أن يكون ضدّهم جاهلاً عندهم قال كذاك هو قلت فقد بقيت أنت جاهلاً بإجماع الناس و الناس جهال بقولك وحدك
و مثل هذا المعنى قول الشاعر إذا كنت تقضى أن عقلك كامل

الفصل الثانی الصدقه دواء منجح قد جاء في الصدقه فضل كثير و ذكرنا بعض ذلك فيما تقدم

٤٥٥٩

و في الحديث المرفوع تاجروا الله بالصدقه تربحوا.

و قيل الصدقه صدق الجنه .

و قيل للشبلي ما يجب في مائتي درهم فقال أما من جهه الشرع فخمسه دراهم و أما من جهه الإخلاص فالكل.

٤٥٦٠

١٤- و روى أبو هريره عن النبي ص أنه سئل فقيل أى الصدقه أفضل فقال أن تعطى و أنت صحيح شحيح تأمل البقاء و تخشى
الفقر و لا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا و لفلان كذا .

و مثل قوله ع الصدقه دواء منجح

٤٥٦١

قول النبي ص داووا مرضاكم بالصدقه .

الفصل الثالث قوله أعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في آجلهم هذا من قوله تعالى يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
مُخَضَّرًا و مَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ

ص: ١٠١

لَوْ أَنَّ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا (١) وَقَالَ تَعَالَى فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٢).

و من كلام بعضهم إنما تقدم على ما قدمت و لست تقدم على ما تركت فأثر ما تلقاه غدا على ما لا تراه أبدا.

و من حكمه أفلاطون اكنتم حسن صنيعك عن أعين البشر فإن له ممن بيده ملكوت السماء أعينا ترمقه فتجازى عليه

ص: ١٠٢

١-١) سورة آل عمران ٣٠.

٢-٢) سورة الزلزله ٧٨.

وَ قَالَ ع اَعَجَبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ وَ يَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ وَ يَسْمَعُ بِعَظْمٍ وَ يَتَنَفَّسُ مِنْ حَرَمٍ .

هذا كلام محمول بعضه على ظاهره لما تدعو إليه الضروره من مخاطبه العامه بما يفهمونه و العدول عما لا تقبله عقولهم و لا تعيه قلوبهم.

أما الإبصار فقد اختلف فيه فقليل إنه بخروج شعاع من العين يتصل بالمرئى و قيل إن القوه المبصره التى فى العين تلاقى بذاتها المرئيات فتبصرها و قال قوم بل بتكليف الهواء بالشعاع البصرى من غير خروج فيصير الهواء باعتبار تكيفه بالشعاع به آله العين فى الإدراك.

و قال المحققون من الحكماء إن الإدراك البصرى هو بانطباع أشباح المرئيات فى الرطوبه الجلديه من العين عند توسط الهواء الشفاف المضىء كما تنطبع الصوره فى المرآه قالوا و لو كانت المرآه ذات قوه مبصره لأدركت الصور المنطبعه فيها و على جميع الأقوال فلا بد من إثبات القوه المبصره فى الرطوبه الجلديه و إلى الرطوبه الجلديه وقعت إشارته ع بقوله ينظر بشحم .

و أما الكلام فمحلله اللسان عند قوم و قال قوم ليس اللسان آله ضروريه فى الكلام لأن من يقطع لسانه من أصله يتكلم و أما إذا قطع رأسه لم يتكلم قالوا و إنما الكلام

باللهوات و على كلا القولين فلا بد أن تكون آله الكلام لحما و إليه وقعت إشاره أمير المؤمنين ع و ليس هذه البنيه المخصوصه شرطا فى الكلام على الإطلاق لجواز وجوده فى الشجر و الجماد عند أصحابنا و إنما هى شرط فى كلام الإنسان و لذا قال أمير المؤمنين اعجبوا لهذا الإنسان .

فأما السمع للصوت فليس بعظم عند التحقيق و إنما هو بالقوه المودعه فى العصب المفروش فى الصماخ كالغشاء فإذا حمل الهواء الصوت و دخل فى ثقب الأذن المنتهى إلى الصماخ بعد تعويجات فيه جعلت لتجرى مجرى اليراعه المصوته و أفضى ذلك الصوت إلى ذلك العصب الحامل للقوه السامعه حصل الإدراك و بالجمله فلا بد من عظم لأن الحامل اللحم و العصب إنما هو العظم.

و أما التنفس فلا ريب أنه من خرم لأنه من الأنف و إن كان قد يمكن لو سد الأنف أن يتنفس الإنسان من الفم و هو خرم أيضا و الحاجه إلى التنفس إخراج الهواء الحار عن القلب و إدخال النسيم البارد إليه فجعلت الرئه كالمروحه تنبسط و تنقبض فيدخل الهواء بها و يخرج من قصبته النافذه إلى المنخرين

وَقَالَ ع إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ [قَوْمٍ أَعَارَتْهُمْ مَحَاسِنَ غَيْرِهِمْ وَ إِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُمْ سَلَبَتْهُمْ مَحَاسِنَ أَنْفُسِهِمْ] أَحَدٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ وَ إِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ .

كان الرشيد أيام كان حسن الرأي في جعفر بن يحيى يحلف بالله أن جعفرا أفصح من قس بن ساعده و أشجع من عامر بن الطفيل و أكتب من عبد الحميد بن يحيى و أسوس من عمر بن الخطاب و أحسن من مصعب بن الزبير و كان جعفر ليس بحسن الصورة و كان طويل الوجه جدا و أنصح له من الحجاج لعبد الملك و أسمح من عبد الله بن جعفر و أعف من يوسف بن يعقوب فلما تغير رأيه فيه أنكر محاسنه الحقيقيه التي لا يختلف اثنان أنها فيه نحو كياسته و سماحته و لم يكن أحد يجسر أن يرد على جعفر قولا- و لا- رأيا فيقال إن أول ما ظهر من تغير الرشيد له أنه كلم الفضل بن الربيع بشيء فرده عليه الفضل و لم تجر عاداته من قبل أن يفتح فاه في وجهه فأنكر سليمان بن أبي جعفر ذلك على الفضل فغضب الرشيد لإنكار سليمان و قال ما دخولك بين أخي و مولاي كالراضى بما كان من الفضل ثم تكلم جعفر بشيء قاله للفضل فقال الفضل اشهد عليه يا أمير المؤمنين فقال جعفر فض الله فاك يا جاهل إذا كان أمير المؤمنين الشاهد فمن الحاكم المشهود عنده فضحك الرشيد و قال يا فضل لا تمار جعفرا فإنك لا تقع منه موقعا.

و اعلم أنا قد وجدنا تصديق ما قاله ع في العلوم و الفضائل و الخصائص النفسانية دع حديث الدنيا و السلطان و الرئاسة فإن المحفوظ من علم أو من فضيله تضاف إليه شوارد تلك الفضيله و شوارد ذلك الفن مثاله حظ على ع من الشجاعه و من الأمثال الحكيمه قل أن ترى مثلاً شارداً أو كلمه حكميه إلا و تضيفها الناس إليه و كذلك ما يدعى العامه له من الشجاعه و قتل الأبطال حتى يقال إنه حمل على سبعين ألفاً فهزمهم و قتل الجن في البئر و قتل الطوق الحديد في عنق خالد بن الوليد و كذلك حظ عنتره بن شداد في الشجاعه يذكر له من الأخبار ما لم يكن و كذلك ما اشتهر به أبو نواس في وصف الخمر يضاف إليه من الشعر في هذا الفن ما لم يكن قاله و كذلك جود حاتم و عبد الله بن جعفر و نحو ذلك و بالعكس من لا حظ له ينفى عنه ما هو حقيقه له فقد رأينا كثيراً من الشعر الجيد ينفى عن قائله استحقاقاً له لأنه شامل الذكر و ينسب إلى غيره بل رأينا كتباً مصنفه في فنون من العلوم حمل ذكر مصنفيهها و نسبت إلى غيرهم من ذوى النباهه و الصيت و كل ذلك منسوب إلى الجد و الإقبال

وَ قَالَ ع خَالَطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِنْكُمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ وَإِنْ عَشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ .

و قد روى خنوا بالخاء المعجمه من الخنين و هو صوت يخرج من الأنف عند البكاء و إلى تتعلق بمحذوف أى حنوا شوقا إليكم.

و قد ورد فى الأمر بإحسان العشره مع الناس الكثير الواسع و قد ذكرنا طرفا من ذلك فيما تقدم.

و

٤٥٦٢

فى الخبر المرفوع إذا وسعتم الناس ببسط الوجوه و حسن الخلق و حسن الجوار فكأنما وسعتموهم بالمال.

و قال أبو الدرداء إنا لنهش فى وجوه أقوام و إن قلوبنا لتقليهم.

و قال محمد بن الفضل الهاشمى لأبيه لم تجلس إلى فلان و قد عرفت عداوته قال أجبى نارا و أقدح عن ود.

و قال المهاجر بن عبد الله و إنى لأقصى المرء من غير بغضه

و قال عقاب بن شبه التميمى كنت ردف أبى فلقية جرير بن الخطفى على بغله

ص: ١٠٧

فحياه أباى و أطفه فلما مضى قلت له أ بعد أن قال لنا ما قال قال يا بنى أفأوسع جرحى.

و قال محمد بن الحنفية ع قد يدفع باحتمال المكروه ما هو أعظم منه

٤٥٦٣

و قال الحسن ع حسن السؤال نصف العلم و مداراه الناس نصف العقل و القصد فى المعيشه نصف المئونه.

و مدح ابن شهاب شاعرا فأعطاه و قال إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر.

و قال الشاعر و أنزلنى طول النوى دار غربه

٤٥٦٤

و فى الحديث المرفوع للمسلم على المسلم ست يسلم عليه إذا لقيه و يجيبه إذا دعاه و يشمته إذا عطس و يعودده إذا مرض و يحب له ما يحب لنفسه و يشيع جنازته إذا مات.

٤٥٦٥

١٤- و وقف ص على عجوز فجعل يسألها و يتحفهاها و قال إن حسن العهد من الإيمان إنها كانت تأتينا أيام خديجه .

ص: ١٠٨

وَقَالَ ع إِذَا قَدَرْتُ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ .

قد أخذت أنا هذا المعنى فقلت في قطعه لى إن الأمانى أكساب الجهول فلا

و قد تقدم لنا كلام طويل فى الحلم و الصفح و العفو.

و نحن نذكر هاهنا زياده على ذلك شجر بين أبى مسلم و بين صاحب مرو كلام أربى فيه صاحب مرو عليه و أغلظ له فى القول فاحتمله أبو مسلم و ندم صاحب مرو و قام بين يدى أبى مسلم معتذرا و كان قال له فى جملة ما قال يا لقيط فقال أبو مسلم مه لسان سبق و وهم أخطأ و الغضب شيطان و أنا جرأتك على باحتمالك قديما فإن كنت للذنب معتذرا فقد شاركتك فيه و إن كنت مغلوبا فالعفو يسعك فقال صاحب مرو أيها الأمير إن عظم ذنبى يمنعنى من الهدوء فقال أبو مسلم يا عجا أقبالك يا حسان و أنت مسيء ثم أقبالك بإساءه و أنت محسن فقال الآن وثقت بعفوك.

و أذنب بعض كتاب المأمون ذنبا و تقدم إليه ليحتج لنفسه فقال يا هذا قف

مكانك فإنما هو عذر أو يمين فقد وهبتهما لك وقد تكرر منك ذلك فلا تزال تسيء و نحسن و تذنب و نغفر حتى يكون العفو هو الذى يصلحك.

و كان يقال أحسن أفعال القادر العفو و أقبحها الانتقام.

و كان يقال ظفر الكريم عفو و عفو (١) اللئيم عقوبه.

و كان يقال رب ذنب مقدار العقوبه عليه إعلام المذنب به و لا يجاوز به حد الارتفاع إلى الإيقاع.

و كان يقال ما عفا عن الذنب من قرع به.

و من الحلم الذى يتضمن كبرا مستحسنا ما روى أن مصعب بن الزبير لما ولى العراق عرض الناس ليدفع إليهم أرزاقهم فنادى مناديه أين عمرو بن جرموز فقبل له أيها الأمير إنه أبعد فى الأرض قال أ و ظن الأحمق أنى أقتله بأبى عبد الله قولوا له فليظهر آمنا و ليأخذ عطاءه مسلما.

و أكثر رجل من سب الأحنف و هو لا يجيبه فقال الرجل وىلى عليه و الله ما منعه من جوابى إلا هوانى عنده.

و قال لقيط بن زراره فقل لبنى سعد و ما لى و ما لكم

و قال المأمون لإبراهيم بن المهدي لما ظفر به إنى قد شاورت فى أمرك فأشير على بقتلك إلا أنى وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت قتلك للآزم حرمتك فقال إبراهيم يا أمير المؤمنين إن المشير أشار بما تقتضيه السياسة و توجيه العاده إلا أنك أبيت أن

ص: ١١٠

تطلب النصر إلا من حيث عودته من العفو فإن قتلت فلنك نظراء و إن عفوت فلا نظير لك قال قد عفوت فاذهب آمنا.

ضل الأعشى فى طريقه فأصبح بأبيات علقمه بن علاثه فقال قائده و قد نظر إلى قباب الأدم و سوء صباحاه يا أبا بصير هذه و الله أبيات علقمه فخرج فتیان الحى فقبضوا على الأعشى فأتوا به علقمه فمثل بين يديه فقال الحمد لله الذى أظفرنى بك من غير ذمه و لا عقد قال الأعشى أ و تدرى لم ذلك جعلت فداك قال نعم لانتقم اليوم منك بتقوالك على الباطل مع إحسانى إليك قال لا و الله و لكن أظفرك الله بى ليلو قدر حلمك فى فأطرق علقمه فاندفع الأعشى فقال أ علقم قد صيرتنى الأمور

فقال قد فعلت أما و الله لو قلت فى بعض ما قلته فى عامر بن عمر لأغنيك طول حياتك و لو قلت فى عامر بعض ما قلته فى ما أذاقك برد الحياه.

قال معاويه لخالد بن معمر السدوسى على ما ذا أحببت عليا قال على ثلاث حلمه إذا غضب و صدقه إذا قال و وفاؤه إذا وعد

١٢- [كلامه ع في خالطه الناس]

وَقَالَ عَ عَجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْإِخْوَانِ وَ أَعَجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ .

قد ذكرنا قطعه صالحه من الإخوانيات فيما تقدم

٤٥٦٦

١٤- و في الحديث المرفوع أن النبي ص بكى لما قتل جعفر بمؤته و قال المرء كثير بأخيه .

٤٥٦٧

و قال جعفر بن محمد ع لكل شيء حليه و حليه الرجل أوداؤه.

و أنشد ابن الأعرابي لعمرك ما مال الفتى بذخيره و لكن إخوان الصفاء الذخائر.

و كان أبو أيوب السخيتاني (١) يقول إذا بلغنى موت أخ كان لى فكأنما سقط عضو منى.

و كان يقال الإخوان ثلاث طبقات طبقه كالغذاء لا يستغنى عنه و طبقه كالدواء يحتاج إليه عند المرض و طبقه كالداء لا يحتاج إليه أبدا.

و كان يقال صاحبك كرقعه فى قميصك فانظر بما ترقع قميصك.

ص: ١١٢

١- ١) ب: «السجستاني»، و الصواب ما أثبتته من ا.

و كان يونس بن عبيد يقول اثنان ما فى الأرض أقل منهما و لا يزدادان إلا قله درهم يوضع فى حق و أخ يسكن إليه فى الله.

و قال الشاعر أخاك أخاك إن من لا أخا له

و قال آخر و لن تنفك تحسد أو تعادى

و أوصى بعضهم ابنه فقال يا بنى إذا نازعتك نفسك إلى مصاحبه الرجال فاصحب من إذا صحبتك زانك و إذا خدمته صانك و إذا عرضت لك مؤنه أعانك و إن قلت صدق قولك و إن صلت شد صولك و إن مددت يدك لأمر مدها و إن بدت لك (١) عوره سدها و إن رأى منك حسنه عدها و إن سألته أعطاك و إن سكت ابتدأك و إن نزلت بك ملمه واساك من لا تأتيك منه البوائق و لا تحتار (٢) عليك منه الطرائق و لا يخذلك عند الحقائق.

و

٤٥٦٨

من الشعر المنسوب إلى على ع

إن أخاك الحق من كان معك

ص: ١١٣

١-١) فى د«و بغضاء التقى» و هو وجه أيضا.

٢-٢) ا: «عنك».

و من الشعر المنسوب إليه ع أيضا

أخوك الذي إن أجرضتك ملمه

وقال بعض الحكماء ينبغي للإنسان أن يوكل بنفسه كالثين أحدهما يكلؤه من أمامه و الآخر يكلؤه من ورائه و هما عقله الصحيح و أخوه النصيح فإن عقله و إن صح فلن يبصره من عيبه إلا بمقدار ما يرى الرجل من وجهه في المرآه و يخفى عليه ما خلفه و أما أخوه النصيح فيبصره ما خلفه و ما أمامه أيضا.

و كتب ظريف إلى صديق له أنى غير محمود على الانقياد إليك لأنى صادقتك من جوهر نفسى و النفس يتبع بعضها بعضا.

و

فى الحديث المرفوع إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه.

وقال الأحنف خير الإخوان من إذا استغنيت عنه لم يزدك ودا و إن احتجت إليه لم ينقصك.

وقال أعشى باهله يرثى المنتشر بن وهب إما سلكت سبيلا كنت سالكها

وقال آخر يرثى صديقا له أخ طالما سرنى ذكره

رأى بعض الحكماء مصطحبين لا يفترقان فسأل عنهما فقيل صديقان قال فما بال أحدهما غنيا و الآخر فقيرا

١٣- [كلامه ع في من اعتزل القتال و لم ينصره]

وَ قَالَ ع فِي الَّذِينَ اعْتَزَلُوا الْقِتَالَ مَعَهُ خَذَلُوا الْحَقَّ وَ لَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ .

قد سبق ذكر هؤلاء فيما تقدم و هم عبد الله بن عمر بن الخطاب و سعد بن أبي وقاص و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل و أسامه بن زيد و محمد بن مسلمه و أنس بن مالك و جماعه غيرهم.

٤٥٧١

١- و قد ذكر شيخنا أبو الحسين في الغرر أن أمير المؤمنين ع لما دعاهم إلى القتال معه و اعتذروا بما اعتذروا به قال لهم أ تنكرون هذه البيعه قالوا لا لكننا لا نقاتل فقال إذا بايعتم فقد قاتلتم قال فسلموا بذلك من الدم لأن إمامهم رضى عنهم .

و معنى قوله خذلوا الحق و لم ينصروا الباطل أى خذلونى و لم يحاربوا معى معاويه و بعض أصحابنا البغداديين يتوقف فى هؤلاء و إلى هذا القول يميل شيخنا أبو جعفر الإسكافى

ص: ١١٥

١٤- [كلامه ع فى تنفير النعم بقله الشكر]

وَقَالَ ع إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النَّعْمِ فَلَا تُنْفَرُوا أَقْصَاهَا بِقَلِّهِ الشُّكْرِ .

قد سبق القول فى الشكر و نحن نذكر هاهنا زياده على ذلك.

قال بعضهم ما شيبتنى السنون بل شكرى من أحتاج أن أشكره.

و قالوا العفاف زينه الفقر و الشكر زينه الغنى.

و قالوا من سعادته المرء أن يضع معروفه عند من يشكره.

و من جيد ما قيل فى الشكر قول أبى نواس قد قلت للعباس معتذرا

و قال البحرى فإن أنا لم أشكر لنعمائك جاهدا فلا نلت نعمى بعدها توجب الشكرا (١).

ص: ١١٦

١-١ ديوانه ٧١.

و قال أيضا سأجهد فى شكرى لنعماك إننى أرى الكفر للنعماء ضربا من الكفر.

و قال ابن أبى طاهر شكرت عليا بره و بلاءه

و قال أبو الفتح البستي لا تظنن بى و برك حى

و قال أيضا و خر لما أوليت شكرى ساجدا و مثل الذى أوليت يعبده الشكر.

البحترى

أراك بعين المكتسى ورق الغنى

آخر بدأت بمعروف و ثبت بالرضا

ص: ١١٧

١٥- [كلامه ع فى إضاعه الأقرب من الناس]

وَ قَالَ ع مَنْ ضَيَّعَهُ الْأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الْأَبْعَدُ .

إن الإنسان قد ينصره من لا يرجو نصره و إن أهمله أقربوه و خذلوه فقد تقوم به الأجانب من الناس و قد وجدنا ذلك فى حق رسول الله ص ضيعة أهله و رهطه من قريش و خذلوه و تماثلوا عليه فقام بنصره الأوس و الخزرج و هم أبعد الناس نسبا منه لأنه من عدنان و هم من قحطان و كل واحد من الفريقين لا يحب الآخر حتى تحب الأرض الدم و قامت ربيعه بنصر على ع فى صفين و هم أعداء مضر الذين هم أهله و رهطه و قامت اليمن بنصر معاوية فى صفين و هم أعداء مضر و قامت الخراسانية و هم عجم بنصر الدولة العباسية و هى دولة العرب - و إذا تأملت السير وجدت هذا كثيرا شائعا

ص: ١١٨

١٦- [كلامه ع في عدم معاتبه كل مفتون]

وَقَالَ ع مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ .

هذه الكلمه قالها على ع لسعد بن أبي وقاص و محمد بن مسلمه و عبد الله بن عمر لما امتنعوا من الخروج معه لحرب أصحاب الجمل و نظيرها أو قريب منها قول أبي الطيب فما كل فعال يجازى بفعله

ص: ١١٩

وَ قَالَ ع تَذِلُّ الْأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ حَتَّى يَكُونَ الْحَثْفُ فِي التَّذْيِيرِ .

إذا تأملت أحوال العالم وجدت صدق هذه الكلمه ظاهرا و لو شئنا أن نذكر الكثير من ذلك لذكرنا ما يحتاج في تقييده بالكتابه إلى مثل حجم كتابنا هذا و لكننا نذكر لمحا و نكتا و أطرافا و دررا من القول.

فرش مروان بن محمد و قد لقي عبد الله بن علي أنطاعا و بسط عليها المال و قال من جاءني برأس فله مائه درهم فعجزت الحفظه و الحراس عن حمايته و اشتغلت طائفه من الجند بنهبه و تهافت الجيش عليه لينتهبوه فغشيهم عبد الله بن علي بعساكره فقتل منهم ما لا يحصى و هزم الباقون.

و كسر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن جيش أبي جعفر المنصور بباخمري و أمر أصحابه باتباعهم فحال بينهم و بين أصحاب أبي جعفر ماء ضحضاح فكره إبراهيم و جيشه خوض ذلك الماء و كان واسعا فأمر صاحب لوائه أن يتعرج باللواء على مسناه (١) كانت على ذلك الماء يابسه فسلكها صاحب اللواء و هي تفضى بانعراج و انعكاس إلى الأرض اليبس فلما رأى عسكر أبي جعفر أن لواء القوم قد تراجع

ص: ١٢٠

القهقري ظنهم منزهين فعطفوا عليهم فقتلوا منهم مقتله عظيمه و جاء سهم غرب (١) فأصاب إبراهيم فقتله.

و قد دبرت من قبل قريش في حمايه العير بأن نفرت على الصعب و الذلول لتدفع رسول الله ص عن اللطيمه (٢) - فكان هلاكها في تديرها.

و كسرت الأنصار يوم أحد بأن أخرجت النبي ص عن المدينه ظنا منها أن الظفر و النصره كانت بذلك و كان سبب عطبها و ظفر قريش بها و لو أقامت بين جدران المدينه لم تظفر قريش منها بشيء.

و دبر أبو مسلم الدوله الهاشميه و قام بها حتى كان حتفه في تديره.

و كذلك جرى لأبي عبد الله المحتسب مع عبد الله المهدي بالمغرب .

و دبر أبو القاسم بن المسلمه رئيس الرؤساء في إخراج البساسيري عن العراق حتى كان هلاكه على يده و كذلك أيضا انعكس عليه تديره في إزاله الدوله البويهيه من الدوله السلجوقيه ظنا منه أنه يدفع الشر بغير الشر فدفع الشر بما هو شر منه.

و أمثال هذا و نظائره أكثر من أن تحصي

ص: ١٢١

١-١) سهم غرب: لا يدري راميه.

٢-٢) اللطيمه: قافله تحمل العطور.

اشاره

وَ سِئَلِ عٍ عَن قَوْلِ الرَّسُولِ ص عَيَّرُوا الشَّيْبَ وَ لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ فَقَالَ ع إِنَّمَا قَالَ ص ذَلِكَ وَ الدِّينُ قُلٌّ فَأَمَّا الآنَ وَ قَدْ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ وَ ضَرَبَ بِجِرَانِهِ فَأَمْرُؤُ وَ مَا اخْتَارَ .

اليهود لا تخضب و كان النبى ص أمر أصحابه بالخضاب ليكونوا فى رأى العين شبابا فيجبن المشركون عنهم حال الحرب فإن الشيخ مظنه الضعف.

قال على ع كان ذلك و الإسلام قل أى قليل و أما الآن و قد اتسع نطاقه و ضرب بجرانه فقد سقط ذلك الأمر و صار الخضاب مباحا غير مندوب.

و النطاق ثوب تلبسه المرأة لبسه مخصوصه ليس بصدرة و لا سراويل

٤٥٧٢

١٤- و سميت أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين لأنها قطعت من ثوبها ذلك قطعه شدت بها سفره لها حملها أبو بكر معه حين خرج من مكه مع النبى ص يوم الهجره فقال النبى ص لقد أبدلها الله بها نطاقين فى الجنه .

و كان نفر الشام ينادون عبد الله ابنها حين حصره الحجاج بمكه يشتمونه كما زعموا يا ابن ذات النطاقين فيضحك عبد الله منهم و قال لابن أبى عتيق أ لا تسمع يظنونه ذما ثم يقول

ص: ١٢٢

و تلك شكاه ظاهر عنك عارها (١).

و استعار أمير المؤمنين ع هذه اللفظه لسعه رقعته الإسلام و كذلك استعار قوله و ضرب بجرانه أى أقام و ثبت و ذلك لأن البعير إذا ضرب بجرانه الأرض و جرانه مقدم عنقه فقد استناخ و برک.

و امرؤ مبتدأ و إن كان نكره كقولهم شر أمر ذا ناب (٢) لحصول الفائدة و الواو بمعنى مع و هى و ما بعدها الخبر و ما مصدرية أى امرؤ مع اختياره

[نبد مما قيل فى الشيب و الخضاب]

فأما القول فى الخضاب فقد

٤٥٧٣

١٤- روى قوم أن رسول الله ص بدا شيب يسير فى لحيته فغيره بالخضاب خضب بالحناء و الكتم .

و قال قوم لم يشب أصلا.

٤٥٧٤

و روى أن عائشه قالت ما كان الله ليشينه بالشيب فقيل أ و شين هو يا أم المؤمنين قالت كلکم يكرهه.

و أما أبو بكر فصح الخبر عنه بذلك و كذلك أمير المؤمنين و قيل إنه لم يخضب و قتل الحسين ع يوم الطف و هو مخضوب

٤٥٧٥

و فى الحديث المرفوع رواه عقبه بن عامر عليكم بالحناء فإنه خضاب الإسلام إنه يصفى البصر و يذهب بالصداع و يزيد فى الباه و إياكم و السواد فإنه من سود سود الله وجهه يوم القيامة .

٤٥٧٦

و عنه ص عليكم بالخضاب فإنه أهيب لعدوكم و أعجب إلى نساءكم.

ص: ١٢٣

١- (١) لأبى ذؤيب الهذلى، و صدره: *و عيرها الواشون أنى أحبها*.

٢- (٢) ديوان الهذليين ١: ٢١.

و يقال فى أبواب الكنايه للمختضب هو يسود وجه النذير لأن النذير الشيب قيل فى قوله تعالى وَ لَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ (١) إنه الشيب.

و كان عبد الرحمن بن الأسود أبيض الرأس و اللحيه فأصبح ذات يوم و قد حمرهما و قال إن عائشه أرسلت إلى البارحه جاريتها فأقسمت على لأغيرن و قالت إن أبا بكر كان يصبغ.

و روى قيس بن أبى حازم قال كان أبو بكر يخرج إلينا و كان لحيته ضرام عرفج.

٤٥٧٧

و عن أبى عامر الأنصارى رأيت أبا بكر يغير بالحناء و الكتم و رأيت عمر لا يغير شيئاً من شيبه و قال إنى سمعت رسول الله ص يقول من شاب شيبه فى الإسلام كانت له نورا يوم القيامة و لا أحب أن أغير نورى.

و كان أنس بن مالك يخضب و ينشد نسود أعلاها و تأبى أصولها و ليس إلى رد الشباب سبيل.

و روى أن عبد المطلب وفد على سيف بن ذى يزن فقال له لو خضبت فلما عاد إلى مكه خضب فقالت له امرأته نثيله أم العباس و ضرار ما أحسن هذا الخضاب لو دام فقال فلو دام لى هذا الخضاب حمدته

قال يعنى إنه صار شيخاً فصار حكماً بين الناس من قوله لا تغبط المرء أن يقال له أضحى فلان لسنه حكماً.

ص: ١٢٤

وقال أسماء بن خارجة لجاريته اخضبينى فقالت حتى متى أرقعك فقال عيرتنى خلقا أبليت جدته و هل رأيت جديدا لم يعد خلقا.

و أما من

٤٥٧٨

يروى أن عليا ع ما خضب.

فيحتج

٤٥٧٩

١- بقوله و قد قيل له لو غيرت شيبك يا أمير المؤمنين فقال الخضاب زينه و نحن فى مصيبه . يعنى برسول الله ص .

٤٥٨٠

٢- و سئل الحسن ع عن الخضاب فقال هو جزع قبيح .

و قال محمود الوراق يا خاضب الشيب الذى

٤٥٨١

و قد روى قوم عن النبى ص كراهيه الخضاب و أنه قال لو استقبلتم الشيب بالتواضع لكان خيرا لكم.

قال الشاعر و صبغت ما صبغ الزمان فلم يدم صبغى و دامت صبغه الأيام.

و قال آخر يا أيها الرجل المغير شبيهه

و يقولون فى ديوان عرض الجيش ببغداد لمن يخضب إذا ذكروا حليته مستعار و هى كناية لطيفه و أنا أستحسن قول البحترى خضبت بالمقراض كناية عن قص الشعر الأبيض فجعل ذلك خضابه عوضا عن الصبغ و الأبيات هذه لابس من شبيهه أم ناض و

مليح من شبيهه أم راض (١)

ص: ١٢٥

(١-١) ديوانه ٢:٧٢، من قصيد يمدح فيها ابن الفياض.

وإذا ما امتعضت من ولع الشيب

ص: ١٢٤

وَ قَالَ ع مَنْ جَزَى فِى عِنَانٍ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ .

قد تقدم لنا قول كثير فى الأمل و نذكر هاهنا زياده على ذلك.

٤٥٨٢

قال الحسن ع لو رأيت الأجل و مسيره لنسيت الأمل و غروره و يقدر المقدر و القضاء يضحك.

٤٥٨٣

و روى أبو سعيد الخدرى أن أسامه بن زيد اشترى وليده بمائه دينار إلى شهر فقال رسول الله ص أ لا تعجبون من أسامه يشترى إلى شهر إن أسامه لطويل الأمل.

أبو عثمان النهدى قد بلغت نحو من ثلاثين و مائه سنه فما من شىء إلا قد عرفت فيه النقص إلا أملى فإنه كما كان.

قال الشاعر أراك تزيدك الأيام حرصا

و قال آخر من تمنى المنى فأغرق فيها

ص: ١٢٧

اشاره

وَ قَالَ ع اَقِيلُوا ذَوِي الْمُرُوَاتِ عَثْرَاتِهِمْ فَمَا يَعْتُرُّ مِنْهُمْ عَائِرٌ اِلَّا وَ [يَدُهُ بِيَدِ اللّٰهِ]
يَدُ اللّٰهِ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ .

[نبد مما قيل في المروءه]

قد رويت هذه الكلمه مرفوعه ذكر ذلك ابن قتيبه في عيون الأخبار و أحسن ما قيل في المروءه قولهم اللذه ترك المروءه و المروءه ترك اللذه.

٤٥٨٤

١٤- و في الحديث أن رجلا- قام إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله أ لست أفضل قومي فقال إن كان لك عقل فلك فضل و إن كان لك خلق فلك مروءه و إن كان لك مال فلك حسب و إن كان لك تقى فلك دين .

٤٥٨٥

و سئل الحسن عن المروءه فقال جاء في الحديث المرفوع أن الله تعالى يحب معالي الأمور و يكره سفاسفها.

و كان يقال من مروءه الرجل جلوسه بباب داره.

و قال الحسن لا دين إلا بمروءه

ص: ١٢٨

وقيل لابن هبيرة ما المروءه فقال إصلاح المال و الرزانه فى المجلس و الغداء و العشاء بالفناء.

٤٥٨٦

و جاء أيضا فى الحديث المرفوع حسب الرجل ماله و كرمه دينه و مروءته خلقه.

و كان يقال ليس من المروءه كثره الالتفات فى الطريق.

و يقال سرعه المشى تذهب بمروءه الرجل.

و قال معاويه لعمرو ما ألد الأشياء قال مرفتيان قريش أن يقوموا فلما قاموا قال إسقاط المروءه.

و كان عروه بن الزبير يقول لبنيه يا بنى العبوا فإن المروءه لا تكون إلا بعد اللعب و قيل للأحنف ما المروءه قال العفه و الحرفه تعف عما حرم الله و تحترف فيما أحل الله.

و قال محمد بن عمران التيمى لا أشد من المروءه و هى ألا تعمل فى السر شيئا تستحيى منه فى العلانيه و سئل النظام عن المروءه فأنشد بيت زهير الستر دون الفاحشات و لا يلقاك دون الخير من ستر (١).

و قال عمر تعلموا العريبه فإنها تزيد فى المروءه و تعلموا النسب فرب رحم مجهوله قد وصلت به.

و قال ميمون بن مهران أول المروءه طلاقه الوجه و الثانى التودد إلى الناس و الثالث قضاء الحوائج.

و قال مسلمه بن عبد الملك مروءتان ظاهرتان الرياش و الفصاحه.

و كان يقال تعرف مروءه الرجل بكثره ديونه.

و كان يقال العقل يأمرك بالأنفع و المروءه تأمرك بالأجمل.

ص: ١٢٩

(١ - ١) ديوانه ٩٥.

لام معاويه يزيد ابنه على سماع الغناء و حب القيان و قال له أسقطت مروءتك فقال يزيد أتكلم بلساني كلمه قال نعم و بلسان
أبى سفيان بن حرب و هند بنت عتبه مع لسانك قال و الله لقد حدثني عمرو بن العاص و استشهد على ذلك ابنه عبد الله بصدقه
أن أبا سفيان كان يخلع على المغنى الفاضل و المضاعف من ثيابه و لقد حدثني أن جاريته عبد الله بن جدعان غنتاه يوما
فأطربته فجعل يخلع عليهما أثوابه ثوبا ثوبا حتى تجرد تجرد العير و لقد كان هو و عفان بن أبي العاص ربما حملا جاريه العاص
بن وائل على أعناقهما فمرا بها على الأبطح و جله قريش ينظرون إليهما مره على ظهر أبيك و مره على ظهر عفان فما الذى تنكر
منى فقال معاويه اسكت لحاك الله و الله ما أحد ألحق بأبيك هذا إلا ليحرك و يفضحك و إن كان أبو سفيان ما علمت لثقل
الحلم يقظان الرأى عازب الهوى طويل الأناه بعيد القعر و ما سودته قريش إلا لفضله

٢١- [كلامه ع فى الهيبه و الحياء و اغتنام الفرص]

وَ قَالَ ع قُرِنْتَ الْهَيْبَةُ بِالْخَيْبَةِ وَ الْحَيَاءُ بِالْحِرْمَانِ وَ الْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ فَاتْتَهَرُوا فُرْصَ الْخَيْرِ .

فى المثل من أقدم لم يندم و قال الشاعر ليس للحاجات إلا

و كان يقال الفرصه ما إذا حاولته فأخطأك نفعه لم يصل إليك ضره.

و من كلام ابن المقفع انتهز الفرصه فى إحراز المآثر و اغتتم الإمكان باصطناع الخير و لا تنتظر ما تعامل فتجازى عنه بمثله فإنك إن عومت بمكروه و اشتغلت برصد المكافأه عنه قصر العمر بك عن اكتساب فائده و اقتناء منقبه و تصرمت أيامك بين تعد عليك و انتظار للظفر بإدراك الثأر من خصمك و لا عيشه فى الحياه أكثر من ذلك.

كانت العرب إذا أوفدت و افدا قالت له إياك و الهيبه فإنها خيبه و لا تبت عند ذنب الأمر و بت عند رأسه

ص: ١٣١

وَ قَالَ ع لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَ إِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَ إِنْ طَالَ السَّرَى.

[قال الرضى رحمه الله تعالى و هذا القول من لطيف الكلام و فصيحته و معناه أنا إن لم نعط حقنا كنا أذلاء و ذلك أن الرديف يركب عجز البعير كالعبد و الأسير و من يجرى مجراهما]

هذا الفصل قد

٤٥٨٧

ذكره أبو عبيد الهروي في الجمع بين الغريبين و صورته أن لنا حقاً إن نعطه نأخذه و إن منعه نركب أعجاز الإبل و إن طال السرى.

قال قد فسروه على وجهين أحدهما أن راكب عجز البعير يلحقه مشقه و ضرر فأراد أنا إذا منعنا حقنا صبرنا على المشقه و المضره كما يصبر راكب عجز البعير و هذا التفسير قريب مما فسره الرضى و الوجه الثانى أن راكب عجز البعير إنما يكون إذا كان غيره قد ركب على ظهر البعير و راكب ظهر البعير متقدم على راكب عجز البعير فأراد أنا إذا منعنا حقنا تأخرنا و تقدم غيرنا علينا فكنا كالراكب رديفاً لغيره و أكد المعنى على كلا التفسيرين (١) بقوله و إن طال السرى لأنه إذا طال السرى كانت المشقه

ص: ١٣٢

علی راکب عجز البعیر أعظم و کان الصبر علی تأخر راکب عجز البعیر عن الراكب علی ظهره أشد و أصعب.

و هذا الکلام تزعم الإمامیه أنه قاله یوم السقیفه أو فی تلك الأيام و یذهب أصحابنا إلی أنه قاله یوم الشوری بعد وفاه عمر و اجتماع الجماعه لاختیار واحد من الستة و أكثر أرباب السیر یقولونه علی هذا الوجه

ص: ۱۳۳

٢٣- [كلامه ع في الحث و التحريض على العباده]

وَ قَالَ ع مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ [حَسْبُهُ]

نَسْبُهُ .

هذا الكلام حث و حض و تحريض على العباده و قد تقدم أمثاله (١) و سيأتي له نظائر كثيره و هو مثل

٤٥٨٨

قول النبي ص يا فاطمه بنت محمد إني لا أغني عنك من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب إني لا أغني عنك من الله شيئا إني
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ (٢) .

ص: ١٣٤

١- ١) في د«مثله».

٢- ٢) سورة الحجرات ١٣.

وَقَالَ ع مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ وَ التَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ .

قد جاء فى هذا المعنى آثار كثيرة و أخبار جميله كان العتابى قد أملق فجاء فوقف بباب المأمون يسترزق الله على يديه فوافى يحيى بن أكثم فعرض له العتابى فقال له إن رأيت أيها القاضى أن تعلم أمير المؤمنين مكانى فافعل فقال لست بحاجب قال قد علمت و لكنك ذو فضل و ذو الفضل معوان فقال سلكت بى غير طريقى قال إن الله أتحنفك منه بجاه و نعمه و هو مقبل عليك بالزيادة إن شكرت و بالتغيير إن كفرت و أنا لك اليوم خير منك لنفسك لأنى أدعوك إلى ما فيه ازدياد نعمتك و أنت تأبى على و لكل شىء زكاه و زكاه الجاه رفا المستعين فدخل يحيى فأخبر المأمون به فأحضره و حادثه و لطفه و وصله

٢٥- [كلامه ع في التخويف و التحذير من الاستدراج]

وَ قَالَ ع يَا ابْنَ آدَمَ إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعْمَهُ وَ أَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرُهُ .

هذا الكلام تخويف و تحذير من الاستدراج قال سبحانه سَسِيءٌ تَدْرَجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١) و ذلك لأن العبد بغروره يعتقد أن موالاه النعم عليه و هو عاص من باب الرضا عنه و لا يعلم أنه استدراج له و نقمه عليه.

فإن قلت كيف يصح القول بالاستدراج على أصولكم في العدل أ ليس معنى الاستدراج إيهام العبد أنه سبحانه غير ساخط فعله و معصيته فهل هذا الاستدراج إلا مفسده و سبب إلى الإصرار على القبيح.

قلت إذا كان المكلف عالما بقبح القبيح أو متمكنا من العلم بقبحه ثم رأى النعم تتوالى عليه و هو مصر على المعصية كان ترادف تلك النعم كالمنبه له على وجوب الحذر مثال ذلك من هو في خدمه ملك و هو عون ذلك الملك في دولته و يعلم أن الملك قد عرف حاله ثم يرى نعم الملك مترادفه إليه فإنه يجب بمقتضى الاحتياط أن يشتد حذره لأنه يقول ليست حالي مع الملك حال من يستحق هذه النعم و ما هذه إلا مكيدته و تحتها غائله فيجب إذن عليه أن يحذر

ص: ١٣٦

٢٦- [كلامه ع في ظهور ما يضره الإنسان على وجهه ولسانه]

وَقَالَ ع مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَائِتِ لِسَانِهِ وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ .

قال زهير بن أبي سلمى و مهما تكن عند امرئ من خليقه و إن خالها تخفى على الناس تعلم (١).

و قال آخر تخبرني العينان ما القلب كاتم و ما جن بالبغضاء و النظر الشزر.

و قال آخر و في عينيك ترجمه أراها و كان يقال العين و الوجه و اللسان أصحاب أخبار على القلب و قالوا القلوب كالمرايا المتقابلة إذا ارتسمت في إحداهن صوره ظهرت في الأخرى

ص: ١٣٧

١ - ١ ديوانه: ٢٥٧.

٢٧- [كلامه ع في الصبر على الأمور المدفوع لها قهرا و عدم التماس التغيير لها]

وَقَالَ ع امشِ بِدَائِكَ مَا مَشَى بِكَ .

يقول مهما وجدت سبيلا- إلى الصبر على أمر من الأمور التي قد دفعت إليها و فيها مشقه عليك و ضرر لاحق بك فاصبر و لا تلتمس طريقا إلى تغيير ما دفعت إليه أن تسلكها بالعنف و مراغمه الوقت و معاناه الأفضيه و الأقدار و مثال ذلك من يعرض له مرض ما يمكنه أن يحتمله و يدافع الوقت فإنه يجب عليه ألا يطرح جانبه إلى الأرض و يخلد إلى النوم على الفراش ليعالج ذلك المرض قوه و قهرا فربما أفضى به مقاهره ذلك المرض الصغير بالأدويه إلى أن يصير كبيرا معضلا

ص: ١٣٨

٢٨- [كلامه ع في أفضل الزهد]

وَقَالَ ع أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ .

إنما كان كذلك لأن الجهر بالعباده و الزهاده و الإعلان بذلك قل أن يسلم من مخالطه الرياء و قد تقدم لنا في الرياء أقوال مقنعه.

رأى المنصور رجلا واقفا بابه فقال مثل هذا الدرهم بين عينيك و أنت واقف بابنا فقال الربيع نعم لأنه ضرب على غير السكه.

شاعر معشر أثبت الصلاه عليهم

ص: ١٣٩

٢٩- [كلامه ع فى سرعه التقاء الموت و الأجل وإن أدبر عنه]

وَقَالَ ع إِذَا كُنْتُ فِي إِدْبَارٍ وَ الْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ فَمَا أَسْرَعَ الْمُلتَقَى .

هذا ظاهر لأنه إذا كان كلما جاء ففى إدبار و الموت كلما جاء ففى إقبال فيا سرعان ما يلتقيان و ذلك لأن إدباره هو توجهه إلى الموت و إقبال الموت هو توجه الموت إلى نحوه فقد حق إذن الالتقاء سريعاً و مثال ذلك سفينتان بدجله أو غيرها تصعد إحداهما و الأخرى تنحدر نحوها فلا ريب إن الالتقاء يكون وشيكاً

ص: ١٤٠

٣٠- [كلامه ع في التحذير من الاستدراج]

وَقَالَ ع الْحَذَرَ الْحَذَرَ فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ .

قد تقدم هذا المعنى و هو الاستدراج الذى ذكرناه آنفا

ص: ١٤١

إشاره

وَسُئِلَ عَ عَنِ الْإِيْمَانِ فَقَالَ الْإِيْمَانُ عَلَى أَرْبَعٍ دَعَائِمٌ عَلَى الصَّبْرِ وَ الْيَقِيْنِ وَ الْعِدْلِ وَ الْجِهَادِ وَ الصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ عَلَى الشُّوْقِ وَ الشَّفَقِ وَ الزُّهْدِ وَ التَّرَقُّبِ فَمَنْ اشْتَأَقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَيَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ وَ مَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ وَ مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ وَ مَنْ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ [فِي]

إِلَى الْخَيْرَاتِ وَ الْيَقِيْنُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ عَلَى تَبَصُّرِهِ الْفِطْنَةَ وَ تَأْوُلِ الْحِكْمَةِ وَ مَوْعِظَةِ الْعِبْرَةِ وَ سُنَّةِ الْأَوَّلِيْنَ فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ وَ مَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ وَ مَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ فَكَانَتْهَا كَدَانَ فِي الْمَأْوَلِيْنَ وَ الْعِدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ عَلَى غَائِصِ الْفَهِيْمِ وَ غَوْرِ الْعِلْمِ وَ زُهْرَةِ الْحُكْمِ وَ رَسَاخَةِ الْحِلْمِ فَمَنْ فَهِمَ عِلْمَ غَوْرِ الْعِلْمِ وَ مَنْ عِلِمَ غَوْرِ الْعِلْمِ صَيَّرَ عَنْ شَرَائِعِ [الْحِلْمِ]

الْحُكْمِ وَ مَنْ حَلِمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ وَ عَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيْدًا وَ الْجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ عَلَى الْمَأْمُرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الصَّدَقِ فِي الْمِوَاتِنِ وَ سَنَانِ الْفَاسِقِيْنَ فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَ مَيَّنَ نَهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أَنْوَفَ الْمُنَافِقِيْنَ وَ مَنْ صَدَقَ فِي الْمِوَاتِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ وَ مَنْ سَنَى الْفَاسِقِيْنَ وَ غَضِبَ لِلَّهِ غَضِبَ اللَّهُ لَهُ وَ أَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ الْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعٍ دَعَائِمٍ عَلَى التَّعَمُّقِ وَ التَّنَازُعِ وَ الزَّيْغِ وَ الشَّقَاقِ فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُبْ إِلَى الْحَقِّ وَ مَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ

وَمَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ وَسَكِرَ سُكْرَ الضَّلَالَةِ وَ مَنْ شَاقَّ وَعُرْتُ عَلَيْهِ طُرُقُهُ وَ أَعْضَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَ ضَاقَ عَلَيْهِ مَخْرَجُهُ وَ الشُّكُّ عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ عَلَى التَّمَارِ وَ الْهَوْلُ وَ التَّرَدُّدُ وَ الْإِسْتِشْيَامُ فَ مَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دَيْدَانًا لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ وَ مَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَ مَنْ تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ وَ طِئِنَتْهُ سَنَابِكُ الشَّيَاطِينِ وَ مَنْ اسْتَسَلَّمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا.

[قال الرضى رحمه الله تعالى و بعد هذا كلام تركنا ذكره خوف الإطالة و الخروج عن الغرض المقصود في هذا الكتاب]

من هذا الفصل أخذت الصوفية و أصحاب الطريقة و الحقيقة كثيرا من فنونهم في علومهم و من تأمل كلام سهل بن عبد الله التستري و كلام الجنيد و السرى و غيرهم رأى هذه الكلمات في فرش كلامهم تلوح كالكواكب الزاهرة و كل المقامات و الأحوال المذكورة في هذا الفصل قد تقدم قولنا فيها

[نبد و حكايات مما وقع بين يدي الملوك]

و نذكر هاهنا الصدق في المواطن و بين يدي الملوك و من يغضب لله و ينهى عن المنكر و يقوم بالحق و لا يبالى بالسلطان و لا يراقبه.

ص: ١٤٣

دخل عمر بن عبد العزيز على سليمان بن عبد الملك و عنده أيوب ابنه و هو يومئذ ولي عهده قد عقد له من بعده فجاء إنسان يطلب ميراثا من بعض نساء الخلفاء فقال سليمان ما إخال النساء يرثن فى العقار شيئا فقال عمر بن عبد العزيز سبحان الله و أين كتاب الله فقال سليمان يا غلام اذهب فأنتى بسجل عبد الملك الذى كتب فى ذلك فقال له عمر لكأنك أرسلت إلى المصحف فقال أيوب بن سليمان و الله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين فلا يشعر حتى يفارقه رأسه فقال عمر إذا أفضى الأمر إليك و إلى أمثالك كان ما يدخل على الإسلام أشد مما يخشى عليكم من هذا القول ثم قام فخرج.

و روى إبراهيم بن هشام بن يحيى قال حدثنى أبى عن جدى قال كان عمر بن عبد العزيز ينهى سليمان بن عبد الملك عن قتل الحروريه و يقول ضمنهم الحبوس حتى يحدثوا توبه فأتى سليمان بحرورى مستقتل و عنده عمر بن عبد العزيز فقال سليمان للحرورى ما ذا تقول قال ما أقول يا فاسق يا ابن الفاسق فقال سليمان لعمر ما ترى يا أبا حفص فسكت فقال أقسمت عليك لتخبرنى ما ذا ترى عليه فقال أرى أن تشتمه كما شتمك و تشتم أباه كما شتم أباك فقال سليمان ليس إلا قال ليس إلا فلم يرجع سليمان إلى قوله و أمر بضرب عنق الحرورى.

و روى ابن قتيبه فى كتاب عيون الأخبار قال بينما المنصور يطوف ليلا بالبيت سمع قائلا يقول اللهم إليك أشكو ظهور البغى و الفساد و ما يحول بين الحق و أهله من الطمع فخرج المنصور فجلس ناحيه من المسجد و أرسل إلى الرجل يدعوه فصلى ركعتين و استلم الركن و أقبل على المنصور فسلم عليه بالخلافه فقال المنصور ما الذى سمعتك تقوله من ظهور البغى و الفساد فى الأرض و ما يحول بين الحق

و أهله من الطمع فو الله لقد حشوت مسامعي ما أرمضني (١) فقال يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي أنبأتك بالأمر من أصولها وإلا- احتجرت منك و اقتصرت على نفسي فلي فيها شاغل قال أنت آمن على نفسك فقل فقال إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه و بين إصلاح ما ظهر من البغي و الفساد لأنت قال ويحك و كيف يدخلني الطمع و الصفراء و البيضاء في قبضتي و الحلو و الحامض عندي قال و هل دخل أحد من الطمع ما دخلك إن الله عز و جل استرعاك المسلمين و أموالهم فأغفلت أمورهم و اهتمت بجمع أموالهم و جعلت بينك و بينهم حجابا من الجص و الآجر و أبوابا من الحديد و حجه معهم السلاح ثم سجت نفسك فيها منهم و بعثت عمالك في جباية الأموال و جمعها فقويتهم بالسلاح و الرجال و الكراع و أمرت بالألا يدخل عليك إلا- فلان و فلان نفر سميتهم و لم تأمر بإيصال المظلوم و الملهوف و لا الجائع و الفقير و لا الضعيف و العارى و لا أحد ممن له في هذا المال حق فما زال هؤلاء نفر الذين استخلصتهم لنفسك و آثرتهم على رعيتك و أمرت ألا يحجبوا عنك يجبون الأموال و يجمعونها و يحجبونها و قالوا هذا رجل قد خان الله فما لنا لا نخونه و قد سخرنا فائتمروا على ألا يصل إليك من أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا و لا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا بغضوه (٢) عندك و بغوه الغوائل حتى تسقط منزلته و يصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك و عنهم أعظمهم الناس و هابوهم و كان أول من صانعهم عمالك بالهدايا و الأموال ليقبوا بها على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدره و الثروه من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم فامتألت بلاد الله بالطمع بغيا و فسادا و صار هؤلاء القوم شركاءك في سلطنتك و أنت غافل فإن جاء متظلم حيل بينه و بين دخول

ص: ١٤٥

١- ١) ب: «أ مرضى»؛ و الصواب ما أثبتته من ا، د و عيون الأخبار.

٢- ٢) عيون الأخبار: «قصبوه» أي عابوه.

دارك و إن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك وجدك و قد نهيت عن ذلك و وقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فإن جاء المتظلم إليه أرسلوا إلى صاحب المظالم ألا- يرفع إليك قصته و لا- يكشف لك حاله فيجيهم خوفا منك فلا يزال المظلوم يختلف نحوه و يلوذ به و يستغيث إليه و هو يدفعه و يعتل عليه و إذا أجهد و أخرج و ظهرت أنت لبعض شأنك صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره و أنت تنظر و لا تنكر فما بقاء الإسلام على هذا.

و لقد كنت أيام شببتي أسافر إلى الصين فقدمتها مره و قد أصيب ملكها بسمعه فبكى بكاء شديدا فحداه (١) جلساؤه على الصبر فقال أما إنى لست أبكى للبليه النازله و لكن أبكى للمظلوم بالباب يصرخ فلا أسمع صوته ثم قال أما إذ ذهب سمعى فإن بصرى لم يذهب نادوا فى الناس ألا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم (٢) ثم كان يركب الفيل طرفى نهاره ينظر هل يرى مظلوما فهذا مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين على شح نفسه و أنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيه لا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شح نفسك فإن كنت إنما تجمع المال لولدك فقد أراك الله تعالى عبدا فى الطفل يسقط من بطن أمه ما له على الأرض مال و ما من مال يومئذ إلا و دونه يد شحيحة تحويه فلا يزال الله يلفظ بذلك الطفل حتى تعظم رغبه الناس إليه و لست بالذى تعطى و لكن الله يعطى من يشاء ما يشاء و إن قلت إنما أجمع المال لتشبيد السلطان فقد أراك الله عبدا فى بنى أميه ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب و الفضة و أعدوا من الرجال و السلاح و الكراع حين أراد الله بهم ما أراد و إن قلت أجمع المال لطلب غايه هى أجسم من الغايه التى أنا فيها فو الله ما فوق ما أنت فيه إلا منزله لا تدرك إلا بخلاف ما أنت عليه انظر هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل قال لا قال فإن الملك الذى خولك ما خولك

ص: ١٤٦

١-١ (١) عيون الأخبار: «فحته».

٢-٢ (٢) د: «متظلم».

لا يعاقب من عصاه بالقتل بالخلود في العذاب الأليم و قد رأى ما قد عقدت عليه قلبك و عملته جوارحك و نظر إليه بصرك و اجترحته يداك و مشت إليه رجلاك و انظر هل يغنى عنك ما شححت عليه من أمر الدنيا إذا انتزعه من يدك و دعاك إلى الحساب على ما منحك.

فبكى المنصور و قال ليتنى لم أخلق ويحك فكيف أحتال لنفسي قال إن للناس أعلاما يفزعون إليهم في دينهم و يرضون بقولهم فاجعلهم بطانتك يرشدوك و شاورهم في أمرك يسددوك قال قد بعثت إليهم فهربوا مني قال نعم خافوا أن تحملهم على طريقك و لكن افتح بابك و سهل حجابك و انظر المظلوم و اقمع الظالم و خذ الفىء و الصدقات مما حل و طاب و اقسمه بالحق و العدل على أهله و أنا الضامن عنهم أن يأتوك و يسعدوك على صلاح الأمة.

و جاء المؤذنون فسلموا عليه و نادوا بالصلاة فقام و صلى و عاد إلى مجلسه فطلب الرجل فلم يوجد (١).

و روى ابن قتيبة أيضا في الكتاب المذكور أن عمرو بن عبيد قال للمنصور إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها و اذكر ليله تتمخض لك صبيحتها عن يوم القيامة قال يعنى ليله موته فوجم المنصور فقال الربيع حسبك فقد عممت أمير المؤمنين فقال عمرو بن عبيد إن هذا صبحك عشرين سنة لم ير عليه أن ينصحك يوما واحدا و لم يعمل وراء بابك بشيء مما في كتاب الله و لا في سنة نبيه قال أبو جعفر فما أصنع قد قلت لك خاتمي في يدك فهلم أنت و أصحابك فاكفني فقال عمرو دعنا بعدلك نسخ بأنفسنا بعونك و ببابك مظالم كثيره (٢) فارددها نعلم أنك صادق (٣).

ص: ١٤٧

١-١ (١) عيون الأخبار ٣٣٣:٢-٣٣٧.

٢-٢ (٢) عيون الأخبار: «ألف مظلمه».

٢-٣ (٢) عيون الأخبار: «ألف مظلمه».

وقال ابن قتيبه فى الكتاب المذكور و قد قام أعرابى بىن ىدى سلیمان بن عبد الملك بنحو هذا قال له إنى مكلمك یا أمیر المؤمنین بكلام [فیه بعض الغلظه]

(١) فاحتمله إن كرهته فإن وراءه ما تحب قال قل قال إنى سأطلق لسانى بما خرست عنه الألسن من عظمتك تأديه لحق الله إنك قد تكنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دنياهم بدینهم فهم حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه فإنهم لم يألوا الأمانه تضييعا و الأمه خسفا و أنت مسئول عما اجترحوا و ليسوا مسئولین عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره قال فقال سليمان أما أنت یا أعرابى فإنك قد سللت علينا عاجلا لسانك و هو أقطع سيفيك فقال أجل لقد سللته و لكن لك لا عليك (٢)

ص: ١٤٨

١-١) زياده من عيون الأخبار.

٢-٢) عيون الأخبار: ٢٣٨، ٢٣٧.

٣٢- [كلامه ع في فاعل الخير و فاعل الشر]

وَ قَالَ ع فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ وَ فَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ .

قد نظمت أنا هذا اللفظ و المعنى فقلت في جملة أبيات لى خير البضائع للإنسان مكرمه

فإن قلت كيف يكون فاعل الخير خيرا من الخير و فاعل الشر شرا من الشر مع أن فاعل الخير إنما كان ممدوحا لأجل الخير و فاعل الشر إنما كان مذموما لأجل الشر فإذا كان الخير و الشر هما سببا المدح و الذم و هما الأصل فى ذلك فكيف يكون فاعلاهما خيرا و شرا منهما.

قلت لأن الخير و الشر ليسا عباره عن ذات حيه قادره و إنما هما فعلاان أو فعل و عدم فعل أو عدمان فلو قطع النظر عن الذات الحيه القادره التى يصدران عنها لما انتفع أحد بهما و لا استضرر فالنفع و الضرر إنما حصلا من الحى الموصوف بهما لا منهما على انفرادهما فلذلك كان فاعل الخير خيرا من الخير و فاعل الشر شرا من الشر

ص: ١٤٩

٣٣- [كلامه ع في السماح والتبذير والتقدير في المعيشه]

وَقَالَ ع كُنْ سَمَحًا وَلَا تَكُنْ مُبَذِّرًا وَكُنْ مُقَدِّرًا وَلَا تَكُنْ مُقْتَرًا .

كل كلام جاء في هذا فهو مأخوذ من قوله سبحانه وَ لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَ لَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعِدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (١) .

و نحو قوله إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢)

ص : ١٥٠

١- ١) سورة الإسراء ٢٧.

٢- ٢) سورة الإسراء ٢٩.

وَقَالَ عَ أَشْرَفُ الْغِنَى تَزُكُّ الْمُنَى .

قد سبق منا قول كثير فى المنى و نذكر هاهنا ما لم نذكره هناك.

سئل عبيد الله بن أبى بكر أى شىء أدوم متاعا فقال المنى.

و قال بلال بن أبى برده ما يسرنى بنصيبى من المنى حمر النعم.

و كان يقال الأمانى للنفس كالرونق للبصر.

و من كلام بعض الحكماء الأمانى تعمى أعين البصائر و الحظ يأتى من لا يأتيه و ربما كان الطمع و عاء حشوه المتالف و سائقا يدعو إلى الندامه و أشقى الناس بالسلطان صاحبه كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها إحراقا و لا يدرك الغنى بالسلطان إلا نفس خائفه و جسم تعب و دين منكم و إن كان البحر كدر الماء فهو بعيد الهواء

وَقَالَ ع مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ [مَا]

بِمَا لَا يَعْلَمُونَ .

هذا المعنى كثير واسع و لنتقصر هاهنا فيه على حكاية ذكرها المبرد في الكامل قال لما فتح قتيبه بن مسلم سمرقند أفضى (١) إلى أثاث لم ير مثله (٢) و إلى آلات لم ير مثلها فأراد أن يرى الناس عظيم ما أنعم الله به عليه و يعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم فأمر بدار ففرشت و فى صحنها قدور يرتقى إليها بالسلام فإذا الحضيض بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى قد أقبل و الناس جلوس على مراتبهم و الحضيض شيخ كبير فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لأخيه قتيبه ائذن لى فى معاتبته قال لا ترده لأنه خبيث الجواب فأبى عبد الله إلا أن يأذن له و كان عبد الله يضعف و قد كان تسور حائطا إلى امرأه قبل ذلك فأقبل على الحضيض فقال أ من الباب دخلت يا أبا ساسان

ص: ١٥٢

١- ١) أفضى؛ أى اتسع و صار عريضا.

٢- ٢) الكامل: «مثلها».

قال أوجل أسن عمك عن تسور الحيطان قال أ رأيت هذه القدور قال هي أعظم من ألا ترى قال ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أوجل و لا غيلان و لو كان رآها سمى شبعان و لم يسم غيلان قال له عبد الله يا أبا ساسان أ تعرف الذى يقول عزلنا و أمرنا و بكر بن وائل تجر خصاها تبتغى من تحالفه (١).

قال أوجل أعرفه و أعرف الذى يقول بأدنى العزم قاد بنى قشير

يريد يا خيبه من يخيب قال أ فتعرف الذى يقول كأن فقاح الأزد حول ابن مسمع إذا عرقت أفواه بكر بن وائل .

قال نعم أعرفه و أعرف الذى يقول قوم قتيبه أمهم و أبوهم لو لا قتيبه أصبحوا فى مجهل.

قال أما الشعر فأراك ترويه فهل تقرأ من القرآن شيئاً قال أقرأ منه الأكثر الأطيب هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً (٢) فأغضبه فقال و الله لقد بلغنى أن امرأه الحضير حملت إليه و هي حبلى من غيره

ص: ١٥٣

١-١) هو حارثه بن بدر-رغبه الآمل.

٢-٢) سورة الإنسان ١.

قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الأولى ثم قال علي رسله و ما يكون تلد غلاما علي فراشى فيقال فلان بن الحظين كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبه علي عبد الله و قال لا يبعد الله غيرك.

قلت هو الحظين بالضاد المعجمه و ليس في العرب من اسمه الحظين بالضاد المعجمه غيره (1)

ص: ١٥٤

١-١) الكامل ١٤، ١٣، ٣؛ قال أبو العباس: «الحظين بن المنذر بن الحارث بن وعله. و كان الحظين بيده لواء علي بن أبي طالب رحمه الله علي ربيعه؛ و له يقول القائل: لمن رايه سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حطين تقدما. .

٣٦- [كلامه ع فى من أطلال الأمل]

وَقَالَ ع مَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ .

قد تقدم منا كلام فى الأمل.

وقيل لبعض الصالحين أ لك حاجه إلى بغداد قال ما أحب أن أبسط أملى حتى تذهب إلى بغداد و تعود.

وقال أبو عثمان النهدي قد أتت على ثلاثون و مائه سنه ما من شىء إلا و أجد فيه النقص إلا أملى فإنى وجدته كما هو أو يزيد

ص: ١٥٥

٣٧- [كلامه ع لأحد دهاقين الأنبار و هو فى مسيره إلى الشام]

وَ قَالَ ع وَ قَدْ لَقِيَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ دَهَاقِينَ الْأَنْبَارِ فَتَرَجَّلُوا لَهُ وَ اشْتَدُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ مَا هَذَا الَّذِي صَيَّرْتُمُوهُ فَقَالُوا خُلِقْنَا
نُعْظُمُ بِهِ أَمْرَاءَنَا فَقَالَ وَاللَّهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهَذَا أَمْرَاؤُكُمْ وَ إِنِّكُمْ لَتَشُقُّونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَ تَشُقُّونَ بِهِ فِي [أُخْرَاكُمْ]
أَخْرَتِكُمْ وَ مَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ وَ أَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ .

اشتدوا بين يديه

أسرعوا شيئاً فنهاهم عن ذلك و قال إنكم تشقون به على أنفسكم لما فيه من تعب الأبدان و تشقون به فى آخرتكم تخضعون
للولاة كما زعمتم أنه خلق و عاده لكم خضوعاً تطلبون به الدنيا و المنافع العاجله فيها و كل خضوع و تذلل لغير الله فهو معصيه .

ثم ذكر أن الخسران المبين مشقه عاجله يتبعها عقاب الآخرة و الربح البين دعه عاجله يتبعها الأمان من النار

ص: ١٥٦

وَقَالَ ع لِابْنِهِ الْحَسَنِ ع يَا بُنَيَّ اخْفِظْ عَنِّي أَرْبَعًا وَ أَرْبَعًا لَا يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ وَ أَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحُمَقُ وَ أَوْحَشَ الْوَحْشَةَ الْعُجْبُ وَ أَكْرَمَ الْحَسَبِ حُسْنَ الْخُلُقِ يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ وَ يُبْعِدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ .

هذا الفصل يتضمن ذكر العقل و الحمق و العجب و حسن الخلق و البخل و الفجور و الكذب و قد تقدم كلامنا فى هذه الخصال أجمع و قد أخذت قوله ع إياك و مصادقه الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك فقلت فى أبيات لى حياتك لا تصحبن الجهول

وَقَالَ ع لَا قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضْرَّتْ بِالْفَرَائِضِ .

هذا الكلام يمكن أن يحمل على حقيقته و يمكن أن يحمل على مجازه فإن حمل على حقيقته فقد ذهب إلى هذا المذهب كثير من الفقهاء و هو مذهب الإماميه و هو أنه لا- يصح التنفل ممن عليه قضاء فريضة فاتته لا في الصلاة و لا في غيرها فأما الحج فمتفق عليه بين المسلمين أنه لا يصح الابتداء بنفله و إذا نوى نيه النفل و لم يكن قد حج حجه الإسلام وقع حجه فرضاً فأما نوافل الزكاه فما عرفت أحداً قال إنه لا يثاب المتصدق بها و إن كان لم يؤد الزكاه الواجبه و أما إذا حمل على مجازه فإن معناه يجب الابتداء بالأهم و تقديمه على ما ليس بأهم فتدخل هذه الكلمه في الآداب السلطانيه و الإخوانيه نحو أن تقول لمن توصيه لا تبدأ بخدمه حاجب الملك قبل أن تبدأ بخدمه ولد الملك فإنك إنما تروم القربه للملك بالخدمه و لا قربه إليه في تأخير خدمه ولده و تقديم خدمه غلامه و حمل الكلمه على حقيقتها أولى لأن اهتمام أمير المؤمنين ع بالأمر الدينيه و الشرعيه في وصاياه و منشور كلامه أعظم

اشاره

وَ قَالَ ع لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ وَ قَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ.

قال الرضى رحمه الله تعالى و هذا من المعانى العجيبه الشريفه و المراد به أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاوره الرويه و مؤامره الفكره و الأحمق تسبق حذفات لسانه و فلتات كلامه مراجعه فكره و ملاحظه رأيه فكان لسان العاقل تابع لقلبه و كان قلب الأحمق تابع للسانه قال و قد روى عنه ع هذا المعنى بلفظ آخر و هو قوله قلب الأحمق فى فيه و لسان العاقل فى قلبه و معناهما واحد

قد تقدم القول فى العقل و الحمق و نذكر هاهنا زيادات أخرى

[أقوال و حكايات حول الحمقى]

قالوا كل شىء يعز إذا قل و العقل كلما كان أكثر كان أعز و أغلى.

و كان عبد الملك يقول أنا للعاقل المدبر أرجى منى للأحمق المقبل.

قيل لبعضهم ما جماع العقل فقال ما رأيتة مجتمعاً فى أحد فأصفه و ما لا يوجد كاملاً فلا حد له.

و قال الزهرى إذا أنكرت عقلك فاقدحه بعقل.

و قيل عظمت المئونه فى عاقل متجاهل و جاهل متعاقل.

و قيل الأحمق يتحفظ من كل شىء إلا من نفسه.

و قيل لبعضهم العقل أفضل أم الجد فقال العقل من الجد.

و خطب رجلان إلى ديماءوس الحكيم ابنته و كان أحدهما فقيرا و الآخر غنيا فزوجها من الفقير فسأله الإسكندر عن ذلك فقال لأن الغنى كان أحمق فكنت أخاف عليه الفقر و الفقير كان عاقلا فرجوت له الغنى.

و قال أرسطو العاقل يوافق العاقل و الأحمق لا يوافق العاقل و لا أحمق كالعود المستقيم الذى ينطبق على المستقيم فأما المعوج فإنه لا ينطبق على المعوج و لا على المستقيم.

و قال بعضهم لأن أزاول أحمق أحب إلى من أن أزاول نصف أحمق أعنى الجاهل المتعاقل.

و اعلم أن أخبار الحمقى و نوادرهم كثيرة إلا أنا نذكر منها هاهنا ما يليق بكتابنا فإنه كتاب نزهناه عن الخلاعه و الفحش إجلالا لمنصب أمير المؤمنين .

قال هشام بن عبد الملك يوما لأصحابه إن حمق الرجل يعرف بخصال أربع طول لحيته و بشاعه كنيته و نقش خاتمه و إفراط نهفته فدخل عليه شيخ طويل العثون فقال هشام أما هذا فقد جاء بواحد فانظروا أين هو من الباقي قالوا له ما كنيه الشيخ قال أبو الياقوت فسألوه عن نقش خاتمه فإذا هو

وَلَجَأُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ (١) فقييل له أى الطعام تشتهى قال الدباء (٢) بالزيت فقال هشام إن صاحبكم قد كمل.

و سمع عمر بن عبد العزيز رجلا ينادى آخر يا أبا العميرين فقال لو كان له عقل لكفاه أحدهما و أرسل ابن لعجل بن لجيم (٣) فرسا له فى حلبه فجاء سابقا فقييل له سمه باسم يعرف به فقام ففقأ عينه و قال قد سميتاه الأعور فقال شاعر يهجوهم رمتنى بنو عجل بداء أبيهم

و قال أبو كعب القاص فى قصصه إن النبى ص قال فى كبد حمزه ما علمتم فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزه .

و قال مره فى قصصه اسم الذئب الذى أكل يوسف كذا و كذا فقييل له إن يوسف لم يأكله الذئب فقال فهذا اسم الذئب الذى لم يأكل يوسف .

و دخل كعب البقر الهاشمى على محمد بن عبد الله بن طاهر يعزیه فى أخيه فقال له أعظم الله مصيبه الأمير فقال الأمير أما فيك فقد فعل و الله لقد هممت أن أحلق لحيتك فقال إنما هى لحيه الله و لحيه الأمير فليفعل ما أحب.

و كان عامر بن كريز أبو عبد الله بن عامر من حمقى قریش نظر إلى عبد الله و هو يخطب و الناس يستحسنون كلامه فقال لإنسان إلى جانبه أنا أخرجته من هذا و أشار إلى متاعه.

ص: ١٦١

١-١) سورة يوسف ١٨.

٢-٢) الدباء:القرع.

٣-٣) ورد الاسم محرفا فى ا،ب.و أصلحته من د،و العقد ١٥٦:٦.

و من حمقى قريش العاص بن هشام المخزومي و كان أبو لهب قامره فقمره ماله ثم داره ثم قليله و كثيره و أهله و نفسه فاتخذه عبدا و أسلمه قينا فلما كان يوم بدر بعث به بديلا عن نفسه فقتل بيدر قتله عمر بن الخطاب و كان ابن عم أمه.

و من الحمقى الأحوص بن جعفر بن عمرو بن حريث قال له يوما مجالسوه ما بال وجهك أصفر أ تشتكى شيئا فرجع إلى أهله و قال يا بنى الخبيبه أنا شاك و لا تعلموننى اطرحوا على الثياب و ابعثوا إلى الطبيب.

و من حمقى بنى عجل حسان بن الغضبان من أهل الكوفه ورث نصف دار أبيه فقال أريد أن أبيع حصتى من الدار و أشتري بالثمن النصف الباقي فتصير الدار كلها لى.

و من حمقى قريش بكار بن عبد الملك بن مروان و كان أبوه ينهاه أن يجالس خالد بن يزيد بن معاويه لما يعرف من حمقه فجلس يوما إلى خالد فقال خالد يعث به هذا و الله المردد فى بنى عبد مناف فقال بكار أجل أنا و الله كما قال الأول مردد فى بنى اللخناء ترديدا.

و طار لبكار هذا بازى فقال لصاحب الشرطه أغلق أبواب دمشق لئلا يخرج البازى.

و من حمقى قريش معاويه بن مروان بن الحكم بينا هو واقف بباب دمشق ينتظر أخاه عبد الملك على باب طحان و حمار الطحان يدور بالرحى و فى عنقه جلجل فقال للطحان لم جعلت فى عنق هذا الحمار جلجلا فقال ربما أدركتنى نعسه أو سآمه فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أنه قد نام فصحت به فقال أ رأيتاه إن قام و حرك رأسه ما علمك به أنه قائم فقال و من لحمارى بمثل عقل الأمير.

و قال معاويه لحميه و قد دخل بابنته تلك الليله فافتضها لقد ملأتنا ابنتك البارحه دما فقال إنها من نسوه يخبان ذلك لأزواجهن.

و من حمقى قريش سليمان بن يزيد بن عبد الملك قال يوما لعن الله الوليد أخی فلقد كان فاجرا أرادنى على الفاحشه فقال له قائل من أهله اسكت ويحك فو الله إن كان هم لقد فعل.

و خطب سعيد بن العاص عائشه ابنه عثمان فقالت هو أحمق لا أتزوجه أبدا له برذونان لونهما واحد عند الناس و يحمل مؤنه اثنين.

و ممن كان يحمق من قريش عتبه بن أبى سفيان بن حرب و عبد الله بن معاويه بن أبى سفيان و عبد الله بن قيس بن مخرمه بن المطلب و سهل بن عمرو أخو سهيل بن عمرو بن العاص و كان عبد الملك بن مروان يقول أحمق بيت فى قريش آل قيس بن مخرمه .

و من القبائل المشهوره بالحمق الأزدي كتب مسلمه بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب لما خرج عليهم أنك لست بصاحب هذا الأمر إن صاحبه مغمور موتور و أنت مشهور غير موتور فقام إليه رجل من الأزدي فقال قدم ابنك مخلدا حتى يقتل فتصير موتورا.

و قام رجل من الأزدي إلى عبيد الله بن زياد فقال أصلح الله الأمير إن امرأتى هلكت و قد أردت أن أتزوج أمها و هذا عريفى فأعنى فى الصداق فقال فى كم أنت من العطاء فقال فى سبعمائه فقال حطوا من عطائه أربعمائه يكفيك ثلاثمائه.

و مدح رجل منهم المهلب فقال نعم أمير الرفقه المهلب أبيض و ضاح كتيس الحلب.

فقال المهلب حسبك يرحمك الله.

و كان عبد الملك بن هلال عنده زنبيل (١) مملوء حصا للتسييح فكان يسبح بواحدة واحده فإذا مل طرح اثنتين اثنتين ثم ثلاثا ثلاثا فإذا ازداد ملاله قبض قبضه و قال سبحان الله عددك فإذا ضجر أخذ بعرا الزنبيل و قلبه و قال سبحان الله بعدد هذا.

و دخل قوم منزل الخريمى لبعض الأمر فجاء وقت صلاة الظهر فسألوه عن القبلة فقال إنما تركتها منذ شهر.

و حكى بعضهم قال رأيت أعرابيا يبكى فسألته عن سبب بكائه فقال بلغنى أن جالوت قتل مظلوما.

وصف بعضهم أحق فقال يسمع غير ما يقال و يحفظ غير ما يسمع و يكتب غير ما يحفظ و يحدث غير ما يكتب.

قال المأمون لثمامه ما جهد البلاء يا أبا معن قال عالم يجرى عليه حكم جاهل قال من أين قلت هذا قال حبسنى الرشيد عند مسرور الكبير فضيق على أنفاسى فسمعتة يوما يقرأ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢) بفتح الذال فقلت له لا تقل أيها الأمير هكذا قل لِلْمُكَذِّبِينَ و كسرت له الذال لأن المكذبين هم الأنبياء فقال قد كان يقال لى عنك أنك قدرى فلا نجوت إن نجوت الليله منى فعانيت منه تلك الليله الموت من شده ما عذبنى.

قال أعرابى لابنه يا بنى كن سبعا خالصا أو ذئبا حائسا (٣) أو كلبا حارسا و لا تكن أحق ناقصا.

ص: ١٦٤

١-١) الزنبيل، بالكسر و قد يفتح: القفه أو الجراب أو الوعاء.

٢-٢) سورة المرسلات ١٩.

٣-٣) يقال؛ يحوس الذئب الغنم؛ أى يتخللها و يفرقها.

و كان يقال لو لا ظلمه الخطي ما أشرق نور الصواب.

و قال أبو سعيد السيرافي رأيت متكلمًا ببغداد بلغ به نقصه في العريه أنه قال في مجلس مشهور إن العبد مضطر بفتح الطاء و الله مضطر بكسرها و زعم أن من قال الله مضطر عبد إلى كذا بالفتح كافر فانظر أين بلغ به جهله و إلى أي رذيله أداه نقصه.

وصف بعضهم إنسانًا أحمق فقال و الله للحكمه أزل عن قلبه من المداد عن الأديم الدهين.

مر عمر بن الخطاب على رماه غرض فسمع بعضهم يقول أخطيت و أسبت فقال له مه فإن سوء اللحن شر من سوء الرمايه.

تضجر عمر بن عبد العزيز من كلام رجل بين يديه فقال له صاحب شرطته قم فقد أوذيت أمير المؤمنين فقال عمر و الله إنك لأشد أذى لي بكلامك هذا منه.

و من حمقى العرب و جهلائهم كلاب بن صعصعه خرج إخوته يشترون خيلا فخرج معهم فجاء بعجل يقوده فقيل له ما هذا فقال فرس اشتريته قالوا يا مائق (١) هذه بقره أ ما ترى قرنيها فرجع إلى منزله ففقطع قرنيها ثم قادهها فقال لهم قد أعدتها فرسا كما تريدون فأولاده يدعون بنى فارس البقره .

و كان شذره بن الزبرقان بن بدر من الحمقى جاء يوم الجمعة إلى المسجد الجامع فأخذ بعضادتي (٢) الباب ثم رفع صوته سلام عليكم أ يلج شذره فقيل له هذا يوم لا يستأذن فيه فقال أ و يلج مثلى على قوم و لم يعرف له مكانه.

ص: ١٦٥

١-١) المائق: الأحمق.

٢-٢) عضادتا الباب: خشبته من جانيه.

و استعمل معاويه عاملا- من كلب فخطب يوما فذكر المجوس فقال لعنهم الله ينكحون أمهاتهم و الله لو أعطيت عشره آلاف درهم ما نكحت أمة فبلغ ذلك معاويه فقال قبحه الله أ ترونه لو زادوه فعل و عزله.

و شرد بعير لهبته و اسمه يزيد بن شروان فجعل ينادى لمن أتى به بعيران فليل له كيف تبذل ويلك بعيرين في بعير فقال لحلاوه الوجدان.

و سرق من أعرابي حمار فقيل له أ سرق حمارك قال نعم و أحمد الله فقيل له على ما ذا تحمده قال كيف لم أكن عليه.

و خطب و كيع بن أبي سود (١) بخراسان فقال إن الله خلق السماوات و الأرض في ستة أشهر فقيل له إنها ستة أيام فقال و الله لقد قلتها و أنا أستقلها.

و أجريت خيل فطلع فيها فرس سابق فجعل رجل من النظارة يكبر و يثبت من الفرخ فقال له رجل إلى جانبه يا فتى أ هذا الفرس السابق لك قال لا و لكن اللجام لى.

و قيل لأبى السفاح الأعرابي عند موته أوص فقال إنا الكرام يوم طخفه (٢) قالوا قل خيرا يا أبا السفاح قال إن أحببت امرأتى فأعطوها بعيرا قالوا قل خيرا قال إذا مات غلامى فهو حر.

و قيل لرجل عند موته قل لا إله إلا الله فأعرض فأعادوا عليه مرارا فقال لهم أخبرونى عن أبى طالب قالها عند موته قالوا و ما أنت و أبو طالب فقال أرغب بنفسى عن ذلك الشريف.

ص: ١٦٦

١- ١) ب: «أسود» تصحيف صوابه فى د.

٢- ٢) طخفه: موضع فى طريق البصره إلى مكه؛ و يوم طخفه من أيامهم، لبنى يربوع على المنذر بن ماء السماء.

وقيل لآخر عند موته أ لا توصى فقال أنا مغفور لى قالوا قل إن شاء الله قال قد شاء الله ذلك قالوا يا هذا لا تدع الوصيه فقال لابنى أخيه يا ابنى حريث ارفعا وسادى و احتفظا بالحله الجياد(١) فإنما حولكما الأعدى.

وقيل لمعلم بن معلم ما لك أحمق فقال لو لم أكن أحمق لكنت ولد زنا

ص: ١٦٧

٤١ [فى كلامه ع لبعض أصحابه فى عله اعتلها]

وَقَالَ ع لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ فِي عِلِّهِ اعْتَلَّهَا جَعَلَ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْكَ مِنْ شَكْوَاكَ حَطًّا لِسَيِّئَاتِكَ فَإِنَّ الْمَرَضَ لَا أَجْرَ فِيهِ وَ لَكِنَّهُ يُحِطُّ
السَّيِّئَاتِ وَيَحْتُمُّهَا حَتَّى الْأَوْزَاقِ وَإِنَّمَا الْأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ وَالْعَمَلِ بِالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النَّبِيِّ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ .

[قال الرضى رحمه الله تعالى و أقول صدق ع إن المرض لا أجر فيه لأنه من قبيل ما يستحق عليه العوض لأن العوض يستحق على ما كان فى مقابله فعل الله تعالى بالعبء من الآلام و الأمراض و ما يجرى مجرى ذلك و الأجر و الثواب يستحقان على ما كان فى مقابل فعل العبد فبينهما فرق قد بينه ع كما يقتضيه علمه الثاقب و رأيه الصائب]

ينبغى أن يحمل كلام أمير المؤمنين ع فى هذا الفصل على تأويل يطابق ما تدل عليه العقول و ألا يحمل على ظاهره و ذلك لأن المرض إذا استحق عليه الإنسان

العوض لم يجر أن يقال إن العوض يحط السيئات بنفسه لا على قول أصحابنا ولا على قول الإماميه أما الإماميه فإنهم مرجئه لا يذهبون إلى التحابط و أما أصحابنا فإنهم لا تحابط عندهم إلا في الثواب و العقاب فأما العقاب و العوض فلا تحابط بينهما لأن التحابط بين الثواب و العقاب إنما كان باعتبار التنافي بينهما من حيث كان أحدهما يتضمن الإجلال و الإعظام و الآخر يتضمن الاستخفاف و الإهانة و محال أن يكون الإنسان الواحد مهانا معظما في حال واحده و لما كان العوض لا يتضمن إجلالا و إعظاما و إنما هو نفع خالص فقط لم يكن منافيا للعقاب و جاز أن يجتمع للإنسان الواحد في الوقت الواحد كونه مستحقا للعقاب و العوض إما بأن يوفر العوض عليه في دار الدنيا و إما بأن يوصل إليه في الآخرة قبل عقابه إن لم يمنع الإجماع من ذلك في حق الكافر و إما أن يخفف عليه بعض عقابه و يجعل ذلك بدلا من العوض الذي كان سبيله أن يوصل إليه و إذا ثبت ذلك و جب أن يجعل كلام أمير المؤمنين ع على تأويل صحيح و هو الذي أراده ع لأنه كان أعرف الناس بهذه المعاني و منه تعلم المتكلمون علم الكلام و هو أن المرض و الألم يحط الله تعالى عن الإنسان المبتلى به ما يستحقه من العقاب على معاصيه السالفه تفضلا منه سبحانه فلما كان إسقاط العقاب متعبا للمرض و واقعا بعده بلا فصل جاز أن يطلق اللفظ بأن المرض يحط (1) السيئات و يحتها حت الورق كما جاز أن يطلق اللفظ بأن الجماع يحبل المرأة و بأن سقى البذر الماء ينبته إن كان الولد و الزرع عند المتكلمين وقعا من الله تعالى على سبيل الاختيار لا على الإيجاب و لكنه أجرى العاده و أن يفعل ذلك عقيب الجماع و عقيب سقى البذر الماء.

فإن قلت أ يجوز أن يقال إن الله تعالى يمرض الإنسان المستحق للعقاب و يكون إنما أمرضه ليسقط عنه العقاب لا غير.

ص: ١٦٩

قلت لا- لأنه قادر على أن يسقط عنه العقاب ابتداء و لا يجوز إنزال الألم إلا حيث لا يمكن اقتناص العوض المجزى به إليه إلا بطريق الألم و إلا- كان فعل الألم عبثا ألا ترى أنه لا يجوز أن يستحق زيد على عمرو ألف درهم فيضربه و يقول إنما أضربه لأجعل ما يناله من ألم الضرب مسقطا لما استحقه من الدراهم عليه و تدمه العقلاء و يسفهونه و يقولون له فهلا وهبتها له و أسقطتها عنه من غير حاجة إلى أن تضربه و تؤلمه و البحث المستقصى فى هذه المسائل مذكور فى كتبي الكلاميه فليرجع إليها و أيضا فإن الآلام قد تنزل بالأنبياء و ليسوا ذوى ذنوب و معاص ليقال إنها تحطها عنهم .

فأما قوله ع و إنما الأجر فى القول إلى آخر الفصل فإنه ع قسم أسباب الثواب أقساما فقال لما كان المرض لا يقتضى الثواب لأنه ليس فعل المكلف و إنما يستحق المكلف الثواب على ما كان من فعله و جب أن يبين ما الذى يستحق به المكلف الثواب و الذى يستحق المكلف به ذلك أن يفعل فعلا إما من أفعال الجوارح و إما من أفعال القلوب فأفعال الجوارح إما قول باللسان أو عمل ببعض الجوارح و عبر عن سائر الجوارح عدا اللسان بالأيدى و الأقدام لأن أكثر ما يفعل بها و إن كان قد يفعل غيرها نحو مجامعه الرجل زوجته إذا قصد به تحصينها و تحصينه عن الزناء و نحو أن ينحى حجرا ثقيلاً برأسه عن صدر إنسان قد يقتله و غير ذلك و أما أفعال القلوب فهى العزوم و الإرادات و النظر و العلوم و الظنون و الندم فعبر ع عن جميع ذلك بقوله بصدق النيه و السريره الصالحه و اكتفى بذلك عن تعديد هذه الأجناس.

فإن قلت فإن الإنسان قد يستحق الثواب على ألا يفعل القبيح و هذا يخرم الحصر الذى حصره أمير المؤمنين قلت يجوز أن يكون يذهب مذهب أبى على فى أن القادر بقدره لا يخلو عن الأخذ و الترك

وَقَالَ ع فِي ذِكْرِ [خَبَابِ]

خَبَابِ بْنِ الْمَارْتِ رَحِمَ اللَّهُ خَبَابَ بْنَ الْمَارْتِ فَلَقَدْتُ أَسْلِمَ رَاغِباً وَهَيَاجَرَ طَائِعاً وَ[عِيَّاشَ مُجَاهِداً طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعِيَادَ وَعَمِلَ
لِلْحِسَابِ وَقَنَّعَ بِالْكَفَافِ وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ]

قَنَّعَ بِالْكَفَافِ وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ وَعَاشَ مُجَاهِداً طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ وَقَنَّعَ بِالْكَفَافِ وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ .

[خباب بن الأرت]

هو خباب بن الأرت بن جندله بن سعد بن خزيمه بن كعب بن سعد بن زيد مناه بن تميم يكنى أبا عبد الله و قيل أبا محمد و قيل
أبا يحيى أصابه سبى فبيع بمكه (١).

و كانت أمه ختانه و خباب من فقراء المسلمين و خيارهم و كان به مرض و كان فى الجاهليه قينا حدادا يعمل السيوف و هو
قديم الإسلام قيل إنه كان سادس سته و شهد بدرًا و ما بعدها من المشاهد و هو معدود فى المعذبين فى الله سأله عمر بن
الخطاب

ص: ١٧١

١-١) الاستيعاب: «كان قينا يعمل السيوف فى الجاهليه، فأصابه سبأ فبيع بمكه، فاشترته أم أنمار بنت سباع الخزاعيه».

أيام خلافته ما لقيت من أهل مكة فقال انظر إلى ظهري فنظر فقال ما رأيت كاليوم ظهر رجل فقال خباب أوقدوا لي نارا و سحبت (١) عليها فما أطفأها إلا ودك ظهري.

و جاء خباب إلى عمر فجعل يقول ادنه ادنه ثم قال له ما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا أن يكون عمار بن ياسر نزل خباب إلى الكوفة و مات بها في سنة سبع و ثلاثين و قيل سنة تسع و ثلاثين بعد أن شهد مع أمير المؤمنين علي ع صفين و نهروان و صلى عليه علي ع و كانت سنة يوم مات ثلاثا و سبعين سنة و دفن بظهر الكوفة (٢).

و هو أول من دفن بظهر الكوفة و عبد الله بن خباب هو الذي قتلته الخوارج فاحتج علي ع به و طلبهم بدمه و قد تقدم ذكر ذلك

ص: ١٧٢

١-١) ب: «و سخنت»، و أثبت ما في ا، د، و الاستيعاب.

٢-٢) انظر ترجمه خباب في الاستيعاب ١: ٤٣٨.

٤٣ [كلامه ع في أن حبه من الإيمان و بغضه من النفاق]

وَ قَالَ ع: لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَيَّ أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي وَ لَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَاتِهَا عَلَيَّ الْمُنَافِقِ عَلَيَّ أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي وَ ذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَأَنْقَضَى عَلَيَّ لِسَانَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ص أَنَّهُ قَالَ يَا عَلِيُّ لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَ لَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ .

جماتها

بالفتح جمع جمه و هى المكان يجتمع فيه الماء و هذه استعاره و الخيشوم أقصى الأنف .

و مراده ع من هذا الفصل إذكار الناس

٤٥٨٩

ما قاله فيه رسول الله ص و هو

لا يبغضك مؤمن و لا يحبك منافق .

و هى كلمه حق و ذلك لأن الإيمان و بغضه ع لا يجتمعان لأن بغضه كبيره و صاحب الكبيره عندنا لا يسمى مؤمنا و أما المنافق فهو الذى يظهر الإسلام و يبطن الكفر و الكافر بعقيدته لا يحب عليا ع لأن المراد من الخبر المحبه الدينيه و من لا يعتقد الإسلام لا يحب أحدا من أهل الإسلام لإسلامه و جهاده فى الدين فقد بان أن الكلمه حق

٤٥٩٠

و هذا الخبر مروى فى الصحاح بغير هذا اللفظ لا يحبك إلا مؤمن و لا يبغضك إلا منافق.

و قد فسرناه فيما سبق

ص: ١٧٣

٤٤- [كلامه ع في تفضيل السيئه تسوء الإنسان على الحسنه تعجب الإنسان]

وَقَالَ ع سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ .

هذا حق لأن الإنسان إذا وقع منه القبيح ثم ساءه ذلك و ندم عليه و تاب حقيقه التوبه كفرت توبته معصيته فسقط ما كان يستحقه من العقاب و حصل له ثواب التوبه و أما من فعل واجبا و استحق به ثوبا ثم خامره الإعجاب بنفسه و الإدلال على الله تعالى بعلمه و التيه على الناس بعبادته و اجتهاده فإنه يكون قد أحبط ثواب عبادته بما شفعتها من القبيح الذي أتاه و هو العجب و التيه و الإدلال على الله تعالى فيعود لا مثابا و لا معاقبا لأنه يتكافأ الاستحقاقان.

و لا ريب أن من حصل له ثواب التوبه و سقط عنه عقاب المعصيه خير ممن خرج من الأمرين كفافا (١) لا عليه و لا له

ص: ١٧٤

(١-١) الكفاف من الشيء، مثله.

وَقَالَ ع قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ وَ صِدْقُهُ عَلَى قَدْرِ مُرْوَعَتِهِ وَ شَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَنْفَتِهِ وَ عِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ .

قد تقدم الكلام في كل هذه الشيم و الخصال ثم نقول هاهنا إن كبر الهمه خلق مختص بالإنسان فقط و أما سائر الحيوانات فليس يوجد فيها ذلك و إنما يتجرأ كل نوع منها الفعل بقدر ما في طبعه و علو الهمه حال متوسطه محموده بين حالتين طرفي رذيلتين و هما الندح و تسميه الحكماء التفتح و صغر الهمه و تسميه الناس الدناءه فالتفتح تأهل الإنسان لما لا يستحقه و صغر الهمه تركه لما يستحقه لضعف في نفسه فهذان مذمومان و العداله و هي الوسط بينهما محموده و هي علو الهمه و ينبغي أن يعلم أن المتفتح جاهل أحمق و صغير الهمه ليس بجاهل و لا أحمق و لكنه دنيء ضعيف قاصر و إذا أردت التحقيق فالكبير الهمه من لا يرضى بالهمم الحيوانيه و لا يقنع لنفسه أن يكون عند رعايه بطنه و فرجه بل يجتهد في معرفه صانع العالم و مصنوعات و في اكتساب المكارم الشرعيه ليكون من خلفاء الله و أوليائه في الدنيا و مجاوريه في الآخره و لذلك قيل من عظمت همته لم يرض بقنيه مسترده و حياه مستعاره فإن أمكنك

أن تقتنى قنيه مؤبده و حياه مخلده فافعل غير مكترث بقله من يصحبك و يعينك على ذلك فإنه كما قيل إذا عظم المطلوب قل المساعد.

و كما قيل طرق العلاء قلبه الإيناس.

و أما الكلام فى الصدق و المروءه و الشجاعه و الأنفه و العفه و الغيره فقد تقدم كثير منه و سيأتى ما هو أكثر فيما بعد إن شاء الله تعالى

ص: ١٧٤

وَ قَالَ ع الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ وَ الْحَزْمُ بِإِجَالِهِ الرَّأْيُ وَ الرَّأْيُ بِتَخْصِينِ الْأَسْرَارِ .

قد تقدم القول في كتمان السر و إذاعته.

و قال الحكماء السر ضربان أحدهما ما يلقي إلى الإنسان من حديث ليستكنم و ذلك إما لفظا كقول القائل اكنم ما أقوله لك و إما حالا- و هو أن يجهر (١) بالقول حال انفراد صاحبه أو يخفض صوته حيث يخاطبه أو يخفيه عن مجالسيه و لهذا قيل إذا حدثك إنسان و التفت إليه فهو أمانه.

و الضرب الثاني نوعان أحدهما أن يكون حديثا في نفسك تستقبح إشاعته و الثاني أن يكون أمرا تريد أن تفعله.

و إلى الأول

٤٥٩١

أشار النبي ص بقوله من أتى منكم شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله عز و جل.

و إلى الثاني أشار من قال من الوهن و الضعف إعلان الأمر قبل إحكامه و كتمان الضرب الأول من الوفاء و هو مخصوص بعوام الناس و كتمان الضرب الثاني من المروءة و الحزم و النوع الثاني من نوعيه أخص بالملوك و أصحاب السياسات.

قالوا و إذاعه السر من قله الصبر و ضيق الصدر و يوصف به ضعفه الرجال

ص: ١٧٧

و النساء و الصبيان و السبب فى أنه يصعب كتمان السر أن للإنسان قوتين إحداهما آخذه و الأخرى معطيه و كل واحد منهما تشوق إلى فعلها الخاص بها و لو لا أن الله تعالى و كل المعطيه بإظهار ما عندها لما أتاك بالأخبار من لم تزود فعلى الإنسان أن يمسك هذه القوه و لا يطلقها إلا حيث يجب إطلاقها فإنها إن لم ترم و تخطم تقحمت بصاحبها فى كل مهلكه

ص: ١٧٨

٤٧- [كلامه ع فى الحذر من صوله الكريم و اللئيم]

وَ قَالَ ع اخذروا صَوْلَهُ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ وَ اللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ .

ليس يعنى بالجوع و الشبع ما يتعارفه الناس و إنما المراد اخذروا صوله الكريم إذا ضيم و امتهن و اخذروا صوله اللئيم إذا أكرم و مثل المعنى الأول قول الشاعر لا يصبر الحر تحت ضيم و إنما يصبر الحمار.

و مثل المعنى الثانى قول أبى الطيب إذا أنت أكرمت الكريم ملكته و إن أنت أكرمت اللئيم تمردا (١)

ص: ١٧٩

١-١ ديوانه ١:٢٨٨.

٤٨- [كلامه ع فى بيان أصل طبيعه القلوب و كيفيه استمالتها]

وَ قَالَ ع قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحْشِيَّةٌ فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ .

هذا مثل قولهم من لان استمال و من قسا نفر و ما استعبد الحر بمثل الإحسان إليه و قال الشاعر و إنى لوحشى إذا ما زجرتنى و إنى إذا ألفتنى لألوف.

فأما قول عماره بن عقيل تبحتتم سخطى فكدر بحثكم

فيكاد يخالف قول أمير المؤمنين ع فى الأصل لأن أمير المؤمنين ع جعل أصل طبيعه القلوب التوحش و إنما تستمال لأمر خارج (١) و هو التألف و الإحسان و عماره جعل أصل طبيعه النفس الصفو و السلامه و إنما تتكدر و تجمح لأمر خارج (٢) و هو الإساءه و الإيحاش

ص: ١٨٠

١- (١) الكامل للمبرد ١:٢٩.

٢- (١) الكامل للمبرد ١:٢٩.

وَقَالَ ع عَيْبُكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جُدُّكَ .

قد قال الناس فى الجد فأكثرُوا و إلى الآن لم يتحقق معناه و من كلام بعضهم إذا أقبل البخت باضت الدجاجة على الوتد و إذا أدبر البخت أسعر الهاون فى الشمس.

و من كلام الحكماء إن السعادة لتلحظ الحجر فيدعى ربا.

و قال أبو حيان نوادى ابن الجصاص الداله على تغفله و بلهه كثيره جدا قد صنف فيها الكتب من جملتها أنه سمع إنسانا ينشد نسيبا فيه ذكر هند فأنكر ذلك و قال لا تذكروا حماه النبى ص إلا بخير و أشياء عجيبه أظرف من هذا و كانت سعاده تضرب بها الأمثال و كثره أمواله التى لم يجتمع لقارون مثلها قال أبو حيان فكان الناس يعجبون من ذلك حتى أن جماعه من شيوخ بغداد كانوا يقولون إن ابن الجصاص أعقل الناس و أحزم الناس و أنه هو الذى ألحم الحال بين المعتضد و بين خمارويه بن أحمد بن طولون و سفر بينهما سفاره عجيبه و بلغ من الجهتين أحسن مبلغ و خطب قطر الندى بنت خمارويه للمعتضد و جهزها من مصر

على أجمل وجه و أعلى ترتيب و لكنه كان يقصد أن يتغافل و يتجاهل و يظهر البله و النقص يستبقى بذلك ماله و يحرس به نعمته و يدفع عنه عين الكمال و حسد الأعداء.

قال أبو حيان قلت لأبي غسان البصرى أظن ما قاله هؤلاء صحيحا فإن المعتضد مع حزمه و عقله و كماله و إصابه رأيه ما اختاره للسفاره و الصلح إلا و المرجو منه فيما يأتيه و يستقبله من أيامه نظير ما قد شوهد منه فيما مضى من زمانه و هل كان يجوز أن يصلح أمر قد تفاقم فساده و تعاظم و اشتد برسالة أحرق و سفاره أخرق فقال أبو غسان إن الجد ينسخ حال الأخرق و يستر عيب الأحمق و يذب عن عرض المتلطح و يقرب الصواب بمنطقه و الصحه برأيه و النجاح بسعيه و الجد يستخدم العقلاء لصاحبه و يستعمل آراءهم و أفكارهم فى مطالبه و ابن الجصاص على ما قيل و روى و حدث و حكى و لكن جده كفاه غائله الحمق و حماه عواقب الخرق و لو عرفت خبط العاقل و تعسفه و سوء تأتية و انقطاعه إذا فارقه الجدل لعلمت أن الجاهل قد يصيب بجهله ما لا يصيب العالم بعلمه مع حرمانه.

قال أبو حيان فقلت له فما الجدل و ما هذا المعنى الذى علقته عليه هذه الأحكام (١) كلها فقال ليس لى عنه عباره معينه و لكن لى به علم شاف استفدته بالاعتبار و التجربه و السماع العريض من الصغير و الكبير و لهذا (٢) سمع من امرأه من الأعراب ترقص ابنا لها فتقول له رزقك الله جدا يخدمك عليه ذوو العقول و لا رزقك عقلا تخدم به ذوى الجدود

ص: ١٨٢

١- ١) د: «الأحوال».

٢- ٢) ا: «و قد سمع».

وَ قَالَ عَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ .

قد تقدم لنا قول مقنع فى العفو و الحلم.

و قال الأحنف ما شىء أشد اتصالا بشىء من الحلم بالعز.

و قالت الحكماء ينبغى للإنسان إذا عاقب من يستحق العقوبه ألا يكون سبعا فى انتقامه و ألا يعاقب حتى يزول سلطان غضبه لئلا يقدم على ما لا يجوز و لذلك جرت سنه السلطان بحبس المجرم حتى ينظر فى جرمه و يعيد النظر فيه.

و أتى الإسكندر بمذنب فصفح عنه فقال له بعض جلسائه لو كنت إياك أيها الملك لقتلته قال فإذا لم تكن إياى و لا كنت إياك لم يقتل.

و انتهى إليه أن بعض أصحابه يعيبه فقبل له أيها الملك لو نهكته عقوبه فقال يكون حينئذ أبسط لسانا و عذرا فى اجتنابى.

و قالت الحكماء أيضا لذه العفو أطيّب من لذه التشفى و الانتقام لأن لذه العفو يشفعها حميد العاقبه و لذه الانتقام يلحقها ألم الندم و قالوا العقوبه ألام حالات ذى القدره و أدناها و هى طرف من الجزع و من رضى ألا يكون بينه و بين الظالم إلا ستر رقيق فليتنصف

٥١ [كلامه ع في السخاء]

وَقَالَ ع السَّخَاءُ مَا كَانَ ابْتِدَاءً فَإِذَا كَانَ عَنْ مَسْأَلِهِ فَحَيَاءٌ وَتَذَمُّمٌ .

يعجبني في هذا المعنى قول ابن حياوس إني دعوت ندى الكرام فلم يجب

وقال آخر ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله

ص: ١٨٤

وَ قَالَ ع لَا غِنَى كَالْعَقْلِ وَ لَا فَقْرَ كَالْجَهْلِ وَ لَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ وَ لَا ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ .

٤٥٩٢

روى أبو العباس فى الكامل عن أبى عبد الله ع أنه قال خمس من لم يكن فيه لم يكن فيه كثير مستمتع العقل و الدين و الأدب و الحياء و حسن الخلق.

٤٥٩٣

و قال أيضا لم يقسم بين الناس شىء أقل من خمس اليقين و القناعة و الصبر و الشكر و الخمسة التى يكمل بها هذا كله العقل.

و

٤٥٩٤

عنه ع أول ما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال ما خلقت خلقا أحب إلى منك لك الثواب و عليك العقاب.

٤٥٩٥

عنه ع قال قال رسول الله ص إن الله ليغضض الضعيف الذى لا زبر له قال الزبر العقل.

٤٥٩٦

و عنه ع عن رسول الله ص ما قسم الله للعباد أفضل من العقل فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل و فطر العاقل أفضل من صوم الجاهل و إقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل و ما بعث الله رسولا حتى يستكمل العقل

ص: ١٨٥

و حتى يكون عقله أفضل من عقول جميع أمته و ما يضمه في نفسه أفضل من اجتهاد جميع المجتهدين و ما أدى العبد فرائض الله تعالى حتى عقل عنه و لا يبلغ جميع العابدين في عباداتهم ما يبلغه العاقل و العقلاء هم أولو الألباب الذين قال الله تعالى عنهم **وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ** .

٤٥٩٧

٦- قال أبو العباس و قال رجل من أصحاب أبي عبد الله ع له و قد سمعه يقول بل يروى (١) مرفوعا إذا بلغكم عن رجل حسن الحال فانظروا في حسن عقله فإنما يجازى بعقله يا ابن رسول الله إن لي جارا كثير الصدقه كثير الصلاه كثير الحج لا بأس به فقال كيف عقله فقال ليس له عقل فقال لا يرتفع بذاك منه .

٤٥٩٨

و عنه ع ما بعث الله نبيا إلا عاقلا و بعض النبيين أرجح من بعض و ما استخلف داود سليمان ع حتى اختبر عقله و هو ابن ثلاث عشره سنه فمكث في ملكه ثلاثين سنه.

و

٤٥٩٩

عنه مرفوعا صديق كل امرئ عقله و عدوه جهله.

٤٦٠٠

عنه مرفوعا أنا معاشر الأنبياء نكلم الناس على قدر عقولهم.

٤٦٠١

٦- قال أبو العباس و سئل أبو عبد الله ع ما العقل فقال ما عبد به الرحمن و اكتسبت به الجنان .

٤٦٠٢

٢- قال و قال أبو عبد الله سئل الحسن بن علي ع عن العقل فقال التجرع للغصه و مداهنه الأعداء .

قلت هذا كلام الحسن ع و أنا أقطع بذلك.

ص: ١٨٦

قال أبو العباس و قال أبو عبد الله العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه و لا يسأل من يخاف منعه و لا يثق بمن يخاف عذره و لا يرجو من لا يوثق برجائه.

٥- قال أبو العباس و روى عن أبي جعفر قال كان موسى ع يدنى رجلا من بنى إسرائيل لطول سجوده و طول صمته فلا يكاد يذهب إلى موضع إلا و هو معه فيينا هو يوما من الأيام إذ مر على أرض معشبه تهتز فتأوه الرجل فقال له موسى على ما ذا تأوهت قال تمنيت أن يكون لربى حمار و أرعاه (١) هاهنا فأكب موسى طويلا ببصره إلى الأرض اغتماما بما سمع منه فانحط عليه الوحي فقال ما الذى أنكرت من مقاله عبدى إنما آخذ عبادى على قدر ما آتيتهم .

١- قال أبو العباس و روى عن على ع هبط جبرائيل ع على آدم ع بثلاث ليختار منها واحده و يدع اثنتين و هى العقل و الحياء و الدين فاختر العقل فقال جبرائيل للحياء و الدين انصرفا فقالا إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان فقال فشأنكما ففاز بالثلاث .

فأما قوله ع و لا ميراث كالأدب فإنى قرأت فى حكم الفرس عن بزرجمهر ما ورثت الآباء أبناءها شيئا أفضل من الأدب لأنها إذا ورثتها الأدب اكتسبت بالأدب المال فإذا ورثتها المال بلا أدب أتلفته بالجهل و قعدت صفرا من المال و الأدب.

قال بعض الحكماء من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا.

و كان يقال من أدب ولده أرغم حاسده.

و كان يقال ثلاثه لا غربه معهن مجانبه الريب و حسن الأدب و كف الأذى.

و كان يقال عليكم بالأدب فإنه صاحب في السفر و مؤنس في الوحده و جمال في المحفل و سبب إلى طلب الحاجه.

و قال بزجمهر من كثر أدبه كثر شرفه و إن كان قبل و ضيعا و بعد صيته و إن كان خاملا و ساد و إن كان غريبا و كثر الحاجه إليه و إن كان مقلا.

و قال لبعض الملوك لبعض وزرائه ما خير ما يرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فإن عدمه قال أدب يتحلى به قال فإن عدمه قال مال يستتر به قال فإن عدمه قال صاعقه تحرقه فتريح منه العباد و البلاد.

و قيل لبعض الحكماء متى يكون العلم شرا من عدمه قال إذا كثر الأدب و نقصت القريحه يعنى بالقريحه العقل.

فأما القول في المشوره فقد تقدم و ربما ذكرنا منه نبذا فيما بعد

ص: ١٨٨

الصَّبْرُ صَبْرَانِ صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ وَ صَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ .

النوع الأول أشق من النوع الثانى لأن الأول صبر على مضره نازله و الثانى صبر على محبوب متوقع لم يحصل و قد تقدم لنا قول طويل فى الصبر.

سئل بزرجمهر فى بليته (١) عن حاله فقال هون على ما أنا فيه فكرى فى أربعة أشياء أولها أنى قلت القضاء و القدر لا بد من جريانهما و الثانى أنى قلت إن لم أصبر فما أصنع و الثالث أنى قلت قد كان يجوز أن تكون المحنه أشد من هذه و الرابع أنى قلت لعل الفرج قريب.

و قال أنو شروان جميع أمر الدنيا منقسم إلى ضربين لا- ثالث لهما أما ما فى دفعه حيله فالاضطراب دواؤه و أما ما لا حيله فيه فالصبر شفاؤه

ص: ١٨٩

وَ قَالَ ع الْغِنَى فِى الْغُرْبَةِ وَ طَنٌّ وَ الْفَقْرُ فِى الْوَطَنِ غُرْبَةٌ .

قد تقدم لنا قول مقنع فى الفقر و الغنى و مدحهما و ذمهما على عادتنا فى ذكر الشىء و نقيضه و نحن نذكر هاهنا زياده على ذلك.

قال رجل لبقرط (١) ما أشد فقرك أيها الحكيم قال لو عرفت راحة الفقر لشغلكت التوجع لنفسك عن التوجع لى الفقر ملكك ليس عليه محاسبه.

و كان يقال أضعف الناس من لا يحتمل الغنى.

و قيل للكندى فلان غنى فقال أنا أعلم أن له مالا و لكنى لا أعلم أ غنى هو أم لا لأننى لا أدرى كيف يعمل فى ماله.

قيل لابن عمر توفى زيد بن ثابت و ترك مائه ألف درهم قال هو تركها لكنها لم تتركه.

و قالوا حسبك من شرف الفقر أنك لا ترى أحدا يعصى الله ليفتقر أخذه الشاعر فقال يا عائب الفقر ألا تزدرج

و كان يقال الحلال يقطر و الحرام يسيل

ص : ١٩٠

وقال بعض الحكماء ألا ترون ذا الغنى ما أدوم نصبه و أقل راحته و أخس من ماله حظه و أشد من الأيام حذره و أغرى الدهر
بنقصه و ثلمه ثم هو بين سلطان يرعاه و حقوق تسترعيه و أكفاء ينافسونه و ولد يودون موته قد بعث الغنى عليه من سلطانه العناء
و من أكفائه الحسد و من أعدائه البغى و من ذوى الحقوق الذم و من الولد الملاله و تمنى الفقيد لا كذى البلغه قنع فدام له
السرور و رفض الدنيا فسلم من الحسد و رضى بالكفاف فكفى الحقوق

ص: ١٩١

وَ قَالَ ع الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يُنْفَدُ.

[قال الرضى رحمه الله تعالى و قد روى هذا الكلام عن النبى ص]

قد ذكرنا نكتا جليله الموقع فى القناعه فيما تقدم و نذكر هاهنا زياده على ذلك.

فمن كلام الحكماء قاوم الفقر بالقناعه و قاهر الغنى بالتعفف و طاول عناء الحاسد بحسن الصنع و غالب الموت بالذكر الجميل.

و كان يقال الناس رجالان واجد لا يكتفى و طالب لا يجد أخذه الشاعر فقال و ما الناس إلا واجد غير قانع بأرزاقه أو طالب غير واجد.

قال رجل لبقرات (١) و رآه يأكل العشب (٢) لو خدمت الملك لم تحتج إلى أن تأكل الحشيش فقال له و أنت إن أكلت الحشيش لم تحتج أن تخدم الملك

ص: ١٩٢

١- ١) ا،ب: «سقراط».

٢- ٢) د: «عشبا».

وَ قَالَ ع الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ .

قد تقدم لنا كلام فى المال مدحا و ذما.

و قال أعرابى لبنیه اجمعوا الدراهم فإنها تلبس الیلمق و تطعم الجرذق (١).

و قال أعرابى و قد نظر إلى دینار قاتلك الله ما أصغر قمتك و أكبر همتك.

و من كلام الحكماء ما اخترت أن تحیا به فمت دونه.

سئل أفلاطون عن المال فقال ما أقول فى شىء یعطیه الحظ و یحفظه اللؤم و یبلعه الكرم.

و كان یقال ثلاثه یؤثرون المال على أنفسهم تاجر البحر و المقاتل بالأجره و المرتشى فى الحكم و هو شرهم لأن الأولین ربما سلما و لا سلامه للثالث من الإثم.

ثم قالوا و قد سمى الله تعالى المال خیرا فى قوله إِنْ تَرَكَ خَيْرًا (٢) و فى قوله وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٣).

كان عبد الرحمن بن عوف یقول حبذا المال أصون به عرضى و أقرضه ربى

ص: ١٩٣

١- ١) الیلمق: القباء المحشو؛ و هو بالفارسیه: «یلمه» و الجرذق: الرغیف؛ فارسیه أيضا.

٢- ٢) سورة البقره ١٨٠.

٣- ٣) سورة العادیات ٨.

فيضاعفه لى وقالوا فى ذم المال المال مثل الماء غاد و رائح طبعه كقطع الصبى لا يوقف على سبب رضاه و لا سخطه المال لا ينفعك ما لم تفارقه.

و فيه قال الشاعر و صاحب صدق ليس ينفع قربه و لا وده حتى تفارقه عمدا.

و أخذ هذا المعنى الحريرى فقال و ليس يغنى عنك فى المضايق إلا إذا فر فرار الأبق.

و قال الشاعر أ لم تر أن المال يهلك ربه

ص: ١٩٤

وَ قَالَ ع مَنْ حَذَرَكَ كَمَنْ بَشَرَكَ .

هذا مثل قولهم اتبع أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك (١) و مثله صديقك من نهاك لا من أغراك و مثله رحم الله أمرا أهدي إلى عيوبى.

و التحذير هو النصح و النصح واجب و هو تعريف الإنسان ما فيه صلاحه و دفع المضره عنه

٤٦٠٦

١٤- و قد جاء فى الخبر الصحيح الدين النصيحة فليل يا رسول الله لمن فقال لعامة المسلمين .

و أول ما يجب على الإنسان أن يحذر نفسه و ينصحها فمن غش نفسه فقلما يحذر غيره و ينصحه و حق من استنصح أن يبذل غاية النصح و لو كان فى أمر يضره و إلى ذلك وقعت الإشاره فى الكتاب العزيز بقوله سبحانه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ (٢) و قال سبحانه وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ (٣) .

و معنى قوله ع كمن بشرك أى ينبغى لك أن تسر بتحذيره لك كما تسر لو بشرك بأمر تحبه و أن تشكره على ذلك كما تشكره لو بشرك بأمر تحبه لأنه لو لم يكن يريد بك الخير لما حذرك من الوقوع فى الشر

ص: ١٩٥

١- (١) الميدانى ١:٣٠، و لفظه هناك: «أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك».

٢- (٢) سورة النساء ١٣٥.

٣- (٣) سورة الأنعام ١٥٢.

وَقَالَ اللّٰسَانُ سَمِعْتُ اِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ .

قد تقدم لنا كلام طويل فى هذا المعنى .

و كان يقال ان كان فى الكلام درك فى الصمت عافيه .

وقالت الحكماء النطق أشرف ما خص به الإنسان لأنه صورته المعقوله التى باين بها سائر الحيوانات و لذلك قال سبحانه خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (١) و لم يقل و علمه بالواو لأنه سبحانه جعل قوله عَلَّمَهُ الْبَيَانَ تفسيراً لقوله خَلَقَ الْإِنْسَانَ لا عطفا عليه تنبيها على أن خلقه له و تخصيصه بالبيان الذى لو توهم مرتفعاً لارتفعت إنسانيته و لذلك قيل ما الإنسان لو لا اللسان إلا بهيمه مهمله أو صورته ممثله .

و قال الشاعر لسان الفتى نصف و نصف فؤاده فلم يبق إلا صورته اللحم و الدم (٢) .

قالوا و الصمت من حيث هو صمت مذموم و هو من صفات الجمادات فضلا

ص: ١٩٦

١- ١) سورة الرحمن ٣، ٤.

٢- ٢) ينسب لزهير، من معلقته بشرح الزوزنى ٩٤.

عن الحيوانات و كلام أمير المؤمنين ع و غيره من العلماء في مدح الصمت محمول على من يسىء الكلام فيقع منه جنائيات عظيمة في أمور الدين و الدنيا كما روى

٤٦٠٧

في الخبر أن الإنسان إذا أصبح قالت أعضاؤه للسانه اتق الله فينا فإنك إن استقمتم نجونا و إن زغت هلكنا.

فأما إذا اعتبر النطق و الصمت بذاتيهما فقط فمحال أن يقال في الصمت فضل فضلا عن أن يخير و يقايس بينه و بين الكلام

ص: ١٩٧

وَ قَالَ ع الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةٌ اللَّسْبِيهِ .

اللسبه

اللسعه لسبته العقرب بالفتح لسعته و لسبت العسل بالكسر أى لعقته.

و قيل لسقراط أى السباع أجسر قال المرأه.

و نظر حكيم إلى امرأه مصلوبه على شجره فقال ليت كل شجره تحمل مثل هذه الثمره.

مرت بسقراط امرأه و هى تتشوف (١) فقالت يا شيخ ما أقبحك فقال لو لا- أنك من المرايا الصدئه لغمنى ما بان من قبح صورتى فيك.

و رأى بعضهم مؤدبا يعلم جاريه الكتابه فقال لا تزد الشر شرا إنما تسقى سهما سما لترمى به يوما ما.

و رأى بعضهم جاريه تحمل نارا فقال نار على نار و الحامل شر من المحمول.

و تزوج بعضهم امرأه نحيفه فقيل له فى ذلك فقال اخترت من الشر أقله.

كتب فيلسوف على بابه ما دخل هذا المنزل شر قط فقال له بعضهم اكتب إلا المرأه.

ص: ١٩٨

و رأى بعضهم امرأه غريقه فى الماء فقال زادت الكدر كدرا و الشر بالشر يهلك.

و

٤٦٠٨

فى الحديث المرفوع استعيذوا بالله من شرار النساء و كونوا من خيارهن على حذر.

و فى كلام الحكماء أعص هواك و النساء و افعل ما شئت.

دعا بعضهم لصاحبه فقال أمت الله عدوك فقال لو قلت زوج الله عدوك لكان أبلغ فى الانتقام.

و من الكنايات المشهوره عنهن سلاح إبليس .

٤٦٠٩

و فى الحديث المرفوع أنهن ناقصات عقل و دين.

و قد تقدم من كلام أمير المؤمنين ع فى هذا الكتاب ما هو شرح و إيضاح لهذا المعنى.

٤٦١٠

و جاء فى الحديث أيضا شاوروهن و خالفوهن.

٤٦١١

و فى الحديث أيضا النساء حبال الشيطان .

٤٦١٢

و فى الحديث أيضا ما تركت بعدى فتنه أضر من النساء على الرجال.

٤٦١٣

و فى الحديث أيضا المرأه ضلع عوجاء إن داريتها استمتعت بها و إن رمت تقويمها كسرتها.

و قال الشاعر فى هذا المعنى هى الضلع العوجاء لست تقيمها

و من كلام بعض الحكماء ليس ينبغى للعاقل أن يمدح امرأه إلا بعد موتها.

وفى الأمثال لا تحمدن أمه عام شرائها ولا حره عام بنائها.

ص: ١٩٩

و من كلام عبد الله المأمون أنهن شر كلهن و شر ما فيهن ألا غنى عنهن.

و قال بعض السلف إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان لأن الله تعالى ذكر الشيطان فقال إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (١).

و ذكر النساء فقال إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢).

و كان يقال من الفواقر امرأه سوء إن حضرته لسبتك و إن غبت عنها لم تأمنها.

و قال حكيم أضر الأشياء بالمال و النفس و الدين و العقل و العرض شدة الإغرام بالنساء و من أعظم ما يبتلى به المغرم بهن أنه لا يقتصر على ما عنده منهن و لو كن ألفا و يطمح إلى ما ليس له منهن.

و قال بعض الحكماء من يحصى مساوى النساء اجتمع فيهن نجاسة الحيض و الاستحاضة و دم النفاس و نقص العقل و الدين و ترك الصوم و الصلاة فى كثير من أيام العمر ليست عليهن جماعه و لا جمعه و لا يسلم عليهن و لا يكون منهن إمام و لا قاض و لا أمير و لا يسافرن إلا بولى.

و كان يقال ما نهيت امرأه عن أمر إلا أتته.

و فى هذا المعنى يقول طفيل الغنوى إن النساء كأشجار نبتن معا

ص: ٢٠٠

١-١) سورة النساء ٧٦.

٢-٢) سورة يوسف ٢٨.

وَ قَالَ ع إِذَا حُيِّتَ بِتَحِيَّتِهِ فَحَيِّ بِأَحْسَنِّ مِنْهَا وَإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَكَافِئْهَا بِمَا يُزِي بِعَلَيْهَا وَ الْفَضْلُ مَعَ ذَلِكَ لِلْبَادِي .

اللفظه الأولى من القرآن (١) العزيز و الثانیه تتضمن معنى مشهورا .

و قوله و الفضل مع ذلك للبادئ يقال فى الكرم و الحث على فعل الخير.

و روى المدائنى قال قدم على أسد بن عبد الله القشيرى بخراسان رجل فدخل مع الناس فقال أصلح الله الأمير إن لى عندك يدا قال و ما يدك قال أخذت بركابك يوم كذا قال صدقت حاجتك قال تولينى أبيورد قال لم قال لأكسب مائه ألف درهم قال فإننا قد أمرنا لك بها الساعه فنكون قد بلغناك ما تحب و أقرنا صاحبنا على عمله قال أصلح الله الأمير إنك لم تقض ذمامى قال و لم و قد أعطيتك ما أملت قال فأين الإمارة و أين حب الأمر و النهى قال قد وليتك أبيورد و سوغت لك ما أمرت لك به و أعفيتك من المحاسبه إن صرفتك عنها قال و لم تصرفنى عنها و لا يكون الصرف إلا من عجز أو خيانه

ص: ٢٠١

١- (١) و هو قوله تعالى فى سورة النساء: وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّتِهِ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِّ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا .

و أنا برىء منهما قال اذهب فأنت أميرها ما دامت لنا خراسان فلم يزل أميراً على أبيورد حتى عزل أسد .

قال المدائني و جاء رجل إلى نصر بن سيار يذكر قرابه (١) قال و ما قرابتك قال ولدتنى و إياك فلانه قال نصر قرابه عوره قال إن العوره كالشن البالى يرقعه أهله فينتفعون به قال حاجتك قال مائه ناقه لاقح و مائه نعجه ربي أى معها أولادها قال أما النعاج فخذها و أما النوق فنامر لك بأثمانها.

و روى الشعبي قال حضرت مجلس زياد و حضره رجل فقال أيها الأمير إن لى حرمه أفأذكرها قال هاتها قال رأيتك بالطائف و أنت غليم ذو ذؤابه و قد أحاطت بك جماعه من الغلمان و أنت تركض هذا مره برجلك و تنطح هذا مره برأسك و تكدم مره بأنيابك فكانوا مره يثالون عليك و هذه حالهم و مره يندون عنك و أنت تتبعهم حتى كاثروك و استقوا عليك فجئت حتى أخرجتك من بينهم و أنت سليم و كلهم جريح قال صدقت أنت ذاك الرجل قال أنا ذاك قال حاجتك قال الغنى عن الطلب قال يا غلام أعطه كل صفراء و بيضاء عندك فنظر فإذا قيمه كل ما يملك ذلك اليوم من الذهب و الفضة أربعة و خمسون ألف درهم فأخذها و انصرف فقيل له بعد ذلك أنت رأيت زيادا و هو غلام بذلك الحال قال إى و الله لقد رأيتة و قد اكتنفه صبيان صغيران كأنهما من سخال المعز فلو لا أنى أدركته لظننت أنهما يأتیان على نفسه.

و جاء رجل إلى معاويه و هو فى مجلس العامه فقال يا أمير المؤمنين إن لى حرمه (٢) قال و ما هى قال دنوت من ركابك يوم صفين و قد قربت فرسك لتفر و

ص: ٢٠٢

١- (١) د: «قرابته».

٢- (٢) د: «حرمه و ذماما».

أهل العراق قد رأوا الفتح و الظفر فقلت لك و الله لو كانت هند بنت عتبه مكانك ما فرت و لا اختارت إلا أن تموت كريمه أو تعيش حميده أين تفر و قد قلدتك العرب أزمه أمورها و أعطتك قياد أعتتها فقلت لي اخفض صوتك لا أم لك ثم تماسكت و ثبت و ثابت إليك حماتك و تمثلت حينئذ بشعر أحفظ منه و قولي كلما جشأت و جاشت مكانك تحمدى أو تستريحى (١).

فقال معاويه صدقت وددت أنك الآن أيضا خفضت من صوتك يا غلام أعطه خمسين ألف درهم فلو كنت أحسنت فى الأدب لأحسنا لك فى الزيادة

ص: ٢٠٣

١ - ١) لابن الإطنايه؛ الكامل ٤:٦٨، و قبله: أبت لى عفتى و أبى بلائى و أخذى الحمد بالثمن الزبيح و إجشامى على المكروه نفسى و ضربى هامه البطل المشيح.. .

وَ قَالَ ع الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ .

٤٤١٤

جاء فى الحديث مرفوعا اشفعوا الى تؤجروا و يقضى الله على لسان نبيه ما شاء.

و قال المأمون لإبراهيم بن المهدي لما عفا عنه إن أعظم يدا عندك من عفوى عنك أنى لم أجرعك مراره امتنان الشافعين.

و من كلام قابوس بن وشمكير بزند الشفيح تورى نار النجاح و من كف المفيض ينتظر فوز القداح.

قال المبرد أتانى رجل يستشفع بى فى حاجه فأنشدنى لنفسه إنى قصدتك لا أدلى بمعرفه

قال فشفعت له و قمت بأمره حتى بلغت له ما أحب.

بزرجمهر من لم يستغن بنفسه عن شفيعه و وسائله وهت قوى أسبابه و كان إلى

الحرمان أقرب منه إلى بلوغ المراد و مثله من لم يرغب أوداؤه في اجتنابه لم يحظ بمدح شفاعته و مثله إذا زرت الملوك فإن حسبي شفيعا عندهم أن يعرفوني.

كلم الأحنف مصعب بن الزبير في قوم حبسهم فقال أصلح الله الأمير إن كان هؤلاء حبسوا في باطل فالحق يخرجهم و إن كانوا حبسوا في حق فالعفو يسعهم فأمر بإخراجهم.

آخر إذا أنت لم تعطفك إلا شفاعه فلا خير في ود يكون بشافع.

٤٤١٥

٦- خرج العطاء في أيام المنصور و أقام الشقراني من ولد شقران مولى رسول الله ص ببابه أياما لا يصل إليه عطاؤه فخرج جعفر بن محمد من عند المنصور فقام الشقراني إليه فذكر له حاجته فرحب به ثم دخل ثانيا إلى المنصور و خرج و عطاء الشقراني في كفه فصبه في كفه ثم قال يا شقران إن الحسن من كل أحد حسن و إنه منك أحسن لمكانك منا و إن القبيح من كل أحد قبيح و هو منك أقبح لمكانك منا فاستحسن الناس ما قاله .

و ذلك لأن الشقراني كان صاحب شراب قالوا فانظر كيف أحسن السعي في استنجاز طلبته و كيف رحب به و أكرمه مع معرفته بحاله و كيف وعظه و نهاه عن المنكر على وجه التعريض قال الزمخشري و ما هو إلا من أخلاق الأنبياء.

كتب سعيد بن حميد شفاعه لرجل كتابي هذا كتاب معتن بمن كتب له و اثق بمن كتب إليه و لن يضع حامله بين الثقه و العنايه إن شاء الله.

أبو الطيب

إذا عرضت حاج إليه فنفسه

إلى نفسه فيها شفيح مشفع ديوانه (١)

ص: ٢٠٥

كان المنصور معجبا بمحادثه محمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس و كان الناس لعظم قدره عند المنصور يفرعون إليه في الشفاعات و قضاء الحاجات فثقل ذلك على المنصور فحجبه مده ثم تتبعته نفسه فحدث الربيع فيه و قال إنه لا صبر لي عنه لكنى قد ذكرت شفاعاته فقال الربيع أنا أشترط ألا يعود فكلمه الربيع فقال نعم فمكث أياما لا يشفع ثم وقف له قوم من قريش و غيرهم برقع و هو يريد دار المنصور فسألوه أن يأخذ رقعهم فقص عليهم القصة فضرعوا إليه و سألوه فقال أما إذ أبيت قبول العذر فإنى لا أقبضها منكم و لكن هلموا فاجعلوها فى كمى فقدفوها فى كمه و دخل على المنصور و هو فى الخضراء يشرف على مدينة السلام و ما حولها بين البساتين و الضياع فقال له أ ما ترى إلى حسننها قال بلى يا أمير المؤمنين فبارك الله لك فيما آتاك و هناك بإتمام نعمته عليك فيما أعطاك فما بنت العرب فى دولة الإسلام و لا العجم فى سالف الأيام أحسن و لا أحسن من مدينتك و لكن سمجتها فى عينى خصله قال ما هى قال ليس لى فيها ضيعه فضحكك و قال نحسنها فى عينك ثلاث ضياع قد أقطعتكها فقال أنت و الله يا أمير المؤمنين شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله باقى عمرك أكثر من ماضيه و جعلت الرقاع تبدر من كميته فى أثناء كلامه و خطابه للمنصور و هو يلتفت إليها و يقول ارجعن خاسئات ثم يعود إلى حديثه فقال المنصور ما هذه بحقى عليك ألا أعلمتني خبرها فأعلمه فضحكك فقال أبيت يا ابن معلم الخير إلا كرما ثم تمثل بقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب

لسنا و إن أحسابنا كملت

ثم أخذها و تصفحها و وقع فيها كلها بما طلب أصحابها.

قال محمد بن جعفر فخرجت من عنده و قد ربحت و أربحت.

قال المبرد لعبد الله بن يحيى بن خاقان أنا أشفع إليك أصلحك الله فى أمر فلان فقال له قد سمعت و أطعت و سأفعل فى أمره
كذا فما كان من نقص فعلى و ما كان من زياده فله قال المبرد أنت أطل الله بقاءك كما قال زهير و جار سار معتمدا إلينا

و قال دعبل و إن امرأ أسدى إلى بشافع

آخر مضى زمنى و الناس يستشفعون بى فهل لى إلى ليلى الغداه شفيح.

آخر و نبث ليلى أرسلت بشفاعه

ص: ٢٠٧

آخر و من يكن الفضل بن يحيى بن خالد شفيعا له عند الخليفة ينجح.

آخر و إذا امرؤ أسدى إليك صنيعه من جاهه فكأنها من ماله.

و هذا مثل قول الآخر و عطاء غيرك إن بذلت عنايه فيه عطاؤك.

ابن الرومى

ينام الذى استسعاك فى الأمر إنه

ص: ٢٠٨

وَقَالَ ع أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكِبٍ يُسَارُّ بِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ .

هذا التشبيه واقع و هو صورته الحال لا محاله.

و قد أتيت بهذا المعنى فى رساله لى كتبتهأ إلى بعض الأصدقاء تعزیه فقلت و لو تأمل الناس أحوالهم (١) و تبینوا مآلهم لعلموا أن المقيم منهم بوطنه و الساكن إلى سكنه أخو سفر یسرى به و هو لا یسرى و راكب بحر یجرى به و هو لا یدرى

ص: ٢٠٩

١- (١): «فى أحوالهم».

وَ قَالَ ع فَقَدْ الْأَجْبِهْ غُرْبَهُ .

مثل هذا قول الشاعر فلا تحسبى أن الغريب الذى نأى و لكن من تنأين عنه غريب (١).

و مثله

٤٤١٤

قوله ع الغريب من ليس له حبيب.

و قال الشاعر أسره المرء والداه و فيما

و قال آخر إذا ما مضى القرن الذى كنت فيهم و خلفت فى قرن فأنت غريب (٢).

ص: ٢١٠

١-١ نأى: بعد.

٢-٢ الحضن: ما دون الإبط إلى الكشح.

٦٤ [كلامه ع فى طلب الحوائج]

وَقَالَ ع فَوْتُ الْحَاجِّهِ أَهْوَنُ مِنْ طَلْبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا .

قد سبق هذا المعنى و ذكرنا كثيرا مما قيل فيه.

و كان يقال لا تطلبوا الحوائج إلى ثلاثه إلى عبد يقول الأمر إلى غيرى و إلى رجل حديث الغنى و إلى تاجر همته أن يستريح فى كل عشرين دينارا حبه واحده (١)

ص: ٢١١

١-١) ساقطه من ا.

وَقَالَ ع لَا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ فَإِنَّ الْجَزْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ .

هذا نوع من الحث على الإفضال و الجود لطيف و قد استعمل كثيرا في الهدية و الاعتذار لقلتها و قد تقدم منا قول شاف في مدح السخاء و الجود.

و كان يقال أفضل على من شئت تكن أميره و احتج إلى من شئت تكن أسيره و استغن عن من شئت تكن نظيره.

و سئل أرسطو هل من جود يستطيع أن يتناول به كل أحد قال نعم أن تنوى الخير لكل أحد

وَ قَالَ عِ الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ وَ الشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى .

من الأبيات المشهوره فإذا افتقرت فلا تكن متخشعا و تجمل.

و من أمثالهم المشهوره تجوع الحره و لا تأكل بثديها (١).

و أنشد الأصمعى لبعضهم أقسم بالله لمص النوى

و قال بعضهم وقفت على كنيف و فى أسفله كناف و هو ينشد و أكرم نفسى عن أمور كثيره ألا إن إكرام النفوس من العقل

ص: ٢١٣

١-١) الميدانى ٨١:١؛ قال: أى لا تكون ظئرا و إن آذاها الجوع. و يروى: «و لا تأكل ثديها» قال: «و أول من قال ذلك الحارث بن سليل الأسدى» فى خبر معروف ذكره هناك.

و أبخل بالفضل المبين على الألى

و أما كون الشكر زينه الغنى فقد تقدم من القول ما هو كاف.

و كان يقال العلم بغير عمل قول باطل و النعمه بغير شكر جيد عاطل

ص: ٢١٤

وَ قَالَ ع إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلَا تُبَلِّ [كَيْفَ]

مَا كُنْتُ .

قد أعجم تفسير هذه الكلمه على جماعه من الناس و قالوا المشهور في كلام الحكماء إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون و لا معنى لقوله فلا تبل كيف كنت و جهلوا مراده ع.

و مراده إذا لم يكن ما تريد فلا تبل بذلك أى لا تكثرث بفوت مرادك و لا تبتئس بالحرمان و لو وقف على هذا لثم الكلام و كمل المعنى و صار هذا مثل قوله فلا تكثر على ما فاتك منها أسفا و مثل قول الله تعالى لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ (١) لكنه تتم و أكد فقال كيف كنت أى لا- تبل بفوت ما كنت أملتة و لا تحمل لذلك هما كيف كنت و على أى حال كنت من حبس أو مرض أو فقر أو فقد حبيب و على الجملة لا- تبال الدهر و لا- تكثرث بما يعكس عليك من غرضك و يحرمك من أملكك و ليكن هذا الإهوان به و الاحتقار له مما تعتمده دائما على أى حال أفضى بك الدهر إليها و هذا واضح

ص: ٢١٥

وَ قَالَ ع لَّا يُرَى الْجَاهِلُ

تَرَى الْجَاهِلَ إِلَّا مُفْرَطًا أَوْ مُفْرَطًا .

العدالة هى الخلق المتوسط و هو محمود بين مذمومين فالشجاعه محفوفه بالتهور و الجبن و الذكاء بالغباوه و الجريزه (١) و الجود بالشح و التبذير و الحلم بالجماديه و الاستشاطه و على هذا كل ضدين من الأخلاق فيبينهما خلق متوسط و هو المسمى بالعداله فلذلك لا يرى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً كصاحب الغيره فهو إما أن يفراط فيها فيخرج عن القانون الصحيح فيغار لا من موجب بل بالوهم و بالخيال و بالوسواس و إما أن يفراط فلا يبحث عن حال نسائه و لا يبالي ما صنعن و كلا الأمرين مذموم و المحمود الاعتدال.

و من كلام بعض الحكماء (٢) إذا صح العقل التحم (٣) بالأدب كالتحام (٤) الطعام بالجسد الصحيح و إذا مرض العقل نبا عنه ما يستمع من الأدب كما يقىء الممعود ما أكل من الطعام فلو آثر الجاهل أن يتعلم شيئاً من الأدب لتحول ذلك الأدب جهلاً كما يتحول ما خالط جوف المريض من طيب الطعام داء

ص: ٢١٤

١- ١) الجريزه: الخب و المكر.

٢- ٢) ا: «و من كلام الحكماء».

٣- ٣) ا: «التأم».

٤- ٤) ا: «كالتحام».

٦٩] و من كلامه ع في أن نقص الكلام هو من تمام العقل]

وَقَالَ ع إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ .

قد سبق القول في هذا المعنى.

و كان يقال إذا رأيتم الرجل (١) يطيل الصمت و يهرب من الناس فاقربوا منه فإنه يلقي الحكمه

ص: ٢١٧

(١ - ١) ا: «رجلا».

وَ قَالَ ع الدَّهْرُ يُخْلِقُ الأَبْدَانَ وَ يُجَدِّدُ الأَمَالَ وَ يُقَرِّبُ المَمِيَّةَ وَ يُبَاعِدُ الأُمَمِيَّةَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ نَصَبَ وَ مَنْ فَاتَهُ تَعَبٌ .

قد سبق لنا قول طويل عريض فى ذكر الدهر و الدنيا و نذكر الآن شيئا آخر قال بعض الحكماء الدنيا تسر لتغر و تفيد لتكيد كم راقدا فى ظلها قد أيقظته و واثق بها قد خذلته بهذا الخلق عرفت و على هذا الشرط صوحبت.

و كتب الإسكندر إلى أرسطوطاليس عظى فكتب إليه إذا صفت لك السلامة فجدد ذكر العطب و إذا اطمأن بك الأيمن فاستشعر الخوف و إذا بلغت نهايه الأمل فاذا ذكر الموت و إذا أحببت نفسك فلا تجعل لها نصيبا فى الإساءه و قال شاعر فأحسن كأنك لم تسمع بأخبار من مضى

مضى جامعوا الأموال لم يتزودوا

ص: ٢١٩

وَ قَالَ ع مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا [فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ]

فَلْيَبْدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ وَ لِيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ وَ مُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَ مُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَ مُؤَدِّبِهِمْ .

الفروع تابعه للأصول فإذا كان الأصل معوجا استحال أن يكون الفرع مستقيما كما قال صاحب المثل و هل يستقيم الظل و العود أعوج فمن نصب نفسه للناس إماما و لم يكن قد علم نفسه ما انتصب ليعلمه الناس كان مثل من نصب نفسه ليعلم الناس الصياغه و التجاره و هو لا- يحسن أن يصوغ خاتما و لا- ينجر لوحا و هذا نوع من السفه بل هو السفه كله ثم قال ع و ينبغي أن يكون تأديبه لهم بفعله و سيرته قبل تأديبه لهم بلسانه و ذلك لأن الفعل أدل على حال الإنسان من القول .

ثم قال و معلم نفسه و مؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس و مؤدبهم و هذا حق لأن من علم نفسه محاسن الأخلاق أعظم قدرا ممن تعاطى تعليم الناس ذلك و هو غير عامل بشيء منه فأما من علم نفسه و علم الناس فهو أفضل (١) و أجل ممن اقتصر على تعليم نفسه فقط لا شبهه في ذلك

ص: ٢٢٠

وَقَالَ ع نَفْسُ الْمَرْءِ خُطَاؤُهُ إِلَى أَجَلِهِ .

وجدت هذه الكلمه منسوبه إلى عبد الله بن المعتز فى فصل أوله الناس وفد البلاء و سكان الثرى و أنفاس الحى خطاه إلى أجله و أمله خادع له عن عمله و الدنيا أكذب واعدیه و النفس أقرب أعدیه و الموت ناظر إليه و منتظر فيه أمرا يمضيه فلا أدرى هل هى لابن المعتز أم أخذها من أمير المؤمنين ع .

و الظاهر (١) أنها لأمير المؤمنين ع فإنها بكلامه أشبهه و لأن الرضى قد رواها عنه و خبر العدل معمول به

ص: ٢٢١

وَ قَالَ ع كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٌ وَ كُلُّ مُتَوَقِّعٍ آتٍ .

الكلمه الأولى تؤكد مذهب جمهور المتكلمين في أن العالم كله لا بد أن ينقضى و يفنى و لكن المتكلمين الذاهبين إلى هذا القول لا يقولون يجب أن يكون فانيا و منقضيا لأنه معدود فإن ذلك لا يلزم و من الجائز أن يكون معدودا و لا يجب فناؤه و لهذا قال أصحابنا إنما علمنا أن العالم يفنى عن طريق السمع لا من طريق العقل فيجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين ع على ما يطابق ذلك و هو أنه ليس يعني أن العدد عله في وجوب الانقضاء كما يشعر به ظاهر لفظه و هو الذي يسميه أصحاب أصول الفقه إيماء و إنما مراده (١) كل معدود فاعلموا أنه فان و منقض فقد حكم على كل معدود بالانقضاء حكما مجردا عن العله كما لو قيل زيد قائم ليس يعني أنه قائم لأنه يسمى زيدا.

فأما قوله و كل متوقع آت فيما نله قول العامه في أمثالها لو انتظرت القيامه لقامت و القول في نفسه حق لأن العقلاء لا ينتظرون ما يستحيل وقوعه و إنما ينتظرون ما يمكن وقوعه و ما لا بد من وقوعه فقد صح أن كل منتظر سيأتي

ص: ٢٢٢

وَقَالَ ع إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اشْتَبَهَتْ اعْتُبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا .

روى إذا استبهمت و المعنى واحد و هو حق و ذلك أن المقدمات تدل على النتائج و الأسباب تدل على المسببات و طالما كان الشئان ليسا على و معلولا- و إنما بينهما أدنى (١) تناسب فيستدل بحال أحدهما على حال الآخر و إذا كان كذلك و اشتبعت أمور على العاقل الفطن و لم يعلم إلى ما ذا تنول فإنه يستدل على عواقبها بأوائلها و على خواتمها بفواتحها كالرعيه ذات السلطان الركيك الضعيف السياسه إذا ابتدأت أمور مملكته تضطرب و استبهم على العاقل كيف يكون الحال فى المستقبل فإنه يجب عليه أن يعتبر أواخرها بأوائلها و يعلم أنه سيفضى أمر ذلك الملك إلى انتشار و انحلال فى مستقبل الوقت لأن الحركات الأولى مندره بذلك و واعدته بوقوعه و هذا واضح

ص: ٢٢٣

وَ مِنْ خَبَرِ ضِرَارِ بْنِ [مُرَّةِ الضَّبَائِي]

حَمَزَةُ الضَّبَائِي عِنْدَ دُخُولِهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَ مَسْأَلَتِهِ لَهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع قَالَ فَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَ قَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ
سُدُولَهُ وَ هُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ يَتَمَلَّمُ تَمَلُّمَ السَّلِيمِ وَ يَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ وَ [هُوَ]

يَقُولُ يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا إِلَيْكَ عَنِّي أَبِي تَعَرَّضْتَ أُمِّ إِلَيَّ [تَشَوَّقْتُ]

تَشَوَّقْتُ لِأَنَّ حِينِكَ هَيْهَاتَ غُرَى غَيْرِي لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ قَدْ طَلَّقْتُكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا فَعَيْشُكَ قَصِيرٌ وَ خَطَرُكَ يَسِيرٌ وَ
أَمْلُكَ حَقِيرٌ آه مِنْ قَلْبِهِ الزَّادِ وَ طُولِ الطَّرِيقِ وَ بُعْدِ السَّفَرِ وَ عَظِيمِ الْمَوْرِدِ .

السدول جمع سدليل و هو ما أسدل على الهودج و يجوز في جمعه أيضا أسدال و سدائل و هو هاهنا استعاره و التمللم و التملل
أيضا عدم الاستقرار من المرض كأنه على مله و هي الرماد الحار.

و السليم الملسوع .

و يروى تشوقت بالقاف.

و قوله لا حان حينك دعاء عليها أي لا حضر وقتك كما تقول لا كنت

١- فأما ضرار بن ضميره فإن الرياشي روى خبره و نقلته أنا من كتاب عبد الله بن إسماعيل بن أحمد الحلبي في التذييل على نهج البلاغه قال دخل ضرار على معاويه و كان ضرار من صحابه علي ع فقال له معاويه يا ضرار صف لي عليا قال أ و تعفيني قال لا أعفيك قال ما أصف منه كان (١) و الله شديد القوى بعيد المدى يتفجر العلم من أنحائه و الحكمه من أرجائه حسن المعاشره سهل المباشره خشن المأكل قصير الملبس غزير العبره طويل الفكره يقلب كفه و يخاطب نفسه و كان فينا كأحدنا يجيئنا إذا سألنا و يبتدئنا إذا سكتنا و نحن مع تقريبه لنا أشد ما يكون صاحب لصاحب هيبه لا نبتدئه الكلام لعظمته يحب المساكين و يقرب أهل الدين و أشهد لقد رأيت في بعض مواقفه .

..و تمام الكلام مذکور في الكتاب.

و

١- ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب هذا الخبر فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن يوسف قال حدثنا يحيى بن مالك بن عائد قال حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن مقله البغدادي بمصر و حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا العكلى عن الحرمازي عن رجل من همدان قال قال معاويه لضرار الضبابي (٢) يا ضرار صف لي عليا قال اعفني يا أمير المؤمنين قال لتصفنه قال أما إذ لا بد من وصفه فكان و الله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا و يحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه و تنطق الحكمه من نواحيه يستوحش من الدنيا و زهرتها و يأنس بالليل و وحشته و كان (٣) غزير العبره طويل الفكره يعجبه من اللباس ما قصر و من الطعام ما خشن كان فينا كأحدنا يجيئنا إذا سألناه و ينبئنا إذا استفتيناه و نحن و الله

ص: ٢٢٥

١- ١) ب: «و كان»، و الصواب ما أثبتته.

٢- ٢) في الاستيعاب: «الصدائي».

٣- ٣) من الاستيعاب.

مع تقريبه إيانا و قربه منا لا نكاد نكلمه هيبه له يعظم أهل الدين و يقرب المساكين لا يطمع القوى فى باطله و لا يئس الضعيف من عدله و أشهد لقد رأيتة فى بعض مواقفه و قد أرخى الليل سدوله و غارت نجومه قابضا على لحيته يتململ يتململ السليم (١) و يبكى بكاء الحزين و يقول يا دنيا غرى غرى أبى (٢) تعرضت أم إلى تشوقت هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعه لى فيها فعمرك قصير و خطررك حقير آه من قله الزاد و بعد السفر و وحشه الطريق فبكى معاويه و قال رحم الله أبا حسن كان و الله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزن من ذبح ولدها فى حجرها (٣).

ص: ٢٢٤

١-١) السليم: اللديغ.

٢-٢) الاستيعاب: «ألى».

٣-٣) الاستيعاب ١١٠٨، ١١٠٧، و هو أيضا فى أمالى القالى ٢: ١٤٧.

وَمِنْ [كَلَامِهِ]

كَلَامٌ لَهُ عَ لِلسَّائِلِ الشَّامِيِّ لَمَّا سَأَلَهُ أ كَانَ مَسِيرَنَا إِلَى الشَّامِ بِقَضَاءِ مِنَ اللَّهِ وَ [قَدْرِهِ]

فَقَدَرِ بَعِيدِ كَلَامٍ طَوِيلٍ هَذَا مُخْتَارُهُ وَيَحْكُ لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لَازِمًا وَ قَدْرًا حَاتِمًا لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَ الْعِقَابُ وَ سَقَطَ الْوَعْدُ وَ الْوَعِيدُ إِنَّ اللَّهَ شَيْبَحَانُهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيرًا وَ نَهَاهُمْ تَحْذِيرًا وَ كَلَّفَ يَسِيرًا وَ لَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا وَ أَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا وَ لَمْ يُعْصِ مَغْلُوبًا وَ لَمْ يُطْعِ مُكْرَهًا وَ لَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لِعِبَاءٍ وَ لَمْ يُنْزِلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثًا وَ لَا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ .

٤٤١٩

١- قد ذكر شيخنا أبو الحسين رحمه الله هذا الخبر في كتاب الغرر و رواه عن الأصبع بن نباته قال قام شيخ إلى علي ع فقال أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أ كان بقضاء الله و قدره فقال و الذي فلق الحبه و برأ النسمة ما وطننا موطنًا و لا هبطنا واديا إلا بقضاء الله و قدره فقال الشيخ فعند الله أحسب عنائي ما أرى لي من الأجر شيئًا فقال مه أيها الشيخ لقد عظم الله أجركم في مسيركم و أنتم سائرون و في منصرفكم و أنتم منصرفون و لم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين

ص: ٢٢٧

وَ قَالَ ع خُذِ الْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صِدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَلْجَأُ فِي صِدْرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِنِ:

[قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ ع فِي مَثَلِ ذَلِكَ: الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَخُذِ الْحِكْمَةَ وَ لَوْ مِنْ أَهْلِ النَّفَاقِ]

٨٠ وَقَالَ ع الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَخُذِ الْحِكْمَةَ وَ لَوْ مِنْ أَهْلِ النَّفَاقِ .

خطب الحجاج فقال إن الله أمرنا بطلب الآخرة و كفانا مئونه الدنيا فليتنا كفيها مئونه الآخرة و أمرنا بطلب الدنيا.

فسمعها الحسن فقال هذه ضاله المؤمن خرجت من قلب المنافق.

و كان سفیان الثورى يعجبه كلام أبى حمزه الخارجى و يقول ضاله المؤمن على لسان المنافق تقوى الله أكرم سريرته و أفضل ذخيرته منها ثقه الوثائق و عليها مقه الواثق ليعمل كل امرئ فى مكان نفسه و هو رخی اللبب طويل السبب ليعرف ممد يده و موضع قدمه و ليحذر الزلل و العلل المانعه من العمل رحم الله عبدا آثر التقوى و استشعر شعارها و اجتنى ثمارها باع دار البقاء بدار الآباد الدنيا كروضه يونق مرعاها و تعجب من رآها تمج عروقها الثرى و تنطف فروعها بالندى حتى إذا بلغ العشب إناه و انتهى الزبرج منتهاه ضعف العمود و ذوى العود و تولى من الزمان ما لا يعود فحتت الرياح الورق و فرقت ما كان اتسق فأصبحت هشيما و أمست رميما

وَقَالَ ع قِيمَهُ كُلُّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ.

[قال الرضى رحمه الله تعالى و هذه الكلمه التى لا تصاب لها قيمه و لا توزن بها حكمه و لا تقرن إليها كلمه]

قد سلف لنا فى فضل العلم أقوال شافيه و نحن نذكر هاهنا نكتا أخرى.

يقال إن من كلام أردشير بن بابك فى رسالته إلى أبناء الملوك بحسبكم دلالة على فضل العلم أنه ممدوح بكل لسان يتزين به غير أهله و يدعيه من لا يلصق به قال و بحسبكم دلالة على عيب الجهل أن كل أحد ينتفى منه و يغضب أن يسمى به.

و قيل لأنوشروان ما بالكم لا تستفيدون من العلم شيئاً إلا زادكم ذلك عليه حرصاً قال لأننا لا نستفيد منه شيئاً إلا ازددنا به رفعه و عزا و قيل له ما بالكم لا تأنفون من التعلم من كل أحد قال لعلمنا بأن العلم نافع من حيث أخذ.

و قيل لبزرجمهر بم أدركت ما أدركت من العلم قال بيكور بككور الغراب و حرص كحرص الخنزير و صبر كصبر الحمار.

و قيل له العلم أفضل أم المال فقال العلم قيل فما بالنأ نرى أهل العلم على

أبواب أهل المال أكثر مما نرى أصحاب الأموال على أبواب العلماء قال ذاك أيضا عائد إلى العلم و الجهل و إنما كان كما رأيتم لعلم العلماء بالحاجه إلى المال و جهل أصحاب المال بفضيله العلم.

و قال الشاعر تعلم فليس المرء يخلق عالما

ص: ٢٣١

وَقَالَ ع أَوْصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاتِ الْإِبْلِ لَكَانَتْ لِتَذَلِكِ أَهْلًا لَا يَرْجُونَ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ وَ لَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ وَ لَا يَسْتَحِينَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ وَ لَا يَسْتَحِينَنَّ أَحَدًا إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ وَ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ وَ لَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ وَ لَا خَيْرَ فِي إِيْمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ .

قد تقدم الكلام فى جميع الحكم المنطوى عليها هذا الفصل و قال أبو العتاهيه و الله لا أرجو سواك

و كان يقال من استحيا من قول لا أدرى كان كمن يستحى من كشف ركبته ثم يكشف سوءته و ذلك لأن من امتنع من قول لا أدرى و أجاب بالجهل و الخطأ فقد واقع ما يجب فى الحقيقة أن يستحيا منه و كف عما ليس بواجب أن يستحيا منه فكان شبيها بما ذكرناه فى الركبه و العوره.

و كان يقال يحسن بالإنسان التعلم ما دام يقبح منه الجهل و كما يقبح منه الجهل ما دام حيا كذلك يحسن به التعلم ما دام حيا .

و أما الصبر فقد سبق فيه كلام مقنع و سيأتى فيما بعد جمله من ذلك

وَ قَالَ ع لِرَجُلٍ أَفْرَطَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَ كَانَ لَهُ مَتَّهِمَا أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ وَ فَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ .

قد سبق منا قول مقنع في كراهيه مدح الإنسان في وجهه.

و كان عمر جالسا و عنده الدرہ إذ أقبل الجارود العبدی فقال رجل هذا الجارود سيد ربيعه فسمعها عمر و من حوله و سمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدره فقال ما لي و لك يا أمير المؤمنين قال ما لي و لك أما لقد سمعتها قال و ما سمعتها فمه قال ليخالطن قلبك منها شيء و أنا أحب أن أطأطي منك.

و قالت الحكماء إنه يحدث للممدوح في وجهه أمران مهلكان أحدهما الإعجاب بنفسه و الثاني إذا أثنى عليه بالدين أو العلم فتر و قل اجتهاده و رضى عن نفسه و نقص تشميره و جده في طلب العلم و الدين فإنه إنما يتشمر من رأى نفسه مقصرا فأما من أطلقت الألسن بالثناء عليه فإنه يظن أنه قد وصل و أدرك فيقل اجتهاده و يتكل على ما قد حصل له عند الناس و لهذا

٤٤٢٠

قال النبي ص لمن مدح

ص: ٢٣٣

إنسانا كاد يسمعه ويحكك قطعت عنق صاحبك لو سمعها لما أفلح.

فأما قوله ع له و فوق ما فى نفسك فإنه إنما أراد أن ينبهه على أنه قد عرف أنه كان يقع فيه و ينحرف عنه و إنما أراد تعريفه ذلك لما رآه من المصلحه إما لظنه أنه يقلع عما كان يذمه به أو ليعلمه بتعريفه أنه قد عرف ذلك أو ليخوفه و يزره أو لغير ذلك

ص: ٢٣٤

وَ قَالَ ع بَقِيَّةُ السَّيْفِ [أَنْمَى]

أَبْقَى عَدَدًا وَ أَكْثَرَ وُلْدًا .

قال شيخنا أبو عثمان ليته لما ذكر الحكم ذكر العله.

ثم قال قد وجدنا مصداق قوله في أولاده و أولاد الزبير و بنى المهلب و أمثالهم ممن أسرع القتل فيهم.

و أتى زياد بامرأه من الخوارج فقال لها أما و الله لأحصدنكم حصدا و لأفنينكم عدا فقالت كلا إن القتل ليزرعنا فلما هم بقتلها تسترت بثوبها فقال اهتكوا سترها لحاها الله (١) فقالت إن الله لا يهتك ستر أوليائه و لكن التي هتك (٢) سترها على يد ابنها سميه فقال عجلوا قتلها أبعدها الله فقتلت

ص: ٢٣٥

١- ١) لحاه الله، أى قبجه و لعنه.

٢- ٢) ا: «هتكت».

٨٢ [و من كلامه ع في قول لا أدري لمن سأله]

وَقَالَ ع مَنْ تَرَكَ قَوْلَ لَا أَدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ .

جاءت امرأة إلى بزرجمهر فسألته عن مسألة فقال لا أدري فقالت أيعطيك الملك كل سنة كذا كذا و تقول لا أدري فقال إنما يعطيني الملك على ما أدري و لو أعطاني على ما لا أدري لما كفاني بيت ماله.

و كان يقول قول لا أعلم نصف العلم.

و قال بعض الفضلاء إذا قال لنا إنسان لا أدري علمناه حتى يدري و إن قال أدري امتحناه حتى لا يدري

ص: ٢٣٦

٨٣ [و من كلامه ع فى الأخذ بقول الشيخ وترك رأى الغلام]

وَ قَالَ ع رَأَى الشَّيْخَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلْدِ الْغُلَامِ وَ [يُرْوَى]

رُوى مِنْ مَشْهَدِ الْغُلَامِ .

إنما قال كذلك لأن الشيخ كثير التجربه فيبلغ من العدو برأيه ما لا يبلغ بشجاعته الغلام الحدث غير المجرب لأنه قد يغرر بنفسه فيهلك و يهلك أصحابه و لا ريب أن الرأى مقدم على الشجاعه و لذلك قال أبو الطيب الرأى قبل شجاعه الشجعان

و من وصايا أبرويز إلى ابنه شيرويه لا- تستعمل على جيشك غلاما عمرا ترفا قد كثر إعجابه بنفسه و قلت تجاربه فى غيره و لا هرما كبيرا مدبرا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السن من جسمه و عليك بالكهول ذوى الرأى.

ص: ٢٣٧

وقال لقيط بن يعمر الإيادي في هذا المعنى وقلدوا أمركم لله دركم

ص: ٢٣٨

٨٤ [و من كلامه ع في ذم القنوط لمن ملك الاستغفار]

وَقَالَ ع عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنُطُ وَمَعَهُ الْإِسْتِغْفَارُ .

قالوا الاستغفار حوارس الذنوب.

و قال بعضهم العبد بين ذنب و نعمه لا يصلحهما إلا الشكر و الاستغفار.

و قال الربيع بن خثعم (١) لا يقولن أحدكم أستغفر الله و أتوب إليه فيكون ذنبا و كذبا إن لم يفعل و لكن ليقل اللهم اغفر لي و تب علي .

و قال الفضيل الاستغفار بلا إقلاع (٢) توبه الكذابين.

و قيل من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله و هو لا يعلم

ص: ٢٣٩

١-١) كذا في ا، و في ب: «خثيم».

٢-٢) الإقلاع: ترك الذنوب.

٨٥ [و من كلامه ع فى أن الاستغفار أمان لأهل الأرض]

وَ حَكَى عَنْهُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ ع أَنَّهُ [كَانَ ع]

قَالَ كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَذُوقْنَا الْآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ أَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالِاسْتِغْفَارُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١).

[قال الرضى رحمه الله تعالى و هذا من محاسن الاستخراج و لطائف الاستنباط]

قال قوم من المفسرين وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ فى موضع الحال و المراد نفى الاستغفار عنهم أى لو كانوا ممن يستغفرون لما عذبهم و هذا مثل قوله تعالى وَ مَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَ أَهْلِهَا مُصِيبُونَ (٢) فكأنه قال لكنهم لا يستغفرون فلا انتفاء للعذاب عنهم.

و قال قوم معناه و ما كان الله معذبهم و فيهم من يستغفروهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله ص (٣) من المستضعفين (٤).

ص : ٢٤٠

١- ١) سورة الأنفال ٣٣.

٢- ٢) سورة هود ٧١١.

٣- ٣- ٣) ساقط من ا.

٤- ٣- ٣) ساقط من ا.

ثم قال **وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ (١)** أى و لأى سبب لا يعذبهم الله مع وجود ما يقتضى العذاب و هو صدهم المسلمين و الرسول عن البيت فى عام الحديبيه و هذا يدل على أن ترتيب القرآن ليس على ترتيب الوقائع و الحوادث لأن سوره الأنفال نزلت عقب وقوعه بدر فى السنه الثانيه من الهجره و صد الرسول ص عن البيت كان فى السنه السادسه فكيف يجعل آيه نزلت فى السنه السادسه فى سوره نزلت فى السنه الثانيه.

و فى القرآن كثير من ذلك و إنما رتبه قوم من الصحابه فى أيام عثمان

ص: ٢٤١

(١ - ١) سوره الأنفال ٣٤.

٨٦ [و من كلامه ع فى من أصلح بينه وبين الله و آثاره و من كان له من نفسه واعظ]

وَقَالَ ع مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ وَ مَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَ مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ .

مثل الكلمه الأولى قولهم رضا المخلوقين عنوان رضا الخالق

٤٦٢١

و جاء فى الحديث المرفوع ما من وال رضى الله عنه إلا أرضى عنه رعيته .

و مثل الكلمه الثانيه دعاء بعضهم فى قوله أنا شاكر أنا مادح أنا حامد

و مثل الكلمه الثالثه قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١)

ص: ٢٤٢

١-١) سورة النحل ١٢٨.

وَ قَالَ ع الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِي مَنْ لَمْ يُقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَ لَمْ يُؤَيِّسُهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ وَ لَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ .

قل موضع من الكتاب العزيز يذكر فيه الوعيد إلا- و يمزجه بالوعد مثل أن يقول إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ثم يقول وَ إِنَّهُ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ و الحكمه تقتضى هذا ليكون المكلف مترددا بين الرغبه و الرهبه.

و يقولون فى الأمثال المرموزه لقى موسى و هو ضاحك مستبشر عيسى و هو كالح قاطب فقال عيسى ما لك كأنك آمن من عذاب الله فقال موسى ع ما لك كأنك آيس من روح الله فأوحى الله إليهما موسى أحبكما إلى شعارا فإنى عند حسن ظن عبدى بى .

و اعلم أن أصحابنا و إن قالوا بالوعيد فإنهم لا يؤيسون أحدا و لا يقنطونه من رحمه الله و إنما يحثونه على التوبه و يخوفونه إن مات من غير توبه و بحق ما قال شيخنا أبو الهذيل لو لا مذهب الإرجاء لما عصى الله فى الأرض و هذا لا ريب فيه فإن أكثر العصاه إنما يعولون على الرحمه و قد اشتهر

و استفاض بين الناس أن الله تعالى يرحم المذنبين فإنه و إن كان هناك عقاب فأوقاتا معدوده ثم يخرجون إلى الجنة و النفوس تحب الشهوات العاجله فتهافت الناس على المعاصى و بلوغ الشهوات و المآرب معولين على ذلك فلو لا قول المرجئه و ظهوره بين الناس لكان العصيان إما معدوما أو قليلا جدا

ص: ٢٤٤

وَقَالَ ع أَوْضَحَ الْعِلْمِ مَا وُقِفَ عَلَى اللِّسَانِ وَ أَرْفَعَهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَ الْأَرْكَانِ .

هذا حق لأن العالم إذا لم يظهر من علمه إلا لقلقه لسانه من غير أن تظهر منه العبادات كان عالما ناقصا فأما إذا كان يفيد الناس بألفاظه و منطقته ثم يشاهده الناس على قدم عظيمه من العباده فإن النفع يكون به عاما تاما و ذلك لأن الناس يقولون لو لم يكن يعتقد حقيقته ما يقوله لما أدأب نفسه هذا الدأب.

و أما الأول فيقولون فيه كل ما يقوله نفاق و باطل لأنه لو كان يعتقد حقيقته (١) ما يقول لأخذ به و لظهر ذلك فى حركاته فيقتدون بفعله لا بقوله فلا يشتغل (٢) أحد منهم بالعباده و لا يهتم بها

ص: ٢٤٥

١- ١) د: «أحقه».

٢- ٢) ا: «يشتغلون».

وَ قَالَ ع إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ [الْحِكْمَةِ]

الْحِكْمِ .

لو قال إنها تمل كما تمل الأبدان فأحمضوا (١) كما نقل عن غيره لحمل ذلك على أنه أراد نقلها إلى الفكاهات والأخبار و الأشعار و لكنه لم يقل ذلك و لكن قال فابتغوا لها طرائف الحكمة فوجب أن يحمل كلامه ع على أنه أراد أن القلوب تمل من الأنظار العقلية فى البراهين الكلامية على التوحيد و العدل فابتغوا لها عند ملالها طرائف الحكمة أى الأمثال الحكيمه الراجعه إلى الحكمة الخلقية كما نحن ذاكروه فى كثير من فصول هذا الباب مثل مدح الصبر و الشجاعه و الزهد و العفه و ذم الغضب و الشهوه و الهوى و ما يرجع إلى سياسه الإنسان نفسه و ولده و منزله و صديقه و سلطانة و نحو ذلك فإن هذا علم آخر و فن آخر لا تحتاج القلوب فيه إلى فكر و استنباط فتتعب و تكمل بترادف النظر و التأمل عليها و فيه أيضا لذه عظيمه للنفس.

و قد جاء فى إجمام النفس كثير.

قال بعضهم روحوا القلوب بروائع (٢) الذكر.

ص: ٢٤٦

١- ١) يقال: أحمض القوم إحماضا؛ إذا أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث و الكلام، كما يقال: فكه و متفكه.

٢- ٢) د: «تعى».

و عن سلمان الفارسي أنا أحتسب نومي كما أحتسب قومي.

و قال عمر بن عبد العزيز إن نفسي راحتني إن كلفتها فوق طاقتها انقطعت بي.

و قال بعضهم روحوا الأذهان كما تروحوا الأبدان.

و قال أردشير بن بابك إن للأذان مجه و للقلوب مله ففرقوا بين الحكمتين (١) بلهو يكن ذلك استجماما

ص: ٢٤٧

١ - ١) د: «الحكمين».

وَ قَالَ ع لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَ هُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ وَ لَكِنْ مِنْ اسْتِعَاذٍ فَلَيْسَتْ عِدَّةٌ مِنْ
مُضَلَّاتٍ [مُضَلَّاتٍ]

الْفِتْنِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَ أَوْلَادَكُمْ فِتْنَةٌ وَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ [سُبْحَانَهُ]

يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِالْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ لِتَبَيِّنِ السَّاحِطِ لِرِزْقِهِ وَ الرَّاضِي بِقِسْمِهِ وَ إِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ لَكِنْ لِيُظْهِرَ الْأَفْعَالَ
الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَ الْعِقَابُ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَ يَكْرَهُ الْإِنَاثَ وَ بَعْضُهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ الْمَالِ وَ يَكْرَهُ انْتِثَامَ الْحَالِ.

[قال الرضى رحمه الله تعالى و هذا من غريب ما سمع منه ع فى التفسير]

الفتنه لفظ مشترك فتاره تطلق على الجائحه و البليه تصيب الإنسان تقول قد افتتن زيد و فتن فهو مفتون إذا أصابته مصيبه فذهب
ماله أو عقله أو نحو ذلك قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ فَتِنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ (١) يعنى الذين عذبوهم بمكه ليرتدوا عن الإسلام و
تاره تطلق على الاختبار و الامتحان يقال فتنن الذهب إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته و دينار مفتون و تاره تطلق على الإحراق
قال تعالى

ص: ٢٤٨

يَوْمَ هُمْ عَلَى الدَّارِ يُفْتَنُونَ (١) و ورق مفتون أى فضه محرقه و يقال للحره فتين كأن حجارتهما محرقه و تاره تطلق على الضلال
يقال رجل فاتن و مفتن أى مضل عن الحق جاء ثلاثيا و رباعيا قال تعالى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (٢) أى
بمضلين و قرأ قوم مفتنين فمن قال إنى أعود بك من الفتنة و أراد الجائحه أو الإحراق أو الضلال فلا بأس بذلك و إن أراد
الاختبار و الامتحان فغير جائز لأن الله تعالى أعلم بالمصلحه و له أن يختبر عباده لا يعلم حالهم بل يعلم بعض عباده حال بعض
و عندى أن أصل اللفظه هو الاختبار و الامتحان و أن الاعتبارات الأخرى راجعه إليها و إذا تأملت علمت صحه ما ذكرناه

ص: ٢٤٩

١-١) سورة الذاريات ١٣.

٢-٢) سورة الصافات ١٦٣، ١٦٢.

و سُئِلَ عَنِ الْخَيْرِ مَا هُوَ فَقَالَ لَيْسَ الْخَيْرُ [الْخَيْرُ]

أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَ وَلَدُكَ وَ لَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَ أَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ وَ أَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ فَإِنْ أَحْسَيْتَ حَمْدَتَ اللَّهِ وَ إِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرَتِ اللَّهُ وَ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ رَجُلٍ أَذْنَبَ ذُنُوبًا فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ وَ رَجُلٍ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ وَ لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى وَ كَيْفَ يَقِلُّ مَا يَتَقَبَّلُ .

قد قال الشاعر لهذا المعنى ليس السعيد الذى دنياه تسعده بل السعيد الذى ينجو من النار .

قوله ع و لا- يقل عمل مع التقوى أى مع اجتناب الكبائر لأنه لو كان موقعا لكبيره لما تقبل منه عمل أصلا على قول أصحابنا فوجب أن يكون المراد بالتقوى اجتناب الكبائر فأما مذهب المرجئه فإنهم يحملون التقوى هاهنا على الإسلام لأن المسلم عندهم تتقبل أعماله و إن كان موقعا للكبائر.

فإن قلت فهل يجوز حمل لفظه التقوى على حقيقتها و هى الخوف قلت لا أما على مذهبنا فلأن من يخاف الله و يواقع الكبائر لا تتقبل أعماله

و أما مذهب المرجئه فلأن من يخاف الله من مخالفي مله الإسلام لا- تتقبل أعماله فثبت أنه لا يجوز حمل التقوى هاهنا على الخوف.

فإن قلت من هو مخالف لمله الإسلام لا يخاف الله لأنه لا يعرفه.

قلت لا نسلم بل يجوز أن يعرف الله بذاته و صفاته كما نعرفه نحن و يجحد النبوه لشبهه وقعت له فيها فلا يلزم من جحد النبوه عدم معرفه الله تعالى

ص: ٢٥١

وَ قَالَ ع إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ ثُمَّ تَلَا [ع]

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الْآيَةَ ثُمَّ قَالَ [ع]

إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ إِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ وَ إِنْ عَدُوُّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَ إِنْ قَرَّبَتْ قَرَابَتُهُ .

هكذا الرواية أعلمهم و الصحيح أعلمهم لأن استدلاله بالآية يقتضى ذلك و كذا قوله فيما بعد إن ولي محمد من أطاع الله... إلى آخر الفصل فلم يذكر العلم و إنما ذكر العمل و اللحمه بالضم النسب و القرابه و هذا مثل

٤٦٢٣

الحديث المرفوع ايتونى بأعمالكم و لا تأتونى بأنسابكم إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .

٤٦٢٤

و فى الحديث الصحيح يا فاطمه بنت محمد إنى لا أغنى عنك من الله شيئا.

٤٦٢٥

١٤،٦- قال رجل لجعفر بن محمد ع أ رأيت قوله ص إن فاطمه أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار أ ليس هذا أمانا لكل فاطمى فى الدنيا فقال إنك لأحمق إنما أراد حسنا و حسينا لأنهما من لحمه أهل البيت فأما من عداهما فمن قعد به عمله لم ينهض به نسبه .

ص: ٢٥٢

وَ سَمِعَ عَ رَجُلًا مِّنَ الْحَرُورِيِّ يَتَهَجَّدُ وَ يَقْرَأُ فَقَالَ نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِّنْ صَلَاةٍ عَلَى شَكٍّ .

هذا نهى عن التعرض للعباده مع الجهل بالمعبود كما يصنع اليوم كثير من الناس و يظنون أنهم خير الناس و العقلاء الألباء من الناس يضحكون منهم و يستهزءون بهم و الحروريه الخوارج و قد سبق القول فيهم و فى نسبتهم إلى حروراء (١) .

يقول ع ترك التنفل بالعبادات مع سلامه العقيده الأصلية خير من الاشتغال بالنوافل و أورد الصلاة مع عدم العلم و هو المعنى بقوله فى شك فإذا كان عدم التنفل خيرا من التنفل مع الشك فهو مع الجهل المحض و هو الاعتقاد الفاسد أولى بأن يكون

ص: ٢٥٣

١-١) حروراء: قريه بظاهر الكوفه، نزل بها الخوارج الذين خالفوا على بن أبى طالب؛ و بها كان أول تحكيمهم و اجتماعهم حين خالفوا عليه».

٩٤] و من كلامه ع فى الاقتصار على السماع دون الروايه إذا لم يكن عن الخبر عن تعقل و درايه]

وَ قَالَ ع اَعْقَلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقَلَ رِعَايَهُ لَا عَقَلَ رِوَايَهُ فَإِنَّ رُؤَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَ رُعَاتُهُ قَلِيلٌ .

نهاهم ع عن أن يقتصروا إذا سمعوا منه أو من غيره أطرافا (١) من العلم و الحكمة على أن يرووا ذلك روايه كما يفعله اليوم المحدثون و كما يقرأ أكثر الناس القرآن دراسه و لا يدرى من معانيه إلا اليسير.

و أمرهم أن يعقلوا ما يسمعونه عقل رعايه أى معرفه و فهم.

ثم قال لهم إن رواه العلم كثير و رعاته قليل أى من يراعيه و يتدبره و صدق ع

ص: ٢٥٤

١ - ١) :«طرفا».

وَ [قَالَ ع وَ قَدْ]

سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ إِذَا لِلَّهِ وَ إِذَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَتَمَالَ إِنَّ قَوْلَنَا إنا لله إقرار على أنفسنا بالملك و قولنا و إنا إليه راجعون إقرار على أنفسنا بالهلك .

قوله إنا لله اعتراف بأنا مملوكون لله و عبيد له لأن هذه اللام لام التمليك كما تقول الدار لزيد فأما قوله و إنا إليه راجعون فهو إقرار و اعتراف بالنشور و القيامه لأن هذا هو معنى الرجوع إليه سبحانه و اقتنع أمير المؤمنين عن التصريح بذلك فذكر الهلك فقال إنه إقرار على أنفسنا بالهلك لأن هلكنا مفض إلى رجوعنا يوم القيامه إليه سبحانه فعبر بمقدمه الشيء عن الشيء نفسه كما يقال الفقر الموت و الحمى الموت و نحو ذلك.

و يمكن أن يفسر ذلك على قول مثبتى النفس الناطقه بتفسير آخر فيقال إن النفس ما دامت في أسر تدابير البدن فهي بمعزل عن مبادئها لأنها مشغله مستغرقه بغير ذلك فإذا مات البدن رجعت النفس إلى مبادئها فقوله و إنا إليه راجعون (١) إقرار بما لا يصح الرجوع بهذا التفسير إلا معه و هو الموت المعبر عنه بالهلك

ص: ٢٥٥

٩٦ [و من كلامه ع فى مدح الإنسان فى وجهه]

وَ قَالَ ع وَ مَدَحَهُ قَوْمٌ فِى وَجْهِهِ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي وَ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ اللَّهُمَّ [اجْعَلْنِي]

اجْعَلْنَا خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ وَ اغْفِرْ لِي]

لَنَا مَا لَا يَعْلَمُونَ .

قد تقدم القول فى كراهيه مدح الإنسان فى وجهه

٤٦٢٦

و فى الحديث المرفوع إذا مدحت أخاك فى وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميضا.

٤٦٢٧

قال أيضا لرجل مدح رجلا فى وجهه عقرت الرجل عقرك الله.

٤٦٢٨

و قال أيضا لو مشى رجل إلى رجل بسيف مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه فى وجهه.

و من كلام عمر المدح هو الذبح قالوا لأن المذبوح ينقطع عن الحركة و الأعمال و كذلك الممدوح يفتقر عن العمل.

و يقول قد حصل فى القلوب و النفوس ما استغنى به عن الحركة و الجدد.

و من أمثال الفلاحين إذا طار لك صيت بين الحصاده فاكسر منجلك.

ص: ٢٥٦

وقال مطرف بن الشخير ما سمعت من ثناء أحد على أو مدحه أحد لى إلا و تصاغرت إلى نفسى و قال زياد بن أبى مسلم ليس أحد سمع ثناء أحد عليه إلا و تراءى له شيطان و لكن المؤمن يراجع.

فلما ذكر كلامهما لابن المبارك قال صدقا أما قول زياد فتلك قلوب العوام و أما قول مطرف فتلك قلوب الخواص

ص: ٢٥٧

وَ قَالَ ع: لَا يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ إِلَّا بِثَلَاثٍ بِاسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ وَ بِاسْتِكْتَامِهَا لِتُظْهَرَ وَ بِتَعْجِيلِهَا لِتُهْنُؤَ .

قد تقدم لنا قول مستقصى فى هذا النحو و فى الحوائج و قضائها و استنجاحها.

٤٦٢٩

و قد جاء فى الحديث المرفوع استعينوا على حاجاتكم بالكتمان فإن كل ذى نعمه محسود.

و قال خالد بن صفوان لا- تطلبوا الحوائج فى غير حينها و لا- تطلبوها إلى غير أهلها و لا تطلبوا ما لستم له بأهل فتكونوا للمنع خلقاء.

و كان يقال لكل شىء أس و أس الحاجه تعجيل أروح من التأخير.

و قال رجل لمحمد بن الحنفية جئتك فى حويجه قال فاطلب لها رجلا.

و قال شبيب بن شبه بن عقال أمران لا- يجتمعان إلا- و جب النجاح و هما العاقل لا يسأل إلا ما يجوز و العاقل لا يرد سائله عما يمكن.

و كان يقال من استعظم حاجه أخيه إليه بعد قضائها امتنانا بها فقد استصغر نفسه.

ص: ٢٥٨

وقال أبو تمام في المطل (١) و كان المطل في بدء و عود

ص: ٢٥٩

١-١) ديوانه ١٥٩:٢-شرح التبريزي.

وَقَالَ ع يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا الْمَاحِلُ وَلَا يُظَرَّفُ فِيهِ إِلَّا الْفَاجِرُ وَلَا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُنْصِفُ يَعُدُّونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْمًا وَصَلَةَ الرَّحِمِ مَنًّا وَالْعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً عَلَى النَّاسِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورِهِ [الْإِمَاءِ]

النِّسَاءِ وَ إِمَارَةِ الصَّبِيَّانِ وَ تَدْبِيرِ الْخِصْيَانِ .

المحل المكر والكيد يقال محل به إذا سعى به إلى السلطان فهو ماحل و محول و المماحله المماكره و المكايده.

قوله و لا يظرف فيه إلا الفاجر لا يعد الناس الإنسان ظريفا إلا إذا كان خليعا ماجنا متظاهرا بالفسق.

وقوله و لا يضعف فيه إلا المنصف أى إذا رأوا إنسانا عنده ورع و إنصاف فى معاملته الناس عدوه ضعيفا و نسبوه إلى الركه و الرخاوه و ليس الشهم عندهم إلا الظالم .

ثم قال يعدون الصدقه غرما أى خساره (١) و يمنون إذا وصلوا الرحم

ص: ٢٦٠

و إذا كانوا ذوى عباده استطالوا بها على الناس و تبجحوا بها و أعجبتهم أنفسهم و احتقروا غيرهم.

قال فعند ذلك يكون السلطان و الحكم بين الرعايا بمشوره الإمام إلى آخر الفصل و هو من باب الإخبار عن الغيوب و هى إحدى آياته و المعجزات المختص بها دون الصحابه

ص: ٢٤١

وَ [قَالَ ع: وَقَدْ]

رُئِيَ عَلَيْهِ إِزَارٌ خَلَقَ مَرْقُوعٌ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَتَقَالَ يَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ وَ تَدُلُّ بِهِ النَّفْسُ وَ يَفْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ عِيدُونَ مُتَفَاوِتَانِ وَ سَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَ تَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَ عَادَاهَا وَ هُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ مَا شِ بَيْنَهُمَا كُلَّمَا قَرَّبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الْآخَرِ وَ هُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ .

قد تقدم القول في هذا الباب و ذكرنا أن الحكماء و العارفين فيه على قسمين منهم من آثر لبس الأدنى على الأعلى و منهم من عكس الحال و كان عمر بن الخطاب من أصحاب المذهب الأول و كذلك أمير المؤمنين و هو شعار عيسى بن مريم ع كان يلبس الصوف و غليظ الثياب و كان رسول الله ص يلبس النوعين جميعا و أكثر لبسه كان الجيد من الثياب مثل أبراد اليمن و ما شاكل ذلك و كانت ملحفته مورسه (١) حتى أنها لتردع (٢) على جلده كما جاء في الحديث.

و روى محمد بن الحنفية ع واقفا بعرفات على بردون أصفر و عليه مطرف خز أصفر و جاء فرقد السبخى (٣) إلى الحسن و على الحسن مطرف خز فجعل ينظر إليه و على فرقد ثياب صوف فقال الحسن ما بالك تنظر إلى و على ثياب أهل الجنة

ص: ٢٦٢

١- (١) مورسه، أى مصبوغه بالورس؛ و هو نبت أصفر يكون باليمن، تصبغ به الثياب.

٢- (٢) فى اللسان عن ابن عتيّاس: «لم ينه عن شىء من الأردية إلاّ- عن المزعفره التى تردع على الجلد» قال: أى تنفض صبغها عليه، و ثوب رديع؛ مصبوغ بالزعفران.

٣- (٣) ب: «السنجى»، و الصواب ما أثبتته، منسوب إلى السبخه، موضع بالبصره، ذكره ياقوت؛ و ذكر بنسبه فرقد إليه.

و عليك ثياب أهل النار إن أحدكم ليجعل الزهد في ثيابه و الكبر في صدره فلهو أشد عجا بصوفه من صاحب المطرف.

و قال ابن السماك لأصحاب الصوف إن كان لباسكم هذا موافقا لسرايركم فلكم أحببتم أن يطلع الناس عليها و لئن كان مخالفا لها لقد هلكتم.

و كان عمر بن عبد العزيز على قاعده عمر بن الخطاب في ملبوسه و كان قبل الخلافه يلبس الثياب المثمنه جدا كان يقول لقد خفت أن يعجز ما قسم الله لي من الرزق عما أريده من الكسوه و ما لبست ثوبا جديدا قط إلا و خيل لي حين يراه الناس أنه سمل أو بال فلما ولي الخلافه ترك ذلك كله.

و روى سعيد بن سويد قال صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس و عليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه و من خلفه فقال له رجل إن الله أعطاك يا أمير المؤمنين فلو لبست فنكس مليا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل القصد ما كان عند الجده و أفضل العفو ما كان عند المقدره.

و روى عاصم بن معدله كنت أرى عمر بن عبد العزيز قبل الخلافه فأعجب من حسن لونه و جوده ثيابه و بزته ثم دخلت عليه بعد أن ولي و إذا هو قد احترق و اسود و لصق جلده بعظمه حتى ليس بين الجلد و العظم لحم و إذا عليه قلنسوه بيضاء قد اجتمع قطنها و يعلم أنها قد غسلت و عليه سحق (١) أنبجانيه قد خرج سداها و هو على شاذكونه (٢) قد لصقت بالأرض تحت الشاذكونه عباءه قطوانيه (٣) من مشاقه الصوف و عنده رجل يتكلم فرفع صوته فقال له عمر اخفض قليلا- من صوتك فإنما يكفى الرجل من الكلام قدر ما يسمع صاحبه.

و روى عبيد بن يعقوب أن عمر بن عبد العزيز كان يلبس الفرو الغليظ من الثياب و كان سراجة على ثلاث قصبات فوقهن طين

ص: ٢٦٣

١-١) جمع سحق؛ و هو الثوب البالى.

٢-٢) الشاذكونه: ثياب غلاظ تعمل باليمن.

٣-٣) قطوانيه: منسوبه إلى قطوان، موضع بالكوفه.

١٠٠ [و من كلامه ع فى أن الدنيا والآخرة عدوين متفاوتين و سبيلين مختلفين]

إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَدُوٌّ وَإِنْ مُتَّفَاوَتَانِ وَ سَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَ تَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَ عَادَاهَا وَ هُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ مَا شِ بَيْنَهُمَا كَلِمًا قَرِيبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعْدَ مِنَ الْآخِرِ وَ هُمَا بَعْدَ ضَرَّتَانِ .

هذا الفصل بين فى نفسه لا يحتاج إلى شرح و ذلك لأن عمل كل واحد من الدارين مضاد لعمل الأخرى فعمل هذه الاكتساب و الاضطراب (١) فى الرزق و الاهتمام بأمر المعاش و الولد و الزوجه و ما ناسب ذلك و عمل هذه قطع العلائق و رفض الشهوات و الانتصاب للعباده و صرف الوجه عن كل ما يصد عن ذكر الله تعالى و معلوم أن هذين العملين متضادان فلا جرم كانت الدنيا والآخرة ضرتين لا يجتمعان

ص: ٢٦٤

١- ١) :«و الضرب فى سبيل الرزق».

وَ عَنْ نَوْفٍ [الْبِكَائِيِّ]

[وَ قِيلَ الْبِكَائِيُّ بِاللَّامِ وَ هُوَ الْأَصْحَحُ]

الْبِكَائِيُّ قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَ دَاتَ لَيْلِهِ وَ قَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَظَنَرَ [إِلَى]

فِي النُّجُومِ فَقَالَ يَا نَوْفُ أَرَأَيْتَ أَنْتَ أَمَ رَامِقٌ [قُلْتُ]

فَقُلْتُ بَلْ رَامِقٌ [يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ]

قَالَ يَا نَوْفُ طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِبِينَ فِي الْآخِرَةِ أَوْلَيْكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بَسَاطًا وَ تُرَابَهَا فِرَاشًا وَ مَاءَهَا طِيبًا وَ الْقُرْآنَ شِعَارًا وَ الدُّعَاءَ دِثَارًا ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ يَا نَوْفُ إِنَّ دَاوُدَ عَ قَامَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ إِنَّهَا لَسَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَارًا أَوْ عَرِيفًا أَوْ شُرْطِيًّا أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ وَ هِيَ الطُّبُورُ أَوْ صَاحِبَ كُوبَةٍ وَ هِيَ الطُّبُلُ وَ قَدْ قِيلَ أَيْضًا إِنَّ الْعَرْطَبَةَ الطُّبُلُ وَ الْكُوبَةَ الطُّبُورُ .

قال صاحب الصحاح نوف البكالي كان صاحب على ع .

و قال ثعلب هو منسوب إلى قبيله تدعى بكاله و لم يذكر من أى العرب هى و الظاهر أنها من اليمن و أما بكيل فحى من همدان و إليهم أشار الكميت بقوله فقد شركت فيه بكيل و أرحب (١) .

ص: ٢٦٥

فأما البكالى فى نسب نوف فلا أعرفه.

قوله أم راقم أى أم مستيقظ ترمق السماء و النجوم ببصر ك .

قوله قرضوا الدنيا أى تركوها و خلفوها وراء ظهورهم قال تعالى وَ إِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ (١) أى تتركهم و تخلفهم شمالا. و يقول الرجل لصاحبه هل مررت بمكان كذا يقول نعم قرضته ليلا ذات اليمين و أنشد لذى الرمه إلى ظعن يقرضن أجواز مشرف شمالا و عن أيماهن الفوارس (٢).

قالوا مشرف و الفوارس موضعان يقول نظرت إلى ظعن يجزن بين هذين الموضعين

ص: ٢٦٦

١-١) سورة الكهف ١٧.

٢-٢) الصحاح (قرض).

وَ قَالَ ع إِنَّ اللَّهَ [تَعَالَى]

افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا وَ حَدَّ لَكُمْ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا وَ نَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا وَ سَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَ لَمْ يَدْعُهَا نِسْيَاناً فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا .

قال الله تعالى لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ (١)

٤٤٣٠

و جاء في الأثر أبهموا ما أبهم الله.

و قال بعض الصالحين لبعض الفقهاء لم تفرض مسائل لم تقع و أتعبت فيها فكرك حسبك بالمتداول بين الناس.

قالوا هذا مثل قولهم في باب المسح على الخفين فإن مسح على خف من زجاج و نحو ذلك من النوادر الغريبة.

و قال شريك في أبي حنيفة أجهل الناس بما كان و أعلمهم بما لم يكن.

و قال عمر لا تتنازعو فيما لم يكن فتختلفوا فإن الأمر إذا كان أعان الله عليه.

و انتهاك الحرمه تناولها بما لا يحل إما بارتكاب ما نهى عنه أو بالإخلال بما أمر به

ص: ٢٤٧

١٠٣] و من كلامه ع في من ترك شيئاً من أمر دينه لاستصلاح أمر دنياه]

وَقَالَ ع لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضْرُّ مِنْهُ .

مثال ذلك إنسان يضع وقت صلاه الفريضة عليه و هو مشغول بمحاسبه و كيله و مخافته على ماله خوفاً أن يكون خانه في شيء منه فهو يحرص على مناقشته عليه فتفوته الصلاه.

قال ع من فعل مثل هذا فتح الله عليه في أمر دنياه و ماله ما هو أضر عليه مما رام أن يستدركه بإهماله الفريضة

ص: ٢٤٨

إشاره

وَقَالَ ع رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ وَ عِلْمُهُ مَعَهُ لَمْ يَنْفَعَهُ .

قد وقع مثل هذا كثيرا كما جرى لعبد الله بن المقفع و فضله مشهور و حكمته أشهر من أن تذكر و لو لم يكن له إلا كتاب اليتيمه لكفى

محنة المقفع

و اجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد و سمع كل منهما كلام الآخر فسئل الخليل عنه فقال وجدت علمه أكثر من عقله و هكذا كان فإنه كان مع حكمته متهورا لا جرم تهوره قتله كتب كتاب أمان لعبد الله بن على عم المنصور و يوجد فيه خطه فكان من جملته و متى غدر أمير المؤمنين بعمره عبد الله أو أبطن غير ما أظهر أو تأول في شيء من شروط هذا الأمان فנסأوه طوالت و دوابه حبس و عبيده و إماؤه أحرار و المسلمون في حل من بيعته فاشتد ذلك على المنصور لما وقف عليه و سأل من الذى كتب له الأمان فقيل له عبد الله بن المقفع كاتب عميك عيسى و سليمان ابني على بالبصره فكتب المنصور إلى عامله بالبصره سفيان بن معاويه يأمره بقتله و قيل بل قال أما أحد يكفيني ابن المقفع فكتب أبو الخصيب بها إلى

سفيان بن معاوية المهلبى أمير البصره يومئذ و كان سفيان واجدا على ابن المقفع لأنه كان يعبث به و يضحك منه دائما فغضب سفيان يوما من كلامه و افترى عليه فرد ابن المقفع عليه ردا فاحشا و قال له يا ابن المغتلمه و كان يمتنع و يعتصم بعيسى و سليمان ابني علي بن عبد الله بن العباس فحقدتها سفيان عليه فلما كوتب فى أمره بما كوتب اعترم قتله فاستأذن عليه جماعه من أهل البصره منهم ابن المقفع فأدخل ابن المقفع قبلهم و عدل به إلى حجره فى دهليزه و جلس غلامه بدابته ينتظره على باب سفيان فصادف ابن المقفع فى تلك الحجره سفيان بن معاوية و عنده غلمانة و تنور نار يسجر فقال له سفيان أ تذكر يوم قلت لى كذا أمى مغتلمه إن لم أقتلك قتله لم يقتل بها أحد ثم قطع أعضاءه عضوا عضوا و ألقاها فى النار و هو ينظر إليها حتى أتى على جميع جسده ثم أطبق التنور عليه و خرج إلى الناس فكلمهم فلما خرجوا من عنده تخلف غلام ابن المقفع ينتظره فلم يخرج فمضى و أخبر عيسى بن علي و أخاه سليمان بحاله فخاصما سفيان بن معاوية فى أمره فوجد دخوله إليه فأشخصاه إلى المنصور و قامت البيه العادله أن ابن المقفع دخل دار سفيان حيا سليما و لم يخرج منها فقال المنصور أنا أنظر فى هذا الأمر إن شاء الله غدا فجاء سفيان ليلا- إلى المنصور فقال يا أمير المؤمنين اتق الله فى صنيعتك و متبع أمرك قال لا ترع و أحضرهم فى غد و قامت الشهاده و طلب سليمان و عيسى القصاص فقال المنصور أ رأيتم إن قتلت سفيان ب ابن المقفع ثم خرج ابن المقفع عليكم من هذا الباب و أوما إلى باب خلفه من ينصب لى نفسه حتى أقتله بسفيان فسكتوا و اندفع الأمر و أضرب عيسى و سليمان عن ذكر ابن المقفع بعدها و ذهب دمه هدرا.

قيل للأصمعى أيما كان أعظم ذكاء و فطنه الخليل أم ابن المقفع فقال كان ابن المقفع أفصح و أحكم و الخليل آدب و أعقل ثم قال شتان ما بين فطنه أفضت بصاحبها إلى القتل و فطنه أفضت بصاحبها إلى النسك و الزهد فى الدنيا و كان الخليل قد نسك قبل أن يموت

وَ قَالَ ع لَقَدْ عَلِقَ بِنِيَاظِ هَذَا الْإِنْسَانِ بَضْعُهُ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ وَ [هُوَ]

ذَلِكَ الْقَلْبُ وَ ذَلِكَ أَنْ لَهُ مَوَادَّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ أَسْدَاداً مِنْ خِلَافِهَا فَإِنْ سَنَّحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ وَ إِنْ هَرَجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ
الْحِرْصُ وَ إِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسْفُ وَ إِنْ عَرَّضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ وَ إِنْ أَسْعَدَهُ [الرِّضَا]

الرِّضَى نَسِيَ التَّحَفُّظَ وَ إِنْ غَالَهُ الْخَوْفُ شَعَلَهُ الْحَذَرُ وَ إِنْ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الْغَرَّةُ وَ [إِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الْجُرْعُ وَ إِنْ أَفَادَ
مَالاً أَطْعَاهُ الْغِنَى]

إِنْ أَفَادَ مَالاً أَطْعَاهُ الْغِنَى وَ إِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الْجُرْعُ وَ إِنْ عَظَّتْهُ الْفَاقَةُ شَعَلَهُ الْبَلَاءُ وَ إِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ [قَعَدَتْ بِهِ الضَّعْفُ]

قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ وَ إِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشَّبَعُ كَطَّئَتْهُ الْبُطْنَةُ فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وَ كُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ .

روى قعد به الضعف و النياط عرق علق به القلب من الوتين فإذا قطع مات صاحبه و يقال له النيط أيضا و البضعة بفتح الباء
القطعة من اللحم و المراد بها هاهنا القلب و قال يعتور القلب حالات مختلفات متضادات فبعضها من الحكمة و بعضها و هو
المضاد لها مناف للحكمة و لم يذكرها ع و ليست الأمور التي عددها شرحا لما قدمه من هذا الكلام المجمل و إن ظن قوم أنه
أراد ذلك ألا ترى أن الأمور التي عددها ليس فيها شيء من باب الحكمة و خلافها.

فإن قلت فما مثال الحكمة و خلافها و إن لم يذكر ع مثاله.

قلت كالشجاعه فى القلب و ضدها الجبن و كالجود و ضده البخل و كالعفه و ضدها الفجور و نحو ذلك .

فأما الأمور التى عددها ع فكلام مستأنف إنما هو بيان أن كل شىء مما يتعلق بالقلب يلزمه لازم آخر نحو الرجاء فإن الإنسان إذا اشتد رجاؤه أذله الطمع و الطمع يتبع الرجاء و الفرق بين الطمع و الرجاء أن الرجاء توقع منفعة ممن سبيله أن تصدر تلك المنفعة عنه و الطمع توقع منفعة ممن يستبعد وقوع تلك المنفعة منه ثم قال و إن هاج به الطمع قتله الحرص و ذلك لأن الحرص يتبع الطمع إذا لم يعلم الطامع أنه طامع و إنما يظن أنه راج.

ثم قال و إن ملكه اليأس قتله الأسف أكثر الناس إذا يئسوا أسفوا .

ثم عدد الأخلاق و غيرها من الأمور الواردة فى الفصل إلى آخره ثم ختمه بأن قال فكل تقصير به مضر و كل إفراط له مفسد و قد سبق كلامنا فى العدالة و أنها الدرجه الوسطى بين طرفين هما رذيلتان و العدالة هى الفضيله كالجود الذى يكتنفه التبذير و الإمساك و الذكاء الذى يكتنفه الغباوه و الجريزه (1) و الشجاعه التى يكتنفها الهوج و الجبن و شرحنا ما قاله الحكماء فى ذلك شرحا كافيا فلا معنى لإعادته

ص: ٢٧٢

١-١) الجريزه: الخب و الخديعه.

وَ قَالَ ع نَحْنُ النُّمْرَقَةُ الْوُسْطَى [الَّتِي يَلْحَقُ بِهَا التَّالِي]

بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي وَ إِلَيْهَا يَرْجِعُ الْعَالِي .

النمرق و النمرقه بالضم فيهما وساده صغيره و يجوز النمرقه بالكسر فيهما و يقال للطنفسه فوق الرحل نمرقه و المعنى أن كل فضيله فإنها مجنحه بطرفين معدودين من الرذائل كما أوضحناه آنفا و المراد أن آل محمد ع هم الأمر المتوسط بين الطرفين المذمومين فكل من جاوزهم فالواجب أن يرجع إليهم و كل من قصر عنهم فالواجب أن يلحق بهم.

فإن قلت فلم استعار لفظ النمرقه لهذا المعنى قلت لما كانوا يقولون قد ركب فلان من الأمر منكرا و قد ارتكب الرأى الفلانى و كانت الطنفسه فوق الرحل مما يركب استعار لفظ النمرقه لما يراه الإنسان مذهبا يرجع إليه و يكون كالراكب له و الجالس عليه و المتورك فوقه.

و يجوز أيضا أن تكون لفظه الوسطى يراد بها الفضلى يقال هذه هى الطريقه الوسطى و الخليقه الوسطى أى الفضلى و منه قوله تعالى قَالَ أَوْسَطُهُمْ (١) أى أفضلهم و منه جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا (٢)

ص: ٢٧٣

١-١) سورة القلم ٢٨.

٢-٢) سورة البقره ١٤٣.

وَقَالَ ع لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يُصَانِعُ وَلَا يُضَارِعُ وَلَا يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ .

قد سبق من كلام عمر شيء يناسب هذا إن لم يكن هو بعينه و المصانعه بذل الرشوه و فى المثل من صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجه.

فإن قلت كان ينبغي أن يقول من لا يصانع بالفتح قلت المفاعله تدل على كون الفعل بين الاثنين كالمضاربه و المقاتله.

و يضارع يتعرض لطلب الحاجه و يجوز أن يكون من الضراعه و هى الخضوع أى يخضع لزيد ليخضع زيد له و يجوز أن يكون من المضارعه بمعنى المشابهه أى لا يتشبه بأئمه الحق أو ولاء الحق و ليس منهم.

و أما اتباع المطامع فمعروف

١٠٨ [و من كلامه ع فى ابتلاء من أحب أهل البيت ع]

وَقَالَ ع: وَقَدْ تُؤْفَى سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيُّ بِالْكُوفَةِ بَعْدَ مَرْجِعِهِ [مِنْ صِفِّينَ مَعَهُ]

مَعَهُ مِنْ صِفِّينَ وَكَانَ [مِنْ أَحَبِّ]

أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَّتْ.

[قال الرضى رحمه الله تعالى و معنى ذلك أن المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه و لا- يفعل ذلك إلا- بالأتقياء الأبرار المصطفين الأخيار: و هذا مثل قوله ع: من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جلبابا و قد يؤول ذلك على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره]

قد ثبت

٤٦٣١

أن النبى ص قال له لا يحبك إلا مؤمن و لا يبغضك إلا منافق.

و قد ثبت

٤٦٣٢

أن النبى ص قال إن البلوى أسرع إلى المؤمن من الماء إلى الحدور.

٤٦٣٣

و فى حديث آخر المؤمن ملقى و الكافى موقى.

٤٦٣٤

و فى حديث آخر خيركم عند الله أعظمكم مصائب فى نفسه و ماله و ولده.

و هاتان المقدمتان يلزمهما نتیجه صادق و هى أنه ع لو أحبه جبل لتهافت و لعل هذا هو مراد الرضى بقوله و قد يؤول ذلك على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره

ص: ٢٧٥

وَقَالَ ع لَا مَالَ أَعُوذُ مِنَ الْعَقْلِ وَلَا وَخِيْدَهُ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ وَلَا عَقْلَ كَالْتَدْبِيرِ وَلَا كَرَمَ كَالْتَّقْوَى وَلَا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ وَلَا مِيرَاثَ كَاللَّادِبِ وَلَا قَائِدَ كَالْتَوْفِيقِ وَلَا تِجَارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَلَا [زَرْعَ]

رِبْحَ كَالثَّوَابِ وَلَا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ وَلَا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ وَلَا عِلْمَ كَالْتَفَكُّرِ وَلَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَلَا إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ وَلَا حَسَبَ كَالْتَوَاضِعِ وَلَا شَرَفَ كَالْعِلْمِ وَلَا عِزًّا كَالْحِلْمِ وَلَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقَ مِنَ الْمَشَاوَرَةِ .

قد تقدم الكلام في جميع هذه الحكم.

أما المال فإن العقل أعود منه لأن الأحمق ذا المال طالما ذهب ماله بحمقه فعاد أحمق فقيرا و العاقل الذي لا مال له طالما اكتسب المال بعقله و بقي عقله عليه.

و أما العجب فيوجب المقت و من مقت أفرد عن المخالطة و استوحش منه و لا ريب أن التدبير هو أفضل العقل لأن العيش كله في التدبير.

و أما التقوى فقد قال الله إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ (١).

ص: ٢٧٤

و أما الأدب فقالت الحكماء ما ورثت الآباء أبناءها كالأدب .

و أما التوفيق فمن لم يكن قائده ضل .

و أما العمل الصالح فإنه أشرف التجارات فقد قال الله تعالى هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١) .

ثم عد الأعمال الصالحة .

و أما الثواب فهو الربح الحقيقي و أما ربح الدنيا فشبيه بحلم النائم .

و أما الوقوف عند الشبهات فهو حقيقه الورع و لا ريب أن من يزهد في الحرام أفضل ممن يزهد في المباحات كالمأكل اللذيذ و الملابس الناعمة و قد وصف الله تعالى أرباب التفكير فقال وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ (٢) و قال أَو لَمْ يَنْظُرُوا و لا ريب أن العبادة بأداء الفرائض فوق العبادة بالنوافل و الحياء مخ الإيمان و كذلك الصبر و التواضع مصيده الشرف و ذلك هو الحسب و أشرف الأشياء العلم لأنه خاصه الإنسان و به يقع الفضل بينه و بين سائر الحيوان .

و المشوره من الحزم فإن عقل غيرك تستضيفه إلى عقلك و من كلام بعض الحكماء إذا استشارك عدوك في الأمر فامحضه النصيحة في الرأي فإنه إن عمل برأيك و انتفع ندم على إفراطه في مناواتك و أفضت عداوته إلى الموده و إن خالفك و استضر عرف قدر أمانتك بنصحه و بلغت مناك في مكروهه

ص: ٢٧٧

١-١ (١) سورة الصف ١٠ .

٢-٢ (٢) سورة آل عمران ١٩١ .

وَ قَالَع إِذَا اسْتَتَوَلَّى الصَّالِحُ عَلَى الزَّمَانِ وَ أَهْلِهِ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرِ مِنْهُ حَوْبَةٌ فَقَدْ ظَلَمَ وَ إِذَا اسْتَتَوَلَّى الْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وَ أَهْلِهِ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ .

يريد أن يتعين على العاقل سوء الظن حيث الزمان فاسد و لا ينبغي له سوء الظن حيث الزمان صالح و قد جاء فى الخبر المرفوع النهى عن أن يظن المسلم بالمسلم ظن السوء و ذلك محمول على المسلم الذى لم تظهر منه حوبه كما أشار إليه على ع و الحوبه المعصيه

٤٦٣٥

١٤- و الخبر هو ما رواه جابر قال نظر رسول الله ص إلى الكعبه فقال مرحبا بك من بيت ما أعظمك و أعظم حرمتك و الله إن المؤمن أعظم حرمة منك عند الله عز و جل لأن الله حرم منك واحده و من المؤمن ثلاثه دمه و ماله و أن يظن به ظن السوء .

و من كلام عمر ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيء ما يغلبك منه و لا تظن بكلمه خرجت من فى أخيك المسلم سوءا و أنت تجد لها فى الخير محملا و من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن.

شاعر أسأت إذ أحسنت ظنى بكم و الحزم سوء الظن بالناس.

ص: ٢٧٨

قيل لعالم من أسوأ الناس حالا قال من لا يثق بأحد لسوء ظنه و لا يثق به أحد لسوء فعله.

شاعر و قد كان حسن الظن بعض مذاهبي فأدبني هذا الزمان و أهله.

قيل لصوفي ما صناعتك قال حسن الظن بالله و سوء الظن بالناس.

و كان يقال ما أحسن حسن الظن إلا أن فيه العجز و ما أقبح سوء الظن إلا أن فيه الحزم.

ابن المعتز

تفقد مساقط لحظ المريب

ص: ٢٧٩

وَقِيلَ لَهُ ع كَيْفَ [تَجِدُكَ]

نَجِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَى بِبِقَائِهِ وَيَسْتَقِمُّ بِصِحَّتِهِ وَيُؤْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ .

هذا مثل قول عبده بن الطيب أرى بصرى قد رابنى بعد صحه

و قال آخر كانت قناتي لا تلين لغامز

وَ قَالَ ع كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَ مَغْرُورٍ بِالسُّرِّ عَلَيْهِ وَ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ وَ مَا ابْتَلَى اللَّهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ .

قد تقدم القول في الاستدراج و الإملاء .

فأما القول في فتنه الإنسان بحسن القول فيه فقد ذكرنا أيضا طرفا صالحا يتعلق بها.

٤٤٣٦

و قال رسول الله ص لرجل مدح رجلا- و قد مر بمجلس رسول الله ص فلم يسمع و لكن قال ويحك لكدت تضرب عنقه لو سمعها لما أفلح.

ص: ٢٨١

وَ قَالَ ع هَلَكَ فِي رَجُلَانِ مُحِبِّ غَالٍ وَ مُبْغِضٍ قَالَ .

قد تقدم القول في مثل هذا

٤٦٣٧

وقد قال رسول الله ص و الله لو لا- أنى أشفق أن تقول طوائف من أمتى فيك ما قالت النصارى في ابن مريم لقلت فيك اليوم مقالا لا تمر بأحد من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركه.

و مع كونه ص لم يقل فيه ذلك المقال فقد غلت فيه غلاه كثيره العدد منتشره في الدنيا يعتقدون فيه ما يعتقد النصارى في ابن مريم و أشنع من ذلك الاعتقاد.

فأما المبغض القالى فقد رأينا من يبغضه و لكن ما رأينا من يلعنه و يصرح بالبراءه منه و يقال إن في عمان و ما والاها من صحار و ما يجرى مجراها قوما يعتقدون فيه ما كانت الخوارج تعتقده فيه و أنا أبرأ [\(١\)](#) إلى الله منهما

ص: ٢٨٢

١١٤] و من كلامه ع في إضاعه الفرصه [

وَ قَالَ ع إِضَاعَةُ الْفُرْصَةِ غُصَّةٌ .

في المثل انتهزوا الفرص فإنها تمرُّ مرَّ السَّحابِ .

و قال الشاعر و إن أمكنت فرصه في العدو

ص: ٢٨٣

وَقَالَ ع مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا وَ السَّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا يَهْوِي إِلَيْهَا الْغُرُّ الْجَاهِلُ وَ يَحْذَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ .

قد تقدم القول في الدنيا مرارا و قد أخذ أبو العتاهيه هذا المعنى فقال إنما الدهر أرقم لين المس و في نابه السقام العقام

[و قَالَ ع]

و [قَدْ]

سُئِلَ عَنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرَيْحَانَهُ قُرَيْشٍ [تُحِبُّ]

نُحِبُّ حَيْدِثَ رِجَالِهِمْ وَ النَّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ وَ أَمَّا بَنُو عَيْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدَهَا رَأْيًا وَ أَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا وَ أَمَّا نَحْنُ فَأَبْدَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا وَ أَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا وَ هُمْ أَكْثَرُ وَ أَمَكَّرُ وَ أَنْكَرُ وَ نَحْنُ أَفْصَحُ وَ أَنْصَحُ وَ أَضْبِحُ .

فصل في نسب بني مخزوم و طرف من أخبارهم

قد تقدم القول في مفاخره هاشم و عبد شمس فأما بنو مخزوم فإنهم بعد هذين البيتين أفخر قریش و أعظمها شرفا.

قال شيخنا أبو عثمان حظيت مخزوم بالأشعار فانتشر لهم صيت عظيم بها و اتفق لهم فيها ما لم يتفق لأحد و ذلك أنه يضرب بهم المثل في العز و المنعه و الجود و الشرف و أوضاعوا في كل غايه فمن ذلك قول سيحان الجسرى حليف بنى أميه في كلمه له و حين يناغى الركب موت هشام .

فدل ذلك على أن ما تقوله مخزوم في التاريخ حق و ذلك أنهم قالوا كانت قریش و كنانه و من والاهم من الناس يؤرخون بثلاثه أشياء كانوا يقولون كان ذلك زمن

مبنى الكعبه و كان ذلك من مجيء الفيل و كان ذلك عام مات هشام بن المغيرة كما كانت العرب تؤرخ فتقول كان ذلك زمن الفطحل و كان ذلك زمن الحيان و كان ذلك زمن الحجارة و كان ذلك عام الحجاف و الرواه تجعل ضرب المثل من أعظم المفاسخ و أظهر الدلائل و الشعر كما علمت كما يرفع كما رفع من بنى أنف الناقه قول الحطيئه قوم هم الأنف و الأذنان غيرهم و من يسوى بأنف الناقه الدنيا.

و كما وضع من بنى نمير قول جرير فعرض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت و لا كلابا .

فلقيت نمير من هذا البيت ما لقيت.

و جعلهم الشاعر مثالا فيمن وضعه الهجاء و هو يهجو قوما من العرب و سوف يزيدكم ضعه هجائي كما وضع الهجاء بنى نمير .

و نمير قبيل شريف و قد ثلم في شرفهم هذا البيت.

و قال ابن غزاله الكندي و هو يمدح بنى شيبان و لم يكن في موضع رغبه إلى بنى مخزوم و لا في موضع رهبه كأنى إذ حطت الرحل فيهم بمكه حين حل بها هشام .

فضرب بهشام المثل.

و قال رجل من بنى حزم أحد بنى سلمى و هو يمدح حرب بن معاويه الخفاجي و خفاجه من بنى عقيل إلى حزن الحزون سمت ركابي بوابل خلفها عسلان جيش

فلما أن أنخت إلى ذراه

فضرب المثل بيتهم في قریش .

و قال عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن الحكم ما رست أكيس من بنى قحطان

فضرب المثل بآل المغیره .

و أما بنو ذكوان فبنو بدر بن عمرو بن حويه بن ذكوان أحد بنى عدى بن فزاره منهم حذيفه و حمل و رهطهما و قال مالك بن

نويره أ لم ينه عنا فخر بكر بن وائل

فجعل قریشا كلها حيا لهشام .

و قال عبد الله بن ثور الخفاجى و أصبح بطن مكة مقشعرا كأن الأرض ليس بها هشام (١) .

و هذا مثل و فوق المثل .

قالوا و قال الخروف الكلبي و قد مر به ناس من تجار قریش يريدون الشام بادين

ص: ٢٨٧

١ - ١) الكامل للمبرد ٢:١٤٢ من غير نسبه: قال فى شرحه: «يقول: هو و إن كان مات فهو مدفون فى الأرض؛ فقد كان يجب من أجله ألا ينالها جذب».

قشفين ما لكم معاشر قريش هكذا أجدبتم أم مات هشام فجعل موت هشام بإزاء الجذب و المحل و في هذا المعنى قال مسافر بن أبي عمرو تقول لنا الركبان في كل منزل أم مات هشام أم أصابكم جذب.

فجعل موت هشام و فقد الغيث سواء.

و قال عبد الله بن سلمه بن قشير دعيني أصطبح يا بكر إني رأيت الموت نقب عن هشام (١).

و قال أبو الطمحان القيني أو أخوه و كانت قريش لا تخون حريمها من الخوف حتى ناهضت بهشام .

و قال أبو بكر بن شعوب لقومه كنانه يا قومنا لا تهلكوا إخفاتا إن هشام القرشي ماتا.

و قال خدّاش بن زهير و قد كنت هجاء لهم ثم كفكفوا نوافذ قولي بالهمام هشام .

و قال علي بن هرمه عم إبراهيم بن هرمه و من يرتئى مدحى فإن مدائحى

و قال الشاعر و هو يهجو رجلا أ حسبت أن أباك يوم نسبتي

ص: ٢٨٨

١- (١) الكامل ٢:١٤٣ من غير نسبه؛ و نقب، أى طوف حتّى أصاب هشاما. و انظر نسب قريش ٣٠١.

و قال الأسود بن يعفر النهشلى إن الأكارم من قريش كلها

و قال ثابت قطنه أو كعب الأشقرى لمحمد بن الأشعث بن قيس أ توعدنى بالأشعثى و مالك

و قال الخزاعى فى كلمته التى يذكر فيها أبا أحيحة له سره البطحاء و العد و الثرى و لا كهاشم الخير و القلب مردف.

و سأل معاويه صعصعه بن صوحان العبدى عن قبائل قريش فقال إن قلنا غضبتهم و إن سكتنا غضبتهم فقال أقسمت عليك قال
فيمن يقول شاعركم و عشره كلهم سيد

و قال عبد الرحمن بن سيحان الجسرى حليف بنى أميه و هو يهجو عبد الله بن مطيع من بنى عدى حرام كنتى منى بسوء

ص: ٢٨٩

وقال أبو طالب بن عبد المطلب و هو يفخر بخاليه هشام و الوليد على أبي سفيان بن حرب (١) و خالي هشام بن المغيرة ثاقب

و قال ابن الزبيري فيهم لهم مشيه ليست تليق بغيرهم إذا احدودب المثرون في السنه الجذب.

و قال شاعر من بني هوازن أحد بني أنف الناقه حين سقى إبله عبد الله بن أبي أميه المخزومي بعد أن منعه الزبرقان بن بدر أ
تدرى من منعت سيال حوض

فقال عبد الله بن أبي أميه مجيبا له لعمري لأنت المرء يحسن باديا

قالوا و كان الوليد بن المغيرة يجلس بذي المجاز فيحكم بين العرب أيام عكاظ و قد كان رجل من بني عامر بن لؤي رافق رجلا
من بني عبد مناف بن قصي فجرى بينهما كلام في جبل فعلاه بالعصا حتى قتله فكاد دمه يطل فقام دونه أبو طالب

ص : ٢٩٠

(١ - ١) ديوانه ٧٦.

بن عبد المطلب و قدمه إلى الوليد فاستحلفه خمسين يمينا أنه ما قتله ففي ذلك يقول أبو طالب أ من أجل جبل ذى رمام علوته

و قال أبو طالب أيضا فى كلمه له و حكمك يبقى الخير إن عز أمره تخمط و استعلى على الأضعف الفرد.

و قال أبو طالب أيضا يرثى أبا أميه زاد الركب و هو خاله كأن على رضراض قص و جندل

و قال أبو طالب أيضا يرثى خاله هشام بن المغيره

ص: ٢٩١

فقدنا عميد الحي و الركن خاشع

عمرو هذا هو أبو جهل بن هشام و أبو عثمان هو هشام .

و قالت ضباعه بنت عامر بن سلمه بن قرط ترثيه إن أبا عثمان لم أنسه

و قال حسان بن ثابت و هو يهجو أبا جهل و كان يكنى أبا الحكم الناس كنوه أبا حكم

فاعترف له بالرتاسه و التقدم.

و قال أبو عبيد معمر بن المثنى لما تنافر عامر بن الطفيل و علقمه بن علائه إلى هرم بن قطبه و تواری عنهما أرسل إليهما عليكما
بافتى الحديث السن الحديد الذهن فصارا إلى أبي جهل فقال له ابن الزبعرى فلا- تحكم فداك أبي و خالي و كن كالمرء
حاكم آل عمرو .

ص: ٢٩٢

فأبى أن يحكم فرجعا إلى هرم .

وقال عبد الله بن ثور هريقا من دموعكما سجاما

وقال أيضا في كلمه له و ما ولدت نساء بنى نزار

وقال عماره بن أبى طرفه الهذلى سمعت ابن جريح يقول فى كلام له هلك سيد البطحاء بالرعاف قلت و من سيد البطحاء قال هشام بن المغيره .

٤٤٣٨

وقال النبى ص لو دخل أحد من مشركى قريش الجنه لدخلها هشام بن المغيره كان أبذلهم للمعروف و أحملهم للكل.

وقال عمر بن الخطاب لا قليل فى الله و لا كثير فى غير الله و لو بالخلق الجزل و الفعال الدثر تنال المثوبه لنالها هشام بن المغيره و لكن بتوحيد الله و الجهاد فى سبيله.

وقال خداش بن زهير فى يوم شمطه (١) و هو أحد أيام الفجار و هو عدو قريش و خصمها و بلغ أن بلغت بنا هشاما

ص: ٢٩٣

(١-١) لقيس على كنانه و قريش. و شمطه: موضع قريب من عكاظ.

وقال أيضا وذكرهما في تلك الحروب يا شده ما شددنا غير كاذبه

و ذكرهم ابن الزبعرى في تلك الحروب فقال ألا لله قوم

ريظه هي أم ولد المغيره و هي ريظه بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب و أبو عبد مناف هو أبو أميه بن المغيره و يعرف بزاد الركب و اسمه حذيفه و إنما قيل له زاد الركب لأنه كان إذا خرج مسافرا لم يتزود معه أحد و كانت

ص: ٢٩٤

عنده عاتكه بنت عبد المطلب بن هشام و أما ذو الرمحين فهو أبو ربيعه بن المغيره و اسمه عمرو و كان المغيره يكنى باسم ابنه الأكبر و هو هاشم و لم يعقب إلا من حنتمه ابنته و هى أم عمر بن الخطاب .

و قال ابن الزبعرى يمدح أبا جهل رب نديم ماجد الأصل

و قال الورد بن خلاس السهمى سهم باهله يمدح الوليد إذا كنت فى حىي جذيمه ثاويا

و قال أيضا إن الوليدىن و الأبناء ضاحيه

و قال و رهطك يا ابن الغيث أكرم محتد و امنع للجار اللهيف المهضم.

قالوا الغيث لقب المغيره و جعل الوليد و أخاه هشاما ربي تهامه كما قال لييد بن ربيعه فى حذيفه بن بدر و أهلكن يوما رب كنده و ابنه و رب معد بين خبت و عرعر (١) فجعله رب معد .

ص: ٢٩٥

(١-١) ديوانه ٥٥.

قالوا يدل على قدر مخزوم ما رأينا من تعظيم القرآن لشأنهم دون غيرهم من سائر قريش قال الله تعالى مخبرا عن العرب إنهم قالوا لَوْ لَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَيَّ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (١) فأحد الرجلين العظيمين بلا شك الوليد بن المغيرة و الآخر مختلف فيه أ هو عروه بن مسعود أم جد المختار بن أبي عبيد .

و قال سبحانه في الوليد ذرني و مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمدُوداً وَ بَيْنَ شُهُوداً (٢) الآيات.

قالوا و في الوليد نزلت أَمَا مَنِ اسْتَعْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٣) .

و في أبي جهل نزلت ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤) .

و فيه نزلت فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (٥) .

و في مخزوم وَ ذرني وَ الْمَكذِبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ (٦) .

و فيهم نزلت مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ (٧) .

و زعم اليعقوبي أبو اليقظان و أبو الحسن أن الحجاج سأل أعشى همدان عن بيوتات قريش في الجاهلية فقال إنني قد آليت ألا أنفر أحدا على أحد و لكن أقول و تسمعون قالوا فقل قال من أيهم المحبب في أهله المؤرخ بذكره محلي الكعبة و ضارب القبة و الملقب بالخير و صاحب الخير و المير قالوا من بني مخزوم قال فمن أيهم ضجيع بسباسبه و المنحور عنه ألف ناقة و زاد الركب و مبيض البطحاء قالوا من بني مخزوم قال فمن أيهم كان المقنع في حكمه و المنفذ وصيته على تهكمه و عدل الجميع في الرفادة و أول من وضع أساس الكعبة قالوا من بني مخزوم قال فمن

ص: ٢٩٦

١-١) سورة الزخرف ٣١.

٢-٢) سورة المدثر ١١-١٣.

٣-٣) سورة عبس ٥،٦.

٤-٤) سورة الدخان ٤٩.

٥-٥) سورة العلق ١٧.

٦-٦) سورة المزمل ١١.

٧-٧) سورة الأنعام ٩٤.

أيهم صاحب الأريكة و مطعم الخزيره قالوا من بنى مخزوم قال فمن أيهم الإخوه العشره الكرام البرره قالوا من بنى مخزوم قال فهو ذاك فقال رجل من بنى أميه أيها الأمير لو كان لهم مع قديمهم حديث إسلام فقال الحجاج أ و ما علمت بأن منهم رداد الرده و قاتل مسيلمه و أسر طليحه و المدرك بالطائله مع الفتوح العظام و الأيادى الجسام فهذا آخر ما ذكره أبو عثمان .

و يمكن أن يزداد عليه فيقال قالت مخزوم ما أنصفنا من اقتصر في ذكرنا على أن قال مخزوم ريحانه قريش تحب حديث رجالهم و النكاح في نسائهم و لنا في الجاهليه و الإسلام أثر عظيم و رجال كثيره و رؤساء شهيره فمننا المغيره بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم كان سيد قريش في الجاهليه و هو الذى منع فزاره من الحج لما غير خشين بن لأى الفزارى ثم الشمخى قوما من قريش إنهم يأخذون ما ينحره العرب من الإبل في الموسم فقال خشين لما منع من الحج يا رب هل عندك من عقيره

منا بنو المغيره العشره أمهم ريطه و قد تقدم ذكر نسبها و أمها عاتكه بنت عبد العزى بن قصى و أمها الحظيا بنت كعب بن سعد بن تيم بن مره أول امرأه من قريش ضربت قباب الأدم بنذى المجاز و لها يقول الشاعر مضى بالصالحات بنو الحظيا و كان بسيفهم يغنى الفقير.

فمن هؤلاء أعنى الحظيا الوليد بن المغيره أمه صخره بنت الحارث بن عبد الله

بن عبد شمس القشيري كان أبو طالب بن عبد المطلب يفتخر بأنه خاله و كفاك من رجل يفتخر أبو طالب بخئولته ألا ترى إلى قول أبي طالب و خالي الوليد قد عرفتم مكانه و خالي أبو العاصي إياس بن معبد .

و منهم حفص بن المغيرة و كان شريفا و عثمان بن المغيرة و كان شريفا و منهم السيد المطاع هشام بن المغيرة و كان سيد قريش غير مدافع له يقول أبو بكر بن الأسود بن شعوب يرثيه ذريني أصطبح يا بكر إني

و يقول له الحارث بن أمية الضمري ألا هلك القناص و الحامل الثقلا

ص : ٢٩٨

و قال أيضا يبيكه و يرثيه و أصبح بطن مكة مقشعرا

و ضباعه التي تذكرها الشعراء زوجه هشام و هي من بني قشير .

قال الزبير بن بكار فلما قال الحارث ألا لست كالهلكي البيت عظم ذلك علي بنى عبد مناف فأغروا به حكيم بن أميه بن حارثه بن الأوقص السلمى حليف بنى عبد شمس و كانت قریش رضيت به و استعملته علي سقائها ففر منه الحارث و قال أفر من الأباطح كل يوم مخافه أن ينكل بي حكيم .

فهدم حكيم داره فأعطاه بنو هشام داره التي بأجباد عوضا منها.

و قال عبد الله بن ثور البكائي يرثيه هريقى من دموعهما سجاما

ص: ٢٩٩

قال الزبير و كان فارس قريش فى الجاهليه هشام بن المغيره و أبو لبيد بن عبده بن حجره بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى و كان يقال لهشام فارس البطحاء فلما هلكا كان فارسى قريش بعدهما عمرو بن عبد العامرى المقتول يوم الخندق و ضرار بن الخطاب المحاربى الفهرى ثم هبيرة بن أبى وهب و عكرمه بن أبى جهل المخزوميان قالوا و كان عام مات هشام تاريخا كعام الفيل و عام الفجار و عام بنان الكعبه و كان هشام رئيس بنى مخزوم يوم الفجار .

قالوا و منا أبو جهل بن هشام و اسمه عمرو و كنيته أبو الحكم و إنما كناه أبا جهل رسول الله ص كان سيدا أدخلته قريش دار الندوة فسودته و أجلسته فوق الجله من شيوخ قريش و هو غلام لم يطر شاربه و هو أحد من ساد على الصبا و الحارث بن هشام أخو أبى جهل كان شريفا مذكورا و له يقول كعب بن الأشرف اليهودى الطائى نبئت أن الحارث بن هشام

و هو الذى هاجر من مكة إلى الشام بأهله و ماله فى خلافة عمر بن الخطاب فتبعه أهل مكة ليكون فرق و بكى و قال إنا لو كنا نستبدل دارا بدار و جارا

بجار ما أردنا بكم بدلا و لكنها النقلة إلى الله عز و جل فلم يزل حابسا نفسه و من معه بالشام مجاهدا حتى مات.

قال الزبير جاء الحارث بن هشام و سهيل بن عمرو إلى عمر بن الخطاب فجلسا عنده و هو بينهما فجعل المهاجرون الأولون و الأنصار يأتون عمر فينحيهما و يقول هاهنا يا سهيل هاهنا يا حارث حتى صارا في آخر الناس فقال الحارث لسهيل أ لم تر ما صنع بنا عمر اليوم فقال سهيل أيها الرجل إنه لا لوم عليه ينبغي أن نرجع باللوم على أنفسنا دعى القوم و دعينا فأسرعوا و أبطأنا فلما قاما من عند عمر أتياه في غد فقالا له قد رأينا ما صنعت بالأمس و علمنا أنا أتينا من أنفسنا فهل من شيء نستدرك به فقال لا أعلم إلا هذا الوجه و أشار لهما إلى ثغر الروم فخرجا إلى الشام فجاهدا بها حتى ماتا.

قالوا و منا عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أمه فاطمه بنت الوليد بن المغيرة و كان شريفا سيدا و هو الذى قال لمعاوية لما قتل حجر بن عدى و أصحابه أين عزب منك حلم أبى سفيان أ لا حبستهم فى السجون و عرضتهم للطاعون فقال حين غاب عنى مثلك من قومي و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام هو الذى رغب فيه عثمان بن عفان و هو خليفه فزوجه ابنته.

قالوا و منا أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كان سيدا جوادا و فقيها عالما و هو الذى قدم عليه بنو أسد بن خزيمه يسألونه فى دماء كانت بينهم فاحتمل عنهم أربعمائه بعير ديه أربعة من القتلى و لم يكن بيده مال فقال لابنه عبد الله بن أبى بكر اذهب إلى عمك المغيرة بن عبد الرحمن فاسأله المعونه فذهب عبد الله إلى عمه فذكر له ذلك فقال المغيرة لقد أكبر علينا أبوك فانصرف عنه عبد الله و أقام أياما

لا يذكر لأبيه شيئا و كان يقود أباه إلى المسجد و قد ذهب بصره فقال له أبوه يوما أ ذهبت إلى عمك قال نعم و سكت فعرف حين سكت أنه لن يجد عند عمه ما يحب فقال له يا بني أ لا تخبرني ما قال لك قال أ يفعل أبو هاشم و كانت كنيه المغيره فربما فعل و لكن اغد غدا إلى السوق فخذ لى عينه فغدا عبد الله فتعين عينه من السوق لأبيه و باعها فأقام أيام لا يبيع أحد فى السوق طعاما و لا زيتا غير عبد الله بن أبى بكر من تلك العينه فلما فرغ أمره أبوه أن يدفعها إلى الأسديين فدفعها إليهم.

و كان أبو بكر خصيصا بعبد الملك بن مروان و قال عبد الملك لابنه الوليد لما حضرته الوفاه إن لى بالمدينه صديقين فاحفظنى فيهما عبد الله بن جعفر بن أبى طالب و أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

و كان يقال ثلاثه أبيات من قريش توالى بالشرف خمسه خمسه و عدوا منها أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيره .

قالوا و منا المغيره بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كان أجود الناس بالمال و أطعمهم للطعام و كانت عينه أصيبت مع مسلمه بن عبد الملك فى غزوه الروم و كان المغيره ينحر الجزور و يطعم الطعام حيث نزل و لا يرد أحدا فجاء قوم من الأعراب فجلسوا على طعامه فجعل أحدهم يحد النظر إليه فقال له المغيره ما لك تحدد النظر إلى قال إنى ليريبنى عينك و سماحك بالطعام قال و مم ارتبت قال أظنك الدجال لأننا روينا أنه أعور و أنه أطعم الناس للطعام فقال المغيره ويحك إن الدجال لا تصاب عينه فى سبيل الله و للمغيره يقول الأقيشر الأسدى لما قدم الكوفه فنحر الجزر و بسط الأنطاع و أطعم الناس و صار صيته فى العرب

عبد الله بن بشر بن مروان بن الحكم و جدى التيم حماد بن عمران بن موسى بن طلحه بن عبيد الله و أوتار عقبه يعنى أولاد عقبه بن أبى معيط و الحاطبى لقمان بن محمد بن حاطب الجمحى و رهط صخر بنو أبى سفيان بن حرب بن أميه و كل هؤلاء كانوا مشهورين بالكوفه فلما قدمها المغيره أخمل ذكرهم و المغيره هذا هو الذى بلغه أن سليم بن أفصح مولى أبى أيوب الأنصارى أراد أن يبيع المنزل الذى نزل فيه رسول الله ص مقدمه المدينه على أبى أيوب بخمسائه دينار فأرسل إليه ألف دينار و سأله أن يبيعه إياه فباعه فلما ملكه جعله صدقه فى يومه.

قال الزبير و كان يزيد بن المغيره بن عبد الرحمن يطاف به بالكوفه على العجل و كان ينحر فى كل يوم جزورا و فى كل جمعه جزورين و رأى يوما إحدى جفناته مكمله بالسنام تكليلا حسنا فأعجبه فسأل فقال من كللها قيل اليسع ابنك فسر و أعطاه ستين دينارا.

و مر إبراهيم بن هشام على برده المغيره و قد أشرقت على الجفنه فقال لعبد من عبيد المغيره يا غلام على أى شىء نصبتم هذا الثريد على العمد قال لا و لكن على أعضاء الإبل فبلغ ذلك المغيره فأعتق ذلك الغلام.

و المغيره هو الذى مر بحره الأعراب فقاموا إليه فقالوا يا أبا هاشم قد فاض

معروفك على الناس فما بالننا أشقى الخلق بك قال إنه لا مال معى و لكن خذوا هذا الغلام فهو لكم فأخذه فبكى الغلام فقال يا مولائى خدمتى و حرمتى فقال أ تبيعونى إياه قالوا نعم فاشتراه منهم بمال ثم أعتقه و قال له و الله لا أعرضك لمثلها أبدا اذهب فأنت حر فلما عاد إلى الكوفه حمل ذلك المال إليهم.

و كان المغيره يأمر بالسكر و الجوز فيدقان و يطعمهما أصحاب الصفه المساكين و يقول إنهم يشتهون كما يشتهى غيرهم و لا يمكنهم فخرج المغيره فى سفر و معه جماعه فوردوا غديرا ليس لهم ماء غيره و كان ملحا فأمر بقرب العسل فشقت فى الغدير و خيضت بمائه فما شرب أحد منهم حتى راحوا إلا من قرب المغيره .

و ذكر الزبير أن ابنا لهشام بن عبد الملك كان يسوم المغيره ماله بالمكان المسمى بديعا فلا يبيعه فغزا ابن هشام أرض الروم و معه المغيره فأصاب الناس مجاعه فى غزاتهم فجاء المغيره إلى ابن هشام فقال إنك كنت تسومنى مالى ببيع (1) فأبى أن أبيعك فاشتر الآن منى نصفه بعشرين ألف دينار فأطعم المغيره بها الناس فلما رجع ابن هشام بالناس من غزوته تلك و قد بلغ هشاما الخبر قال لابنه قبح الله رأيك أنت أمير الجيش و ابن أمير المؤمنين يصيب الناس معك مجاعه فلا تطعمهم حتى يبيعك رجل سوقه ماله و يطعم به الناس ويحك أ خشيت أن تفتقر إن أطعمت الناس.

قالوا و لنا عكرمه بن أبى جهل الذى قام له رسول الله ص قائما و هو بعد مشرك لم يسلم و لم يقم رسول الله ص لرجل داخل عليه من الناس شريف و لا مشرف إلا عكرمه و عكرمه هو الذى اجتهد فى نصره الإسلام بعد أن كان شديد العداوه و هو الذى سأله أبو بكر أن يقبل منه معونه على الجهاد فأبى

ص: ٣٠٤

١- (١) بديع: ماء عليه نخيل و عيون جاريه بقرب وادى القرى. ياقوت.

و قال لا آخذ على الجهاد أجرا و لا معونه و هو الشهيد يوم أجنادين و هو الذى

٤٤٣٩

١٤- قال رسول الله ص لا تسألنى اليوم شيئا إلا أعطيتك فقال فإنى أسألك أن تستغفر لى و لم يسأل غير ذلك .

و كل قريش غيره سألوا المال كسهيل بن عمرو و صفوان بن أميه و غيرهما.

قالوا و لنا الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة كان شاعرا مجيدا كثيرا و كان أمير مكة استعمله عليها يزيد بن معاوية و من شعره من كان يسأل عنا أين منزلنا

و أخوه عكرمه بن خالد كان من وجوه قريش و روى الحديث و روى عنه.

و من ولد خالد بن العاص بن هاشم بن المغيرة خالد بن إسماعيل بن عبد الرحمن كان جوادا متلافا و فيه قال الشاعر لعمر ك إن المجد ما عاش خالد

قالوا و لنا الأوقص و هو محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن المغيرة كان قاضى مكة و كان فقيها.

قالوا و من قدماء المسلمين عبد الله بن أميه بن المغيرة أخو أم سلمه زوج رسول الله

ص: ٣٠٥

ص كان شديد الخلاف على المسلمين ثم خرج مهاجراً و شهد فتح مكة و حنين و قتل يوم الطائف شهيداً.

و الوليد بن أميه غير رسول الله ص اسمه فسماه المهاجر و كان من صلحاء المسلمين.

قالوا و منا زهير بن أبى أميه بن المغيره و بجير بن أبى ربيعه بن المغيره غير رسول الله ص اسمه فسماه عبد الله كانا من أشرف قريش و عباس بن أبى ربيعه كان شريفاً قالوا و منا الحارث القباع و هو الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعه كان أمير البصره و عمر بن عبد الله بن أبى ربيعه الشاعر المشهور ذى الغزل و التشبيب.

قالوا و من ولد الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعه الفقيه المشهور و هو المغيره بن عبد الرحمن بن الحارث كان فقيه المدينة بعد مالك بن أنس و عرض عليه الرشيد جائزته أربعة آلاف دينار فامتنع و لم يتقلد له القضاء.

قالوا و من يعد ما تعده مخزوم و لها خالد بن الوليد بن المغيره سيف الله كان مباركا ميمون النقيبه شجاعاً و كان إليه أعنه الخيل على عهد رسول الله ص و شهد معه فتح مكة و جرح يوم حنين فنفت رسول الله ص على جرحه فبرأ و هو الذى قتل مسيلمه و أسر طليحه و مهد خلافه أبى بكر و قال يوم مؤتته لقد شهدت كذا و كذا زحفاً و ما فى جسدى موضع إصبع إلا و فيه طعنه أو ضربه و ها أنا ذا أموت على فراشى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء و مر عمر بن الخطاب على دور بنى مخزوم و النساء يندبن خالداً و قد وصل خبره إليهم

ص: ٣٠٤

و كان مات بحمص فوقف و قال ما على النساء أن يندبن أبا سليمان و هل تقوم حره عن مثله ثم أنشد أ تبكى ما وصلت به الندامى

و كان عمرو مبغضا لخالد و منحرفا عنه و لم يمنعه ذلك من أن صدق فيه.

قالوا و منا الوليد بن الوليد بن المغيرة كان رجل صدق من صلحاء المسلمين.

و منا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد و كان عظيم القدر فى أهل الشام و خاف معاويه منه أن يثب على الخلافة بعدهم فسمه أمر طبيبا له يدعى ابن أثال فسقاه فقتله.

و خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد قاتل ابن أثال بعمه عبد الرحمن و المخالف على بنى أميه و المنقطع إلى بنى هاشم و إسماعيل بن هشام بن الوليد كان أمير المدينة و إبراهيم و محمد ابنا هشام بن عبد الملك و أيوب بن سلمه بن عبد الله بن الوليد بن الوليد و كان من رجال قريش و من ولده هشام بن إسماعيل بن أيوب و سلمه بن عبد الله بن الوليد بن الوليد ولى شرطه المدينة .

قالوا و من ولد حفص بن المغيرة عبد الله بن أبى عمر بن حفص بن المغيرة هو أول خلق الله حاج يزيد بن معاويه .

قالوا و لنا الأزرق و هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة والى اليمن لابن الزبير و كان من أجود العرب و هو ممدوح أبى دهبيل الجمحى .

١٤- قالوا و لنا شريك رسول الله ص و هو عبد الله بن السائب بن أبي السائب و اسم أبي السائب صيفى بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم كان شريك النبي ص فى الجاهليه فجاهه يوم الفتح فقال له أ تعرفنى قال أ لست شريكى قال بلى قال لقد كنت خير شريك لا تشارى و لا تمارى .

قالوا و منا الأرقم بن أبى الأرقم الذى استتر رسول الله فى داره بمكه فى أول الدعوه و اسم أبى الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

و منا أبو سلمه بن عبد الأسد و اسمه عبد الله و هو زوج أم سلمه بنت أبى أميه بن المغيره قبل رسول الله ص شهد أبو سلمه بدرا و كان من صلحاء المسلمين .

قالوا لنا هبيرة بن أبى وهب كان من الفرسان المذكورين و ابنه جعده بن هبيرة و هو ابن أخت على بن أبى طالب ع أمه أم هانئ بنت أبى طالب و ابنه عبد الله بن جعده بن هبيرة هو الذى فتح القهندر و كثيرا من خراسان فقال فيه الشاعر لو لا ابن جعده لم تفتح قهندركم و لا خراسان حتى ينفخ الصور .

قالوا و لنا سعيد بن المسيب الفقيه المشهور و أما الجواد المشهور فهو الحكم بن المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم .

و قد اختصرنا و اقتصرنا على من ذكرنا و تركنا كثيرا من رجال مخزوم خوف الإسهاب .

و ينبغى أن يقال فى الجواب إن أمير المؤمنين ع لم يقل هذا الكلام احتقارا لهم و لا استصغارا لشأنهم و لكن أمير المؤمنين ع كان أكثر همه يوم المفاخره أن يفاخر بنى عبد شمس لما بينه و بينهم فلما ذكر مخزوما بالعرض قال فيهم ما قال و لو كان يريد مفاخرتهم لما اقتصر لهم على ما ذكره عنهم على أن أكثر هؤلاء الرجال إسلاميون بعد عصر على ع و على ع إنما يذكر من قبله لا من يجيء بعده .

فإن قلت إذا كان قد قال في بني عبد شمس إنهم أمنع لما وراء ظهورهم ثم قال في بني هاشم إنهم أسمح عند الموت بنفوسهم فقد تناقض الوصفان.

قلت لا مناقضه بينهما لأنه أراد كثره بني عبد شمس فبالكثرة تمنع ما وراء ظهورها و كان بنو هاشم أقل عددا من بني عبد شمس إلا أن كل واحد منهم على انفراده أشجع و أسمح بنفسه عند الموت من كل واحد على انفراده من بني عبد شمس فقد بان أنه لا مناقضه بين القولين

ص: ٣٠٩

وَ قَالَ ع شَتَّانَ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ عَمَلٍ تَذْهَبُ لِدَّتُهُ وَ تَبْقَى تَبِعَتُهُ وَ عَمَلٍ تَذْهَبُ مُنُونَتُهُ وَ يَبْقَى أَجْرُهُ .

أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال تفنى اللذاذه ممن نال بغيته

[و قَالَ ع]

و [قَدْ]

تَبَعَ جِنَازَهُ فَسَجَعَ رَجُلًا يَضْحَكُ فَقَالَ كَانَ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَيَّ غَيْرِنَا كُتِبَ وَ كَانَ الْحَقَّ فِيهَا عَلَيَّ غَيْرِنَا وَ جَبَّ وَ كَانَ الَّذِي نَزَى مِنَ
الْأَمْوَاتِ سَيْفَرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ نُبَوُّهُمْ أَجْدَانَهُمْ وَ نَأْكُلُ تُرَائِهِمْ كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَ وَاعِظِهِ وَ رُمِينَا
بِكُلِّ فَادِحٍ وَ جَائِحِهِ [طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَ طَابَ كَسْبُهُ وَ صِلَحَتْ سِرِيرَتُهُ وَ حَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ وَ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَ أَمْسَكَ
الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ وَ عَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ وَ وَسِعَتْهُ الشُّنَّةُ وَ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى بَدْعِهِ]

طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَ طَابَ كَسْبُهُ وَ صِلَحَتْ سِرِيرَتُهُ وَ حَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ وَ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَ أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ وَ
عَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ وَ وَسِعَتْهُ الشُّنَّةُ وَ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى الْبَدْعِهِ .

قال الرضى أقول و من الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله ص و كذلك الذى قبله قال الرضى رحمه الله تعالى أقول و
من الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله ص

الأشهر الأكثر في الرواية-أن هذا الكلام من كلام رسول الله ص و مثل قوله كأن الموت فيها على غيرنا كتب

٤٤٤١

قول الحسن ع ما رأيت حقا لا باطل فيه أشبهه باطل لا حق فيه من الموت.

و الألفاظ التى بعده واضحة ليس فيها ما يشرح و قد تقدم ذكر نظائرها

ص: ٣١١

وَ قَالَ ع غَيْرُهُ الْمَرْأَةُ كُفْرٌ وَ غَيْرُهُ الرَّجُلُ إِيمَانٌ .

المرجع في هذا إلى العقل و التماسك فلما كان الرجل أعقل و أشد تماسكا كانت غيرته في موضعها و كانت واجبه عليه لأن النهي عن المنكر واجب و فعل الواجبات من الإيمان و أما المرأه فلما كانت انقص عقلا و أقل صبرا كانت غيرتها على الوهم الباطل و الخيال غير المحقق فكانت قبيحه لوقوعها غير موقعها و سماها ع كفرا لمشاركتها الكفر في القبح فأجرى عليها اسمه.

و أيضا فإن المرأه قد تؤدي بها الغيره إلى ما يكون كفرا على الحقيقه كالسحر فقد ورد في الحديث المرفوع أنه كفر و قد يفضى بها الضجر و القلق إلى أن تتسخط و تشتم و تتلفظ بألفاظ تكون كفرا لا محاله

وَ قَالَ ع لَأَنْسِيَنَّ الْإِسْلَامَ نَسِيَةً لَمْ يَنْسُجْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ وَ التَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ وَ الْيَقِينُ هُوَ التَّصَدِيقُ وَ التَّصَدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ وَ الْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ وَ الْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ .

خلاصه هذا الفصل تقتضى صحه مذهب أصحابنا المعتزله فى أن الإسلام و الإيمان عبارتان عن معبر واحد و أن العمل داخل فى مفهوم هذه اللفظه ألا- تراه جعل كل واحده من اللفظات قائمه مقام الأخرى فى إفاده المفهوم كما تقول الليث هو الأسد و الأسد هو السبع و السبع هو أبو الحارث فلا- شبهه أن الليث يكون أبا الحارث أى أن الأسماء مترادفه فإذا كان أول اللفظات الإسلام و آخرها العمل دل على أن العمل هو الإسلام و هكذا يقول أصحابنا إن تارك العمل و تارك الواجب لا يسمى مسلما.

فإن قلت هب أن كلامه ع يدل على ما قلت كيف يدل على أن الإسلام هو الإيمان قلت لأنه إذا دل على أن العمل هو الإسلام و جب أن يكون الإيمان هو الإسلام لأن كل من قال إن العمل داخل فى مسمى الإسلام قال إن الإسلام هو الإيمان

فالقول بأن العمل داخل في مسمى الإسلام و ليس الإسلام هو الإيمان قول لم يقل به أحد فيكون الإجماع واقعا على بطلانه.

فإن قلت إن أمير المؤمنين ع لم يقل كما تقوله المعتزله لأن المعتزله تقول الإسلام اسم واقع على العمل و غيره من الاعتقاد و النطق باللسان و أمير المؤمنين ع جعل الإسلام هو العمل فقط فكيف ادعت أن قول أمير المؤمنين ع يطابق مذهبهم قلت لا يجوز أن يريد غيره لأن لفظ العمل يشمل الاعتقاد و النطق باللسان و حركات الأركان بالعبادات إذ كل ذلك عمل و فعل و إن كان بعضه من أفعال القلوب و بعضه من أفعال الجوارح و لو لم يرد أمير المؤمنين ع ما شرحناه لكان قد قال الإسلام هو العمل بالأركان خاصة و لم يعتبر فيه الاعتقاد القلبي و لا النطق اللفظي و ذلك مما لا يقوله أحد

ص: ٣١٤

وَ قَالَ ع عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ وَ يَفُوتُهُ الْغِنَى الَّذِي إِبَاهُ طَلَبَ فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ وَ يُحَاسِبُ فِي
الْآخِرَةِ حَسَابَ الْأَغْنِيَاءِ وَ عَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَهُ وَ يَكُونُ غَدًا جِيفَةً وَ عَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ وَ هُوَ يَرَى خَلْقَ
اللَّهِ وَ عَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وَ هُوَ يَرَى [مَنْ يَمُوتُ]

الْمَوْتَى وَ عَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الْآخِرَى وَ هُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الْأُولَى وَ عَجِبْتُ لِغَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ وَ تَارِكٍ دَارَ الْبَقَاءِ .

قال أعرابي الرزق الواسع لمن لا يستمتع به بمنزله الطعام الموضوع على قبر و رأى حكيم رجلا مثيرا يأكل خبزا و ملحاً فقال لم
تفعل هذا قال أخاف الفقر قال فقد تعجلته فأما القول في الكبر و التيه فقد تقدم منه ما فيه كفايه و قال ابن الأعرابي ما تاه على
أحد قط أكثر من مره واحده أخذ هذا المعنى شاعر فقال و أحسن هذه منك فإن عدت إلى الباب فمنى .

و قد تقدم من كلامنا في نظائر هذه الألفاظ المذكوره ما يغنى عن الإطاله ها هنا

وَ قَالَ ع مَنْ قَصَرَ فِى الْعَمَلِ ابْتُلِيَ بِالْهَمِّ لَا حَاجَةَ لِلَّهِ فِيمَنْ لَيْسَ لِلَّهِ فِى مَالِهِ وَ نَفْسِهِ نَصِيبٌ .

هذا مخصوص بأصحاب اليقين و الاعتقاد الصحيح فإنهم الذين إذا قصرُوا فى العمل ابتلوا بالهم فأمأ غيرهم من المسرفين على أنفسهم و ذوى النقص فى اليقين و الاعتقاد فإنه لا-هم يعرفهم و إن قصرُوا فى العمل و هذه الكلمة قد جربناها من أنفسنا فوجدنا مصداقها واضحا و ذلك أن الواحد منا إذا أخل بفريضه الظهر مثلا حتى تغيب الشمس و إن كان أخل بها لعذر وجد ثقلا فى نفسه و كسلا و قلة نشاط و كأنه مشكول بشكال أو مقيد بقيد حتى يقضى تلك الفريضة فكأنما أنشط من عقال

١٢٣ [و من كلامه ع في ابتلاء العبد بماله و نفسه]

[لَا حَاجَةَ لِلَّهِ فِيمَنْ لَيْسَ لِلَّهِ فِي مَالِهِ وَ نَفْسِهِ نَصِيبٌ]

٤٦٤٢

قد جاء في الخبر المرفوع إذا أحب الله عبدا ابتلاه في ماله أو في نفسه.

٤٦٤٣

و جاء في الحديث المرفوع

اللهم أنى أعوذ بك من جسد لا يمرض و من مال لا يصاب .

٤٦٤٤

١٤- و روى عبد الله بن أنس عنه ص أنه قال أيكم يحب أن يصح فلا- يسقم قالوا كلنا يا رسول الله قال أ تحبون أن تكونوا كالحمر الصائله ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا و أصحاب كفارات و الذى بعثنى بالحق إن الرجل لتكون له الدرجه فى الجنة فلا يبلغها بشيء من عمله فيبتليه الله ليبلغه الله درجه لا يبلغها بعمله .

٤٦٤٥

و فى الحديث أيضا ما من مسلم يمرض مرضا إلا حت الله به خطاياها كما تحت الشجره ورقها.

٤٦٤٦

١٤- و روى أبو عثمان النهدي قال دخل رجل أعرابى على رسول الله ص ذو جسمان عظيم فقال له متى عهدك بالحمى قال ما أعرفها قال بالصداع

ص: ٣١٧

قال ما أدري ما هو قال فأصبت بمالك قال لا قال فرزئت بولدك قال لا فقال ع إن الله ليكره العفريت النفريت الذى لا يرزأ فى ولده و لا يصاب فى ماله .

٤٦٤٧

و جاء فى بعض الآثار أشد الناس حسابا الصحيح الفارغ.

٤٦٤٨

و فى حديث حذيفه رضى الله عنه إن أقر يوم لعينى ليوم لا- أجد فيه طعاما سمعت رسول الله ص يقول إن الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالطعام و إن الله يحمى عبده المؤمن كما يحمى أحدكم المريض من الطعام.

٤٦٤٩

و فى الحديث المرفوع أيضا إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا و ما اقتناؤه قال ألا يترك له مالا و لا ولدا.

٤٦٥٠

مر موسى ع برجل كان يعرفه مطيعا لله قد مزقت السباع لحمه و أضلعه و كبده ملقاه فوقف متعجبا فقال أى رب عبدك المطيع لك ابتليته بما أرى فأوحى الله إليه أنه سألتنى درجه لم يبلغها بعمله فجعلت له بما ترى سيلا إلى تلك الدرجه.

٤٦٥١

و جاء فى الحديث أن زكريا لم يزل يرى ولده يحيى مغموما باكيا مشغولا بنفسه فقال يا رب طلبت منك ولدا أنتفع به فرزقتنيه لا نفع لى فيه فقال له إنك طلبته و ليا و الولى لا يكون إلا هكذا مسقاما فقيرا مهموما.

و قال سفيان الثورى كانوا لا يعدون الفقيه فقيها من لا يعد البلاء نعمه و الرخاء مصيبه.

٤٦٥٢

جابر بن عبد الله يرفعه يود أهل العافيه يوم القيامة أن لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب أهل البلاء.

ص: ٣١٨

وَ قَالَ ع تَوَقَّوْا الْبُرْدَ فِى أَوَّلِهِ وَ تَلَقَّوْهُ فِى آخِرِهِ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِى الْأَبْدَانِ كَفِعْلِهِ فِى الْأَشْجَارِ أَوَّلُهُ يُحْرِقُ وَ آخِرُهُ يُورِقُ .

هذه مسأله طبيعیه قد ذكرها الحكماء قالوا لما كان تأثير الخريف فى الأبدان و توليده الأمراض كالزكام و السعال و غيرهما أكثر من تأثير الربيع مع أنهما جميعاً فصلاً اعتدالاً و أجابوا بأن برد الخريف يفجأ الإنسان و هو معتاد لحر الصيف فينكأ فيه و يسد مسام دماغه لأن البرد يكتنف و يسد المسام فيكون كمن دخل من موضع شديد الحرارة إلى خيش بارد.

فأما المنتقل من الشتاء إلى فصل الربيع فإنه لا يكاد برد الربيع يؤذيه ذلك الأذى لأنه قد اعتاد جسمه برد الشتاء فلا يصادف من برد الربيع إلا ما قد اعتاد ما هو أكثر منه فلا يظهر لبرد الربيع تأثير فى مزاجه فأما لم أورقت الأشجار و أزهرت فى الربيع دون الخريف فلما فى الربيع من الكيفيتين اللتين هما منبع النمو و النفس النباتية و هما الحرارة و الرطوبة و أما الخريف فخال من هاتين الكيفيتين و مستبدل بهما ضدهما

و هما البروده و اليبس المنافيان للنشوء و حياه الحيوان و النبات فأما لم كان الخريف باردا يابسا و الربيع حارا رطبا مع أن نسبه كل واحد منهما إلى الفصلين الخارجين عن الاعتدال و هما الشتاء و الصيف نسبه واحده فإن تعليل ذلك مذكور في الأصول الطبيه و الكتب الطبيعه و ليس هذا الموضوع مما يحسن أن يشرح فيه مثل ذلك

ص : ٣٢٠

وَ قَالَ عِظْمُ الْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغَّرُ الْمَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ .

لا نسبه للمخلوق إلى الخالق أصلا و خصوصا البشر لأنهم بالنسبه إلى فلک القمر كالذره و نسبه فلک القمر كالذره بالنسبه إلى قرص الشمس بل هم (١) دون هذه النسبه مما (٢) يعجز الحاسب الحاذق عن حساب ذلك و فلک القمر بالنسبه إلى الفلک المحيط دون هذه النسبه و نسبه الفلک المحيط إلى البارى سبحانه كنسبه العدم المحض و النفى الصرف إلى الموجود البائن بل هذا القياس أيضا غير صحيح لأن المعدوم يمكن أن يصير موجودا بائنا و الفلک لا يتصور أن يكون صانع العالم الواجب الوجود لذاته.

و على الجملة فالأمر أعظم من كل عظيم و أجل من كل جليل و لا طاقه للعقول و الأذهان أن تعبر عن جلاله ذلك الجناب و عظمته بل لو قيل إنها لا طاقه لها أن تعبر عن جلال مصنوعات الأولى المتقدمه علينا بالرتبه العقلية و الزمانيه لكان ذلك القول حقا و صدقا فمن هو المخلوق ليقال إن عظم الخالق يصغره فى العين و لكن كلامه ع محمول على مخاطبه العامه الذين تضيق أفهامهم عما ذكرناه

ص: ٣٢١

١- ١) ساقط من ا،ب.

٢- ٢) ب: «بما».

وَ قَالَ ع: وَقَدْ رَجَعَ مِنْ صِفِّينَ فَأَشْرَفَ عَلَى الْقُبُورِ بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ وَ الْمَحَالِّ الْمُقْفَرَةِ وَ الْقُبُورِ الْمُظْلِمَةِ يَا أَهْلَ
التُّرَيْبَةِ يَا أَهْلَ الْغُرَيْبَةِ يَا أَهْلَ الْوَحِيدَةِ يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ وَ نَحْنُ لَكُمْ تَبِيعٌ لَاحِقٌ أَمَا الدُّورُ فَقَدْ سِيكَتْ وَ أَمَا الْأَزْوَاجُ
فَقَدْ نَكِحَتْ وَ أَمَا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ هَذَا خَيْرٌ مَا عِنْدَنَا فَمَا خَيْرٌ مَا عِنْدَكُمْ ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَمَا [وَ اللَّهُ]

لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لَأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

الفرط المتقدمون و قد ذكرنا من كلام عمر ما يناسب هذا الكلام لما ظعن في القبور و عاد إلى أصحابه أحمر الوجه ظاهر
العروق قال قد وقفت على قبور الأحبه فناديتها الحديث إلى آخره فقليل له فهل أجابتك قال نعم قالت إن خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

و قد جاء في حديث القبور و مخاطبتها و حديث الأموات و ما يتعلق بذلك شيء كثير يتجاوز الإحصاء.

و فى وصيه النبى ص أبا ذر رضى الله عنه زر القبور تذكر بها الآخره و لا تررها ليلا و غسل الموتى يتحرك قلبك فإن الجسد الخاوى (١) عظه بليغه و صل على الموتى فإن ذلك يحزنك فإن الحزين فى ظل الله.

وجد على قبر مكتوبا مقيم إلى أن يبعث الله خلقه

٢- و قال الحسن ع مات صديق لنا صالح فدفناه و مددنا على القبر ثوبا فجاء صله بن أشيم فرفع طرف الثوب و نادى يا فلان إن تنج منها تنج من ذى عظيمه و إلا فإنى لا إخالك ناجيا .

١٤- و فى الحديث المرفوع أنه ع كان إذا تبع الجنازه أكثر الصمات (٢) و رئى عليه كآبه ظاهره و أكثر حديث النفس .

سمع أبو الدرداء رجلا يقول فى جنازه من هذا فقال أنت فى كرهت فأنا.

٢- سمع الحسن ع امرأه تبكى خلف جنازه و تقول يا أبتاه مثل يومك لم أره فقال بل أبوك مثل يومه لم يره .

و كان مكحول إذا رأى جنازه قال اغد فإننا رائحون.

و قال ابن شوذب اطلعت امرأه صالحه فى لحد فقالت لامرأه معها هذا كندوج العمل يعنى خزائنه و كانت تعطىها الشىء بعد الشىء تأمرها أن تتصدق به فتقول اذهبى فضعى هذا فى كندوج العمل.

١- (١) الخاوى: الخالى من الروح.

٢- (٢) الصمات، مصدر صمت.

شاعر أجازعه ردينه أن أتاها

و قال آخر كأني ياخواني على حافتي قبرى

٤٦٥٧

و جاء فى الحديث المرفوع ما رأيت منظرا إلا و القبر أفضع منه.

٤٦٥٨

و فى الحديث أيضا القبر أول منزل من منازل الآخرة فمن نجا منه فما بعده أيسر و من لم ينج منه فما بعده شر منه.

ص: ٣٢٤

وَ قَالَ ع وَ قَدْ سَمِعَ رَجُلًا يَذُمُّ الدُّنْيَا أَيُّهَا الدَّامُ لِلدُّنْيَا الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا [الْمُنْخَدِعُ]

الْمُخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا أ [تَفْتِنُ]

تَغْتَرُّ بِهَا ثُمَّ تَذُمَّهَا أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ مَتَى اسْتَهْوَتْكَ أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ أَمْ بِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبَلَى أَمْ بِمَصَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى كَمْ عَلَّتْ بِكَفَيْكَ وَ كَمْ مَرَّضَتْ بِيَدَيْكَ تَبْتَغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ وَ تَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الْأَطِبَاءَ غَدَاهُ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ وَ لَا يُجِدِي عَلَيْهِمْ بُكَاءُكَ لَمْ يَنْفَعِ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُكَ وَ لَمْ تُسَعِفْ فِيهِ بَطَلِيَّتِكَ وَ لَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ وَ قَدْ مَثَلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ وَ بِمَضْرَعِهِ مَضْرَعَكَ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صَدَقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا وَ دَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا وَ دَارُ غِنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا وَ دَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ وَ مُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللَّهِ وَ مَهْبِطُ وَحْيِ اللَّهِ وَ مَتَجَرُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ وَ رَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ فَمَنْ ذَا يَذُمَّهَا وَ قَدْ آذَنْتَ بَيْنَهَا وَ نَادَتْ بِفِرَاقِهَا وَ نَعَتْ نَفْسَهَا وَ أَهْلَهَا فَمَثَلَتْ لَهُمْ بِلَائِهَا الْبَلَاءَ وَ شَوْقَتُهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ رَاحَتْ بِعَافِيَةِ وَ ابْتَكُرَتْ بِفَجِيعِهِ تَرْغِيبًا وَ تَرْهِيبًا وَ تَخْوِيفًا وَ تَخْذِيرًا

فَذَمَّهَا رِجَالُ غَدَاةِ النَّدَامَةِ وَحَمِدَهَا آخِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَكَرْتُهُمُ الدُّنْيَا [فَذَكَّرُوا]

فَذَكَّرُوا وَحَدَّثْتُهُمْ فَصَدَّقُوا وَعَظَّتُهُمْ فَاتَّعَطُوا .

تجرمت على فلان ادعيت عليه جرما و ذنبا و استهواه كذا استزله .

و قوله ع فمثلت لهم ببلائها البلاء أى بلاء الآخرة و عذاب جهنم و شوقتهم بسرورها إلى السرور أى إلى سرور الآخرة و نعيم الجنة .

و هذا الفصل كله لمدح الدنيا و هو ينبئ عن اقتداره ع على ما يريد من المعانى لأن كلامه كله فى ذم الدنيا و هو الآن يمدحها و هو صادق فى ذاك و فى هذا و قد جاء عن النبى ص كلام يتضمن مدح الدنيا أو قريبا من المدح و هو

٤٦٥٩

قوله ع

الدنيا حلوه خضره فمن أخذها بحقها بورك له فيها.

و احتذى عبد الله بن المعتز (١) حذو أمير المؤمنين ع فى مدح الدنيا فقال فى كلام له الدنيا دار التأديب (٢) و التعريف التى بمكروها توصل إلى محبوب الآخرة و مضمار الأعمال السابقه بأصحابها إلى الجنان و درجه الفوز التى يرتقى عليها المتقون إلى دار الخلد و هى الواعظه لمن عقل و الناصحه لمن قبل و بساط المهمل و ميدان العمل و قاصمه الجبارين و ملحقه الرغم معاطس المتكبرين و كاسيه التراب أبدان المختالين و صارعه المغترين و مفرقه أموال الباخلين و قاتله القاتلين و العادله بالموت على جميع العالمين و ناصره المؤمنين و مبيره الكافرين الحسنات فيها مضاعفه و السيئات بآلامها محوه و مع عسرها يسران و الله تعالى قد ضمن أرزاق أهلها و أقسم فى كتابه بما فيها و رب طيبه

ص: ٣٢٦

١- (١) د: «المغيره».

٢- (٢) د: «التأديب».

من نعيمها قد حمد الله عليها فتلقته أيدى الكتبه و وجبت بها الجنة و كم نائبه من نوائبها و حادثه من حوادثها قد راضت الفهم و نبهت الفطنه و أذكت القريحه و أفادت فضيله الصبر و كثرت ذخائر الأجر.

٤٤٤٠

و من الكلام المنسوب إلى علي ع الناس أبناء الدنيا و لا يلام المرء على حب أمه.

أخذه محمد بن وهب الحميرى فقال و نحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها و ما كنت منه فهو شيء محبب

ص: ٣٢٧

١٢٨] و من كلامه ع فى التنبيه على كون الدنيا دار فناء و زوال لا بقاء و سلامه]

وَ قَالَ ع إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ لِدُومِ اللَّمُوتِ وَ اجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ وَ ابْنُوا لِلْخَرَابِ .

هذه اللام عند أهل العربية تسمى لام العاقبه و مثل هذا قوله تعالى فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا (١) ليس أنهم التقطوه لهذه العله بل التقطوه فكان عاقبه التقاطهم إياه العداوه و الحزن و مثله فللموت ما تلد الوالده.

و مثله قوله تعالى وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ (٢) ليس أنه ذرأهم ليعذبهم فى جهنم بل ذرأهم و كان عاقبه ذرئهم أن صاروا فيها و بهذا الحرف يحصل الجواب عن كثير من الآيات المتشابهه التى تتعلق بها المجبره .

و أما فحوى هذا القول و خلاصته فهو التنبيه على أن الدنيا دار فناء و عطب لا دار بقاء و سلامه و أن الولد يموت و الدور تخرب و ما يجمع من الأموال يفنى

ص: ٣٢٨

١-١) سورة القصص ٨.

٢-٢) سورة الأعراف ١٧٩.

١٢٩ [و من كلامه ع في أن الناس في الدنيا رجلان منهم باع نفسه و منهم ابتاعها]

وَ قَالَ ع الدُّنْيَا دَارٌ مَمَرٌ لَا دَارٌ (١). مَقَرٌّ وَ النَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ رَجُلٌ بَاعَ فِيهَا نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا وَ رَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا .

قال عمر بن عبد العزيز يوما لجلسائه أخبروني من أحق الناس قالوا رجل باع آخرته بدنياه فقال ألا أنبئكم بأحق منه قالوا بلى قال رجل باع آخرته بدنيا غيره.

قلت لقائل أن يقول له ذاك باع آخرته بدنياه أيضا لأنه لو لم يكن له لذه في بيع آخرته بدنيا غيره لما باعها و إذا كان له في ذلك لذه فإذن إنما باع آخرته بدنياه لأن دنياه هي لذته

ص: ٣٢٩

(١- ١) في «إلى دار» والمعنى عليه يستقيم أيضا.

وَ قَالَ ع لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقًا حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ فِي نَكْبَتِهِ وَ غَيْبَتِهِ وَ وَفَاتِهِ .

قد تقدم لنا كلام في الصديق و الصداقه و أما النكبه و حفظ الصديق فيها فإنه يقال في الحبوس (١) مقابر الأحياء و شماته الأعداء و تجربه الأصدقاء.

و أما الغيبه فإنه قد قال الشاعر و إذا الفتى حسنت مودته في القرب ضاعفها على البعد.

و أما الموت فقد قال الشاعر و إنى لأستحييه و الترب بيننا كما كنت أستحييه و هو يرانى

٤٦٦١

و من كلام على ع الصديق من صدق في غيبته.

قيل لحكيم من أبعده الناس سفرا قال من سافر في ابتغاء الأخ الصالح.

أبو العلاء المعرى

أزرت بكم يا ذوى الألباب أربعه

قيل للثورى دلى على جليس أجلس إليه (٢) قال تلك ضاله لا توجد

ص : ٣٣٠

١ - ١) د: «الجبس».

٢ - ٢) د: «عنده».

١٣١ [و من كلامه ع في أن من أعطى أربعا لم يحرم أربعا]

وَقَالَ ع مَنِ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمَ أَرْبَعًا مَنِ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِحْيَاءَ وَ مَنِ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ وَ مَنِ أُعْطِيَ
الِاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ وَ مَنِ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ.

[قال الرضى رحمه الله تعالى و تصديق ذلك في كتاب الله تعالى قال في الدعاء اُدْعُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ (١) و قال في الاستغفار وَ
مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢) و قال في الشكر لئن شكرتم لأزيدنكم (٣) و قال في
التوبه إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤)
]

في بعض الروايات أن ما نسب إلى الرضى رحمه الله من استنباط هذه المعاني من الكتاب العزيز من متن كلام أمير المؤمنين ع و
قد سبق القول في كل واحده من هذه الأربع مستقصى

ص: ٣٣١

١- (١) سورة غافر ٦٠.

٢- (٢) سورة النساء ١١٠.

٣- (٣) سورة إبراهيم ٧.

٤- (٤) سورة النساء ١٧.

اشاره

وَ قَالَ ع الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ كُلُّ تَقِيٍّ وَ الْحُجُّ جِهَادٌ كُلُّ ضَعِيفٍ وَ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَ زَكَاةُ الْبَدَنِ الصَّوْمُ وَ جِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعْلِ .

قد تقدم القول فى الصلاه و الحج و الصيام فأما أن جهاد المرأة حسن التبعل فمعناه حسن معاشره بعلها و حفظ ماله و عرضه و إطاعته فيما يأمر به و ترك الغيره فإنها باب الطلاق

نبد من الوصايا الحكيمه

و أوصت امرأه من نساء العرب بنتها ليله إهدائها (١) فقالت لها لو تركت الوصيه لأحد لحسن أدب و كرم حسب لتركته لك و لكنها تذكره للغافل و مثونه للعافل إنك قد خلفت العش الذى فيه درجت و الوكر الذى منه خرجت إلى منزل لم تعرفيه و قرين لم تألفيه فكونى له أمه يكن لك عبدا و احفظى عنى خصالا عشرا.

ص: ٣٣٢

١ - ١) ليله إهدائها، أى ليله زواجها؛ يقال: هدى العروس إلى بعلها و أهداها هداً و إهداء.

أما الأولى والثانية فحسب الصحابه بالقناعه وجميل المعاشره بالسمع والطاعه ففى حسن الصحابه راحه القلب و فى جميل المعاشره رضا الرب.

و الثالثه والرابعه التفقد لمواقع عينه و التعهد لمواضع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح و لا يجد أنفه منك خبيث ريح و اعلمى أن الكحل أحسن الحسن المفقود و أن الماء أطيب الطيب الموجود و الخامسه و السادسه الحفظ لماله و الإرعاء على حشمه و عياله و اعلمى أن أصل الاحتفاظ بالمال حسن التقدير و أصل الإرعاء على الحشم و العيال حسن التدبير و السابعه و الثامنه التعهد لوقت طعامه و الهدو و السكون عند منامه فحراره الجوع ملهبه و تنغيص النوم مغضبه و التاسعه و العاشره لا تفشين له سرا و لا تعصين له أمرا فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدرة و إن عصيت أمره أوغرت صدره.

و أوصت امرأه ابنتها و قد أهدتها إلى بعلمها فقالت كوني له فراشا يكن لك معاشا و كوني له وطاء يكن لك غطاء و إياك و الاكتئاب إذا كان فرحا و الفرح إذا كان كئيبا و لا يطلعن منك على قبيح و لا يشمن منك إلا طيب ريح (١).

و زوج عامر بن الظرب ابنته من ابن أخيه فلما أراد تحويلها قال لأمها مری ابنتك ألا تنزل مفازه إلا و معها ماء فإنه للأعلى جلاء و للأسفل نقاء و لا تكثر مضاجعته فإذا مل البدن مل القلب و لا تمنعه شهوته فإن الحظوه فى المواقعه فلم يلبث إلا شهرا حتى جاءته مشجوجه فقال لابن أخيه يا بنى ارفع عصاك عن بكرتك

ص: ٣٣٣

فإن كان من غير أن تنفر بك فهو الداء الذى ليس له دواء و إن لم يكن بينكما وفاق ففراق الخلع أحسن من الطلاق و أن تترك أهلك و مالك.

فرد عليه صداقها و خلعها منه فهو أول خلع كان فى العرب (١).

و أوصى الفرافصه الكلبي ابنته نائله حين أهداها إلى عثمان فقال يا بنيه إنك تقدمين على نساء من نساء قريش هن أقدر على الطيب منك و لا تغلبين على خصلتين الكحل و الماء تطهرى حتى يكون ريح جلدك ريح شن أصابه مطر و إياك و الغيره على بعلك فإنها مفتاح الطلاق.

و روى أبو عمرو بن العلاء قال أنكح ضرار بن عمرو الضبى ابنته من معبد بن زراره فلما أخرجها إليه قال يا بنيه أمسكى عليك الفضلين فضل الغلمه و فضل الكلام.

قال أبو عمرو و ضرار هذا هو الذى رفع عقيرته بعكاظ و قال ألا إن شر حائل (٢) أم فزوجوا الأمهات قال و ذلك أنه صرع بين الرماح فأشبل عليه إخوته لأمه حتى استنقذوه.

و أوصت أعرابيه ابنتها عند إهدائها فقالت لها اقلعى زج رمحه فإن أقر فاقلقى سنانه فإن أقر فاكسرى العظام بسيفه فإن أقر فاقطعى اللحم على ترسه فإن أقر فضعى الإكاف على ظهره فإنما هو حمار.

و هذا هو قبح التبعل و ذكرناه نحن فى باب حسن التبعل لأن الضد يذكر بضده

ص: ٣٣٤

١-١) يقال: خلع الرجل امرأته و خالعتها إذا افتدت منه بمال فطلقها و أبانها من نفسه.

٢-٢) الحائل: التى لا تحمل.

١٣٣ [و من كلامه ع فى استئزال الرزق بالصدقه]

وَ قَالَ ع اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ .

٤٦٦٢

جاء فى الحديث المرفوع و قيل إنه موقوف على عثمان تاجروا الله بالصدقه تربحوا.

و كان يقال الصدقه صداق الجنه .

٤٦٦٣

و فى الحديث المرفوع ما أحسن عبد الصدقه إلا أحسن الله الخلافه على مخلفيه.

٤٦٦٤

و عنه ص ما من مسلم يكسو مسلما ثوبا إلا كان فى حفظ الله ما دام منه رقعته.

و قال عمر بن عبد العزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق و الصوم يبلغك باب الملك و الصدقه تدخلك عليه

ص: ٣٣٥

وَقَالَ ع مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلْفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ .

هذا حق لأن من لم يوقن بالخلف و يتخوف الفقر يضمن بالعطيه و يعلم أنه إذا أعطى ثم أعطى استنفد ماله و احتاج إلى الناس لانقطاع مادته و أما من يوقن بالخلف فإنه يعلم أن الجود شرف لصاحبه و أن الجواد ممدوح عند الناس فقد وجد الداعى إلى السماح و لا صارف له عنه لأنه يعلم أن مادته دائمه غير منقطعه فالصارف الذى يخافه من قدمناه ذكره مفقود فى حقه فلا جرم أنه يجود بالعطيه

وَ قَالَ ع تَنْزِلُ الْمَعُونَةُ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْمِنِ .

٤٦٦٥

جاء فى الحديث المرفوع من وسع وسع عليه و كلما كثر العيال كثر الرزق.

و كان على بعض الموسرين رسوم لجماعه من الفقراء يدفعها إليهم كل سنه فاستكثرها فأمر كاتبه بقطعها فرأى فى المنام كأن له أهواء كثيره فى داره و كأنها تصعدا أقوام من الأرض إلى السماء و هو يجزع من ذلك فيقول يا رب رزقى رزقى فقيل له إنما رزقناك هذه لتصرفها فيما كنت تصرفها فيه فإذا قطعت ذلك رفعناها منك و جعلناها لغيرك فلما أصبح أمر كاتبه بإعادة تلك الرسوم أجمع

ص: ٣٣٧

مَا عَالَ مَنْ اُقْتَصَدَ .

ما عال أى ما افتقر و قد تقدم لنا قول مقنع فى مدح الاقتصاد.

و قال أبو العلاء و إن كنت تهوى العيش فابغ توسطاً

و هذا الشعر و إن كان فى الاقتصاد فى المراتب و الولايات إلا أنه مدح للاقتصاد فى الجملة فهو من هذا الباب.

و سمع بعض الفضلاء قول الحكماء التدبير نصف العيش فقال بل العيش كله

ص: ٣٣٨

١٣٧ [و من كلامه ع فى قله العيال]

وَ قَالَ ع قَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينَ .

اليسار الثانى كثره المال يقول إن قله العيال مع الفقر كاليصار الحقيقى مع كثرتهم.

و من أمثال الحكماء العيال أرضه المال

ص: ٣٣٩

وَ قَالَ ع التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ .

دخل حبيب بن شوذب على جعفر بن سليمان بالبصره فقال نعم المرء حبيب بن شوذب حسن التودد طيب الشاء يكره الزياره المتصله و القعه المنسيه.

و كان يقال التودد ظاهر حسن و المعامله بين الناس على الظاهر فأما البواطن فإلى عالم الخفيات.

و كان يقال قل من تودد إلا صار محبوبا و المحبوب مستور العيوب

وَقَالَ ع الَّهُمَّ نِصْفُ الَّهُرَمِ .

من كلام بعض الحكماء الهم يشيب القلب و يعقم العقل فلا يتولد معه رأى و لا تصدق معه رويه.

و قال الشاعر هموم قد أبت إلا التباسا

و قال سفيان بن عيينه الدنيا كلها هموم و غموم فما كان منها سرور فهو ربح.

و من أمثالهم الهم كافور الغلمه.

و قال أبو تمام شاب رأسى و ما رأيت مشيب الرأس

وَ قَالَ ع يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَيَّ قَدْرَ الْمُصِيبَةِ وَ مَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَيَّ فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ [أَجْرُهُ] عَمَلُهُ .

قد مضى لنا كلام شاف في الصبر و كان الحسن يقول في قصصه الحمد لله الذي كلفنا ما لو كلفنا غيره لصرنا فيه إلى معصيته و آجرنا على ما لا بد لنا منه يقول كلفنا الصبر و لو كلفنا الجزع لم يمكننا أن نقيم عليه و آجرنا على الصبر و لا بد لنا من الرجوع إليه.

و

٤٦٦٦

من كلام أمير المؤمنين ع كان يقول عند التعزية عليكم بالصبر فإن به يأخذ الحازم و يعود إليه الجازع.

و قال أبو خراش الهذلي يذكر أخاه عروه تقول أراه بعد عروه لاهيا

و قال عمرو بن معديكرب كم من أخ لي صالح بوأته بيدي لحدًا (١)

ص: ٣٤٢

أليسته أكفانه

و خلقت يوم خلقت جلدا.

و كان يقال من حدث نفسه بالبقاء و لم يوطنها على المصائب فهو عاجز الرأى.

و كان يقال كفى باليأس معزيا و بانقطاع الطمع زاجرا.

و قال الشاعر أيا عمرو لم أصبر و لى فيك حيله

ص: ٣٤٣

١٤١] و من كلامه ع في روح العباده و جوهرها

وَ قَالَ ع كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَ الظَّمُّ وَ كَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَ العَنَاءُ حَبْدًا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَ إِفْطَارُهُمْ .

الأكياس هاهنا العلماء العارفون و ذلك لأن عباداتهم تقع مطابقه لعقائدهم الصحيحه فتكون فروعا راجعه إلى أصل ثابت و ليس كذلك الجاهلون بالله تعالى لأنهم إذا لم يعرفوه و لم تكن عباداتهم متوجهه إليه فلم تكن مقبوله و لذلك فسدت عبادته النصارى و اليهود .

و فيهم ورد قوله تعالى **عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلِّي نَارًا حَامِيَةً (١)**

ص: ٣٤٤

١٤٢] و من كلامه ع فى الصدقه و الزكاه و الدعاء]

وَ قَالَ ع سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَ حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَ اذْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ .

قد تقدم الكلام فى الصدقه و الزكاه و الدعاء فلا معنى لإعادته القول فى ذلك

ص: ٣٤٥

وَ مِنْ كَلَامِ لَهُ ع لِكَمِيلِ بْنِ زِيَادِ النَّخَعِيِّ قَالَ كَمِيلُ بْنُ زِيَادٍ أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع فَأَخْرَجَنِي إِلَى الْجَبَانِ فَلَمَّا أَصْبَحَ تَنَفَّسَ الصَّعْدَاءُ ثُمَّ قَالَ يَا كَمِيلُ بْنُ زِيَادٍ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَهُ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ النَّاسُ ثَلَاثَةٌ فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ وَ مُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاهٍ وَ هَمَّجٌ رِعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَ لَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ يَا كَمِيلُ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَ أَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ وَ الْمَالُ تَنْقُصُهُ النِّفَقَةُ وَ الْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ وَ صَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ يَا كَمِيلُ بْنُ زِيَادٍ مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينَ يُدَانُ بِهِ بِهْ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وَ جَمِيلَ الْأَخِرَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَ الْعِلْمُ حَاكِمٌ وَ الْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ يَا كَمِيلُ بْنُ زِيَادٍ هَلَكَ خَزَانُ الْأَمْوَالِ وَ هُمْ أَحْيَاءُ وَ الْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ وَ أَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ هَا إِنَّ هَاهُنَا لِعِلْمًا جَمًّا وَ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةٌ بَلَى [أُصِيبُ]

أَصَبْتُ لِقْنَا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا وَ مُسْتَظْهِرًا بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَ بِحُجْبِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ

أَوْ مُنْقَادًا لِحَمَلِهِ الْحَقُّ لَا- بَصِيرَةٌ لَهُ فِي أَخْتَائِهِ يُنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبُهَةٍ أَلَا لَا ذَا وَلَا ذَاكَ أَوْ مِنْهُمَا بِاللَّذِهِ
سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ أَوْ مُغْرَمًا بِالْجَمْعِ وَالْإِدْخَارِ لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهًا بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ كَذَلِكَ يَمُوتُ
الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّتِهِ إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وَإِمَّا خَائِفًا مَعْمُورًا لَيْلًا تَبْطُلُ حُجُجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ
وَ كَمْ ذَا وَ أَيْنَ أَوْلِيَّكَ أَوْلِيَّكَ وَاللَّهُ الْمَاقِلُونَ عَمْدًا وَالْمَاعْظُمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُودِعُوهَا
نُظْرَاءَهُمْ وَ يَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ وَ بَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ وَ اسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ وَ
أَنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ وَ صَحَبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى أَوْلِيَّكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَ الدُّعَاءُ إِلَى
دِينِهِ آه آه شَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْتِهِمْ انْصَرَفَ يَا كُمَيْلُ إِذَا شِئْتَ .

الجبان و الجبانة الصحراء.

و تنفس الصعداء أى تنفس تنفسا ممدودا طويلا .

قوله ع ثلاثه قسمه صحيحه و ذلك لأن البشر باعتبار الأمور الإلهيه إما عالم على الحقيقه يعرف الله تعالى و إما شارع فى ذلك
فهو بعد فى السفر إلى الله يطلبه بالتعلم و الاستفاده من العالم و إما لا ذا و لا ذاك و هو العامى الساقط الذى

ص: ٣٤٧

لا يعبا الله و صدق ع فى أنهم همج رعاع أتباع كل ناعق أ لا تراهم ينتقلون من التقليد لشخص إلى تقليد الآخر لأدنى خيال و أضعف وهم .

ثم شرع ع فى ذكر العلم و تفضيله على المال فقال العلم يحرسك و أنت تحرس المال و هذا أحد وجوه التفضيل.

ثم ابتدأ فذكر وجهها ثانيا فقال المال ينقص بالإنفاق منه و العلم لا ينقص بالإنفاق بل يزكو و ذلك لأن إفاضه العلم على التلامذه تفيد المعلم زياده استعداد و تقرر فى نفسه تلك العلوم التى أفاضها على تلامذته و تثبتها و تزويدها رسوخا.

فأما قوله و صنيع المال يزول بزواله فتحته سر دقيق حكمى و ذلك لأن المال إنما يظهر أثره و نفعه فى الأمور الجسمانيه و الملاذ الشهوانييه كالنساء و الخيل و الأبنيه و المأكول و المشرب و الملابس و نحو ذلك و هذه الآثار كلها تزول بزوال المال أو بزوال رب المال أ لا- ترى أنه إذا زال المال اضطر صاحبه إلى بيع الأبنيه و الخيل و الإماء و رفض تلك العاده من المأكول الشهيه و الملابس البهيه و كذلك إذا زال رب المال بالموت فإنه تزول آثار المال عنده فإنه لا يبقى بعد الموت آكلا شاربا لابسا و أما آثار العلم فلا يمكن أن تزول أبدا و الإنسان فى الدنيا و لا بعد خروجه عن الدنيا أما فى الدنيا فلأن العالم بالله تعالى لا يعود جاهلا- به لأن انتفاء العلوم البديهييه عن الذهن و ما يلزمها من اللوازم بعد حصولها محال فإذا قد صدق قوله ع فى الفرق بين المال و العلم أن صنيع المال يزول بزواله أى و صنيع المال لا يزول و لا يحتاج إلى أن يقول بزواله لأن تقدير الكلام و صنيع المال يزول لأن المال يزول و أما بعد خروج الإنسان من الدنيا فإن صنيع العلم لا يزول و ذلك لأن صنيع العلم فى النفس الناطقه اللذه العقليه الدائمه لدوام سببها و هو حصول العلم فى جوهر النفس الذى هو ممشوق

النفس مع انتفاء ما يشغلها عن التمتع به و التلذذ بمصاحبتة و الذى كان يشغلها عنه فى الدنيا استغراقها فى تدبير البدن و ما تورده عليها الحواس من الأمور الخارجيه و لا ريب أن العاشق إذا خلا بمعشوقه و انتفت عنه أسباب الكدر كان فى لذه عظيمه فهذا هو سر قوله و صنيع المال يزول بزواله .

فإن قلت ما معنى قوله ع معرفه العلم دين يدان به و هل هذا إلا بمنزله قولك معرفه المعرفه أو علم العلم و هذا كلام مضطرب قلت تقديره معرفه فضل العلم أو شرف العلم أو وجوب العلم دين يدان به أى المعرفه بذلك من أمر الدين أى ركن من أركان الدين واجب مفروض .

ثم شرح ع حال العلم الذى ذكر أن معرفه وجوبه أو شرفه دين يدان به فقال العلم يكسب الإنسان الطاعه فى حياته أى من كان عالما كان لله تعالى مطيعا كما قال سبحانه **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (١)** .

ثم قال و جميل الأحداثه بعد وفاته أى الذكر الجميل بعد موته .

ثم شرع فى تفضيل العلم على المال من وجه آخر فقال العلم حاكم و المال محكوم عليه و ذلك لعلمك أن مصلحتك فى إنفاق هذا المال تنفقه و لعلمك بأن المصلحه فى إمساكه تمسكه فالعلم بالمصلحه داع و بالمضره صارف و هما الأمران الحاكرمان بالحركات و التصرفات إقداما و إحجاما و لا يكون القادر قادرا مختارا إلا باعتبارهما و ليسا إلا عباره عن العلم أو ما يجرى مجرى العلم من الاعتقاد و الظن فإذن قد بان و ظهر أن العلم من حيث هو علم حاكم و أن المال ليس بحاكم بل محكوم عليه .

ص: ٣٤٩

ثم قال ع هللك خزان المال و هم أحياء و ذلك لأن المال المخزون لا فرق بينه و بين الصخره المدفونه تحت الأرض فخازنه هالك لا محاله لأنه لم يلتذ بإنفاقه و لم يصرفه فى الوجوه التى ندب الله تعالى إليها و هذا هو الهلاك المعنوى و هو أعظم من الهلاك الحسى.

ثم قال و العلماء باقون ما بقى الدهر هذا الكلام له ظاهر و باطن فظاهره قوله أعيانهم مفقوده و أمثالهم فى القلوب موجوده أى آثارهم و ما دونوه من العلوم فكأنهم موجودون و باطنه أنهم موجودون حقيقه لا مجازا على قول من قال ببقاء الأنفس و أمثالهم فى القلوب كناية و لغز و معناه ذواتهم فى حظيره القدوس و المشاركه بينها و بين القلوب ظاهره لأن الأمر العام الذى يشملها هو الشرف فكما أن تلك أشرف عالمها كذا القلب أشرف عالمه فاستعير لفظ أحدهما و عبر به عن الآخر .

قوله ع ها إن هاهنا لعلماء جما و أشار بيده إلى صدره- هذا عندى إشاره إلى العرفان و الوصول إلى المقام الأشرف الذى لا يصل إليه إلا الواحد الفرد من العالم ممن لله تعالى فيه سر و له به اتصال ثم قال لو أصبت له حمله و من الذى يطيق حمله بل من الذى يطيق فهمه فضلا عن حمله.

ثم قال بلى أصيب .

ثم قسم الذى يصيبهم خمسه أقسام أحدهم أهل الرياء و السمعه الذين يظهرون الدين و العلم و مقصودهم الدنيا فيجعلون الناموس الدينى شبكه لاقتناص الدنيا.

و ثانيها قوم من أهل الخير و الصلاح ليسوا بذوى بصيره فى الأمور الإلهيه الغامضه

فيخاف من إفشاء السر إليهم أن تنقذح في قلوبهم شبهه بأدنى خاطر فإن مقام المعرفة مقام خطر صعب لا يثبت تحته إلا الأفراد من الرجال الذين أيدوا بالتوفيق والعصمه.

و ثالثها رجل صاحب لذات و طرب مشتهر بقضاء الشهوه فليس من رجال هذا الباب.

و رابعها رجل عرف بجمع المال و ادخاره لا ينفقه في شهواته و لا في غير شهواته فحكمه حكم القسم الثالث.

ثم قال ع كذلك يموت العلم بموت حامله أى إذا مات العلم الذى فى صدرى لأنى لم أجد أحدا أدفعه إليه و أورثه إياه ثم استدرك فقال اللهم بلى لا- تخلو الأرض من قائم بحجه الله تعالى كيلا يخلو الزمان ممن هو مهيمن لله تعالى على عباده و مسيطر عليهم و هذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإماميه إلا أن أصحابنا يحملونه على أن المراد به الأبدال الذين وردت الأخبار النبويه عنهم أنهم فى الأرض سائحون فمنهم من يعرف و منهم من لا- يعرف و أنهم لا يموتون حتى يودعوا السر و هو العرفان عند قوم آخرين يقومون مقامهم.

ثم استنزر عددهم فقال و كم ذا أى كم ذا القبيل و كم ذا الفريق.

ثم قال و أين أولئك استبهم مكانهم و محلهم.

ثم قال هم الأقلون عدداً الأعظمون قدرا .

ثم ذكر أن العلم هجم بهم على حقيقه الأمر و انكشف لهم المستور المغطى و باشروا راحه اليقين و برد القلب و تلج العلم و استلانوا ما شق على المترفين من الناس و وعر عليهم نحو التوحد و رفض الشهوات و خشونه العيشه.

قال و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون يعنى العزله و مجانبه الناس و طول الصمت و ملازمه الخلوه و نحو ذلك مما هو شعار القوم.

قال و صحبوا الدنيا بأرواح أبدانها معلقه بالمحل الأعلى هذا مما يقوله أصحاب الحكمة من تعلق النفوس المجرده بمبادئها من العقول المفارقة فمن كان أذكى كان تعلقه بها أتم.

ثم قال أولئك خلفاء الله فى أرضه و الدعاه إلى دينه لا شبهه أن بالوصول يستحق الإنسان أن يسمى خليفه الله فى أرضه و هو المعنى بقوله سبحانه للملائكه إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (١) و بقوله هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ (٢).

ثم قال آه آه شوقا إلى رؤيتهم هوع أحق الناس بأن يشتاق إلى رؤيتهم لأن الجنسيه عله الضم و الشىء يشتاق إلى ما هو من سنخه و سوسته و طبيعته و لما كان هوع شيخ العارفين و سيدهم لا جرم اشتاقت نفسه الشريفه إلى مشاهده أبناء جنسه و إن كان كل واحد من الناس دون طبقته.

ثم قال لكميل انصرف إذا شئت و هذه الكلمه من محاسن الآداب و من لطائف الكلم لأنه لم يقتصر على أن قال انصرف كيلا يكون أمرا و حكما بالانصراف لا محاله فيكون فيه نوع علو عليه فاتبع ذلك بقوله إذا شئت ليخرجه من ذل الحكم و قهر الأمر إلى عزه المشيئه و الاختيار

ص: ٣٥٢

١-١) سورة البقره ٣٠.

٢-٢) سورة الأنعام ١٦٥.

وَ قَالَ ع الْمَرْءُ مَحْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ .

قد تكرر هذا المعنى مرارا فأما هذه اللفظه فلا نظير لها فى الإيجاز و الدلاله على المعنى و هى من ألفاظه ع المعدوده.

و قال الشاعر و كائن ترى من صامت لك معجب

و تكلم عبد الملك بن عمير و أعرابى حاضر فقل له كيف ترى هذا فقال لو كان كلام يؤتدم به لكان هذا الكلام مما يؤتدم به.

و تكلم جماعه من الخطباء عند مسلمه بن عبد الملك فأسهبوا فى القول و لم يصنعوا شيئا ثم أفرغ النطق رجل من أخرياتهم فجعل لا يخرج من فن إلا إلى أحسن منه فقال مسلمه ما شبهت كلام هذا بعقب كلام هؤلاء (١) إلا بسحابه لبدت عجاجه.

و سمع رجل منشدا ينشد و كان أخلائى يقولون مرحبا فلما رأونى مقترامات مرحب .

ص: ٣٥٣

فقال أخطأ الشاعر إن مرحبا لم يمت و إنما قتله على بن أبي طالب ع و قال رجل لأعرابي كيف أهلك قال صلبا إن شاء الله.

و كان مسلمه بن عبد الملك يعرض الجند فقال لرجل ما اسمك فقال عبد الله و خفض فقال ابن من فقال ابن عبد الله و فتح فأمر بضربه فجعل يقول سبحان الله و يضم فقال مسلمه ويحكم دعوه فإنه مجبول على اللحن و الخطأ لو كان تاركا للحن فى وقت لتركه و هو تحت السياط

ص: ٣٥٤

وَقَالَ ع هَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ .

هذه الكلمه من كلماته المعدوده و كتب النعمان بن عبد الله إلى القاسم بن عبيد الله كتابا يدل فيه بخدمته و يستريد في رزقه فوقع على ظهره رحم الله امرأ عرف قدره أنت رجل قد أعجبتك نفسك فلست تعرفها فإن أحببت أن أعرفكها عرفتك فكتب إليه النعمان كنت كتبت إلى الوزير أعزه الله كتابا أستريده في رزقي فوقع على ظهره توقيع ضجر لم يخرج فيه مع ضجره عما ألفتة من حياطته و حسن نظره فقال إنه قد حدث لعبده عجب بنفسه و قد صدق أعلى الله قدره لقد شرفني الوزير بخدمته و أعلى ذكرى بجميل ذكره و نبه على كفايتي باستكفائه و رفعني و كثرني (١) عند نفسي فإن أعجبت فبنعمته عندي و جميل تطوله على و لا عجب و هل خلا الوزير من قوم يصطنعهم بعد مله و يرفعهم بعد خمول و يحدث لهم همما رفيعه و أنفسا عليه و فيهم شاكر و كفور و أرجو أن أكون أشكرهم للنعمه و أقومهم بحقها و قد أطال الله بقاءه إن عرف نفسه و إلا عرفناه إياها فما أنكرها و هي نفس أنشأتها نعمه الوزير و أحدثت فيها ما لم تزل تحدثه في نظرائها من سائر عبيده و خدمه و الله يعلم ما يأخذ به نفسه من خدمه مولاه و ولي نعمته إما عاده و دربه و إما تأدبا و هيبه و إما شكرا و استدامه للنعمه.

فلما قرأ القاسم بن عبيد الله كتابه استحسنة و زاد في رزقه

ص: ٣٥٥

(١ - ١) ب: «كبرني».

وَقَالَ ع لِرَجُلٍ سَأَلَهُ أَنْ يَعِظَهُ لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بغيرِ عَمَلٍ وَ يَرْجُو التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ وَ يَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ وَ إِنْ مُعِيَ مِنْهَا لَمْ يَفْنَعْ يَعْجِزُ عَن شُكْرِ مَا أُوتِيَ وَ يَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ يَنْتَهَى وَ لَا يَنْتَهَى وَ يَأْمُرُ [النَّاسَ بِمَا لَمْ يَأْتِ]

بِمَا لَا- يَأْتِي يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَ لَا- يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ وَ يُبْغِضُ الْمُنْذِبِينَ وَ هُوَ أَحَدُهُمْ يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ وَ يُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ إِنْ سَقَمَ ظَلَّ نَادِمًا وَ إِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِيًا يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عَوْفَى وَ يَفْئُطُ إِذَا ابْتُلِيَ وَ إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرًّا وَ إِنْ نَالَ رَحَاءً أَعْرَضَ مُعْتَرًّا تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ وَ لَا يَعْلَمُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ وَ يَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرِ مَنْ عَمَلِهِ إِنْ اسْتَعْنَى بِطَرٍّ وَ فِتْنٍ وَ إِنْ افْتَقَرَ قَطَّ وَ وَهَنَ يُقَصِّرُ إِذَا عَمَلَ وَ يَبَالِغُ إِذَا سَأَلَ إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِيَةَ وَ سَوَّفَ التَّوْبَةَ وَ إِنْ عَرَّتْهُ مِحْنَةٌ انْفَرَجَ عَن شَرَائِطِ الْمَلَّةِ يَصِفُ الْعِبْرَةَ وَ لَا يَعْتَبِرُ وَ يَبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَ لَا يَتَعَطَّفُ فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدَلٌّ وَ مِنَ الْعَمَلِ مُقَلِّدٌ يُنَافِسُ فِيهَا يَفْنَى وَ يُسَامِحُ فِيهَا يَبْقَى يَرَى الْغَنَمَ مَعْرَمًا وَ الْغُرْمَ مَعْنَمًا يَخْشَى الْمَوْتَ وَ لَا يُبَادِرُ الْفَوْتَ يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ

مِنْ نَفْسِهِ وَ يَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ وَ لِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ [اللُّغُو]

اللَّهُوَ مَعَ الْأَغْيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذُّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ وَ لَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ [يُرْشِدُ نَفْسَهُ وَ يُغْوِي غَيْرَهُ]

(١) يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَ يُغْوِي نَفْسَهُ فَهُوَ يُطَاعُ وَ يُعْصَى وَ يَسْتَوْفَى وَ لَا يُوفَى وَ يَخْشَى الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ وَ لَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ.

[قال الرضى رحمه الله تعالى و لو لم يكن فى هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى به موعظه ناجعه و حكمه بالغه و بصيره لمبصر و عبره لناظر مفكر]

كثير من الناس يرجون الآخرة بغير عمل و يقولون رحمه الله واسع و منهم من يظن أن التلفظ بكلمتى الشهاده كاف فى دخول الجنه و منهم من يسوف نفسه بالتوبه و يرجئ الأوقات من اليوم إلى غد و قد يخترم على غيره فيفوته ما كان أمله و أكثر هذا الفصل للنهى عن أن يقول الإنسان واعظا لغيره ما لم يعلم هو من نفسه كقوله تعالى أ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ (٢) .

فأول كلمه قالها ع فى هذا المعنى من هذا الفصل قوله يقول فى الدنيا بقول الزاهدين و يعمل فيها بعمل الراغبين .

ص: ٣٥٧

١- ١) د«يرشد غيره و يغوى نفسه».

٢- ٢) سورة البقره ٤٤.

ثم وصف صاحب هذا المذهب و هذه الطريقه فقال إنه إن أعطى من الدنيا لم يشبع لأن الطبيعه البشريه مجبوله على حب الازدياد و إنما يقهرها أهل التوفيق و أرباب العزم القوى.

قال و إن منع منها لم يقنع بما كان وصل إليه قبل المنع .

ثم قال يعجز عن شكر ما كان أنعم به عليه ليس يعنى العجز الحقيقى بل المراد ترك الشكر فسمى ترك الشكر عجزا و يجوز أن يحمل على حقيقته أى أن الشكر على ما أولى من النعم لا تنتهى قدرته إليه أى نعم الله عليه أجل و أعظم من أن يقام بواجب شكرها.

قال و يتغى الزياده فيما بقى هذا راجع إلى النحو الأول.

قال ينهى و لا ينتهى و يأمر الناس بما لا يأتى هذا كما تقدم.

قال يحب الصالحين و لا يعمل عملهم إلى قوله و هو أحدهم و هو المعنى الأول بعينه.

قال يكره الموت لكثره ذنوبه و يقيم على الذنوب و هذا من العجائب أن يكره إنسان شيئا ثم يقيم عليه و لكنه الغرور و تسويق النفس بالأمانى .

ثم قال إن سقم ظل نادما و إن صح أمن لاهيا فإذا ركبوا فى الفلك دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (١) الآيات.

قال يعجب بنفسه إذا عوفى و يقنط إذا ابتلى فأما الإنسان إذا ما ابتلاه رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَ أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (٢) و مثل الكلمه الأخرى إن أصابه بلاء و إن ناله رخاء .

ص: ٣٥٨

١-١) سورة العنكبوت ٦٥.

٢-٢) سورة الفجر ١٦، ١٥.

ثم قال تغلبه نفسه على ما يظن و لا يغلبها على ما يستيقن هذه كلمه جليله عظيمه يقول هو يستيقن الحساب و الثواب و العقاب و لا يغلب نفسه على مجانبه و متاركه ما يفضى به إلى ذلك الخطر العظيم و تغلبه نفسه على السعى إلى ما يظن أن فيه لذه عاجله فوا عجباً ممن يترجح عنده جانب الظن على جانب العلم و ما ذاك إلا لضعف يقين الناس و حب العاجل.

ثم قال يخاف على غيره بأدنى من ذنبه و يرجو لنفسه أكثر من عمله ما يزال يرى الواحد منا كذلك يقول إنى لخائف على فلان من الذنب الفلانى و هو مقيم على أفحش من ذلك الذنب و يرجو لنفسه النجاه بما لا تقوم أعماله الصالحه بالمصير إلى النجاه به نحو أن يكون يصلى ركعات فى الليل أو يصوم أياما يسيره فى الشهر و نحو ذلك.

قال إن استغنى بطر و فتن و إن افتقر قنط و وهن قنط بالفتح يقنط بالكسر قنوطا مثل جلس يجلس جلوسا و يجوز قنط يقنط بالضم مثل قعد يقعد و فيه لغه ثالثه قنط يقنط قنطا مثل تعب يتعب تعباً و قنطه فهو قنط و به قرئ **فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (١)** و القنوط اليأس و وهن الرجل يهن أى ضعف و هذا المعنى قد تكرر.

قال يقصر إذا عمل و يباليغ إذا سئل هذا مثل ما

٤٤٤٧

١٤- مدح به النبي ص الأنصار إنكم لتكثرون عند الفزع و تقلون عند الطمع .

قال إن عرضت له شهوه أسلف المعصيه و سوف التوبه و إن عرته محنه انفرج عن شرائط المله هذا كما قيل أمدحه نقدا و يشبني نسيئه و انفرج عن شرائط المله قال أو فعل ما يقتضى الخروج عن الدين و هذا موجود فى كثير من الناس إذا عرته المحن كفروا أو قال ما يقارب الكفر من التسخط و التبرم و التأفف.

ص: ٣٥٩

١- (١) سورة الحجر ٥٥، و هى قراءه الأعمش و يحيى بن وثاب، و انظر تفسير القرطبي ١٠: ٣٦.

قال يصف العبره و لا يعتبر و يبالح فى الموعظه و لا يتعظ هذا هو المعنى الأول.

قال فهو بالقول مدل و من العمل مقل هذا هو المعنى أيضا.

قال ينافس فيما يفنى أى فى شهوات الدنيا و لذاتها و يسامح فيما يبقى أى فى الثواب.

قال يرى الغنم مغرما و الغرم مغنما هذا هو المعنى الذى ذكرناه آنفا.

قال يخشى الموت و لا يبادر الفوت قد تكرر هذا المعنى فى هذا الفصل .

و كذلك قوله يستعظم من معصيه غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه... و إلى آخر الفصل كل مكرر المعنى و إن اختلفت الألفاظ و ذلك لاقتداره ع على العبارة و سعه ماده النطق عنده

ص : ٣٦٠

وَ قَالَ ع لِكُلِّ امْرِئٍ عَاقِبَةُ حُلُوهُ أَوْ مُرَّةٌ .

هكذا قرأناه و وجدناه فى كثير من النسخ و وجدناه فى كثير منها لكل أمر عاقبه و هو الأليق و مثل هذا المعنى قولهم فى المثل لكل سائل قرار و قد أخذه الطائى فقال فكانت لوعه ثم استقرت كذلك لكل سائله قرار (١).

و قال الكميت فى مثل هذا فالآن صرت إلى أميه و الأمور إلى مصاير (٢).

فأما الروايه الأولى و هى لكل امرئ فنظائرها فى القرآن كثيره نحو قوله تعالى يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ (٣) و قوله يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى وَ بُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤) و غير ذلك من الآيات

ص: ٣٦١

١-١ (١) ديوانه ١٥٣:٢.

٢-٢ (٢) الأغانى ١١١:١٥ (ساسى).

٣-٣ (٣) سوره هود ١٠٥.

٤-٤ (٤) سوره و النازعات ٣٥-٤١.

وَقَالَ ع الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ وَ عَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانٍ إِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ وَ إِثْمُ [الرِّضَا] الرَّضَى بِهِ .

لا فرق بين الرضا بالفعل و بين المشاركة فيه أ لا ترى أنه إذا كان ذلك الفعل قبيحا استحق الراضى به الذم كما يستحقه الفاعل له و الرضا يفسر على وجهين الإرادة و ترك الاعتراض فإن كان الإرادة فلا ريب أنه يستحق الذم لأن مرید القبيح فاعل للقبيح و إن كان ترك الاعتراض مع قدره على الاعتراض فلا ريب أنه يستحق الذم أيضا لأن تارك النهى عن المنكر مع ارتفاع الموانع يستحق الذم.

فأما قوله ع و على كل داخل فى باطل إثم إن أراد الداخلى فيه بأن يفعله حقيقه فلا شبهه فى أنه يأثم من جهتين إحداهما من حيث إنه أراد القبيح.

و الأخرى من حيث إنه فعله و إن كان قوم من أصحابنا قالوا إن عقاب المراد هو عقاب الإرادة.

و إن أراد أن الراضى بالقبيح فقط يستحق إثمين أحدهما لأنه رضى به و الآخر لأنه كالفاعل فليس الأمر على ذلك لأنه ليس بفاعل للقبيح حقيقه ليستحق الإثم من جهة الإرادة و من جهة الفعلية جميعا فوجب إذن أن يحمل كلامه ع على الوجه الأول

وَ قَالَ ع لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبَارٌ وَ مَا أَدْبَرَ [فَكَأَنَّ]

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ .

هذا معنى قد استعمل كثيرا جدا فمنه المثل ما طار طير و ارتفع إلا كما طار وقع.

و قول الشاعر بقدر العلو يكون الهبوط و إياك و الرتب العاليه.

و قال بعض الحكماء حركه الإقبال بطيئه و حركه الإدبار سريعه لأن المقبل كالصاعد إلى مرقاه و مرقاه المدبر كالمقذوف به من

علو إلى أسفل قال الشاعر فى هذه الدار فى هذا الرواق على هذى الوساده كان العز فانقرضا.

آخر إن الأمور إذا دنت لزوالها فعلامه الإدبار فيها تظهر

٤٦٦٨

و فى الخبر المرفوع كانت ناقه رسول الله ص العضباء لا تسبق فجاء أعرابى على قعود له فسبقها فاشتد على الصحابه ذلك فقال

رسول الله ص إن حقا على الله ألا يرفع شيئا من هذه الدنيا إلا وضعه.

و قال شيخ من همدان بعثنى أهلى فى الجاهليه إلى ذى الكلاع بهدايا فمكثت

ص: ٣٦٣

تحت قصره حولا-لا- أصل إليه ثم أشرف إشرافه من كوه له فخر له من حول العرش سجدا ثم رأيته بعد ذلك بحمص فقيرا
يشترى اللحم و يسمطه (١) خلف دابته و هو القائل أف لدنيا إذا كانت كذا

و قال بعض الأدباء فى كلام له بينا هذه الدنيا ترضع بدرتها و تصرح (٢) بزبدتها و تلحف فضل جناحها و تغر بركود رياحها إذ
عطفت عطف الضروس و صرخت صراخ (٣) الشموس و شنت غاره الهموم و أراقت ما حلبت من النعيم فالسعيد من لم يغتر
بنكاحها و استعد لو شك طلاقها شاعر هو إهاب بن همام بن صعصعه المجاشعى و كان عثمانيا لعمر أبيك فلا تكذب

و قال أبو العتاهيه يعمر بيت بخراب بيت يعيش حى بتراث ميت

٤٤٤٩

و قال أنس بن مالك ما من يوم و لا ليله و لا شهر و لا سنه إلا و الذى قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم ع .

فقال شاعر رب يوم بكيت منه فلما صرت فى غيره بكيت عليه.

ص: ٣٤٤

١-١) يسمطه، أى يعلقه.

٢-٢) ب: «تصرخ»، تحريف.

٣-٣) ب: «صرحت» تحريف.

قيل لبعض عظماء الكتاب بعد ما صودر ما تفكر في زوال نعمتك فقال لا بد من الزوال فلان تزول و أبقى خير من أن أزول و تبقى.

و من كلام الجاهليه الأولى كل مقيم شاخص و كل زائد ناقص.

شاعر إنما الدنيا دول فراحل قيل نزل إذ نازل قيل رحل.

لما فتح خالد بن الوليد عين التمر سأل عن الحرقه بنت النعمان بن المنذر فأتاها و سألها عن حالها فقالت لقد طلعت علينا الشمس و ما من شيء يدب تحت الخورنق إلا و هو تحت أيدينا ثم غربت و قد رحمنا كل من نلم به و ما بيت دخلته حبره إلا استدخله عبره ثم قالت فيينا نسوس الناس و الأمر أمرنا

و جاءها سعد بن أبي وقاص مره فلما رآها قال قاتل الله عدى بن زيد كأنه كان ينظر إليها حيث قال لأبيها إن للدهر صرعه فاحذرنها

و قال مطرف بن الشخير لا تنظروا إلى خفض عيش الملوك و لين رياشهم و لكن انظروا إلى سرعه ظعنهم و سوء منقلبهم و إن عمرا قصيرا يستوجب به صاحبه النار لعمر مشثوم على صاحبه.

لما قتل عامر بن إسماعيل مروان بن محمد و قعد على فراشه قالت ابنه مروان له يا عامر إن دهرا أنزل مروان عن فرشه و أقعدك عليها لمبلغ في عظتك إن عقلت

وَقَالَ ع لَا يَعْدَمُ الصَّبْرُ الظَّفَرَ وَ إِن طَالَ بِهِ الزَّمَانُ .

قد تقدم كلامنا في الصبر.

وقالت الحكماء الصبر ضربان جسمي و نفسي فالجسمي تحمل المشاق بقدر القوه البدنيه و ليس ذلك بفضيله تامه و لذلك قال الشاعر و الصبر بالأرواح يعرف فضله صبر الملوك و ليس بالأجسام.

و هذا النوع إما في الفعل كالمشي و رفع الحجر أو في رفع الانفعال كالصبر على المرض و احتمال الضرب المفظع و إما النفسي ففيه تتعلق الفضيله و هو ضربان صبر عن مشتتهى و يقال له عفه و صبر على تحمل مكروه أو محبوب و تختلف أسماؤه بحسب اختلاف مواقعه فإن كان في نزول مصيبه لم يتعد به اسم الصبر و يصاده الجزع و الهلع و الحزن و إن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس و يصاده البطر و الأشر و الرفع و إن كان في محاربه سمي شجاعه و يصاده الجبن و إن كان في إمساك النفس عن قضاء وطر الغضب سمي حلما و يصاده التذمر و الاستشاطه و إن كان في نائبه مضجره سمي سعه صدر و يصاده الضجر و ضيق العطن و التبرم و إن كان في إمساك كلام في الضمير سمي كتمان السر و يصاده الإفشاء و إن كان عن فضول العيش سمي قناعه و زهدا و يصاده الحرص و الشره فهذه كلها أنواع الصبر و لكن اللفظ العرفي واقع على الصبر الجسماني و على ما يكون في نزول المصائب و تنفرد (١) باقى الأنواع بأسماء تخصصها

ص: ٣٦٦

وَقَالَ ع مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً .

هذا عند أصحابنا مختص باختلاف الدعوه في أصول الدين و يدخل في ذلك الإمامه لأنها من أصول الدين و لا يجوز أن يختلف قولان متضادان في أصول الدين فيكونا صوابا لأنه إن عنى بالصواب مطابقه الاعتقاد للخارج فمستحيل أن يكون الشيء في نفسه ثابتا منفيًا و إن أراد بالصواب سقوط الإثم كما يحكى عن عبيد بن الحسن العنبري فإنه جعل اجتهاد المجتهدين في الأصول عذرا فهو قول مسبوق بالإجماع.

و لا يحمل أصحابنا كلام أمير المؤمنين ع على عمومه لأن المجتهدين في فروع الشريعة و إن اختلفوا و تضادت أقوالهم ليسوا و لا واحد منهم على ضلال و هذا مشروح في كتبنا الكلاميه في أصول الفقه

١٥٢] و من كلامه ع فى الإخبار عن الغيب صادقا]

وَقَالَ ع مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ وَلَا ضَلَلْتُ وَلَا ضَلَّ بِي.

هذه كلمه قد قالها مرارا إحداهن فى وقعه النهروان .

و كذبت بالضم أخبرت بخبر كاذب أى لم يخبرنى رسول الله ص عن المخدج خيرا كاذبا لأن أخباره ص كلها صادقه.

و ضل بى بالضم نحو ذلك أى لم يضللتنى مضلل عن الصدق و الحق لأنه كان يستند فى أخباره عن الغيوب إلى رسول الله ص و هو منزه عن إضلاله و إضلال أحد من المكلفين.

فكأنه قال لما أخبرهم عن المخدج (١) و إبطاء ظهوره لهم أنا لم أكذب على رسول الله ص و رسول الله ص لا يكذب فيما أخبرنى بوقوعه فإذا لا بد من ظفركم بالمخدج فاطلبوه

ص: ٣٦٨

١-١) المخدج: ناقص اليد؛ و هو ذو الثدييه.

وَ قَالَ ع لِلظَّالِمِ الْبَادِي غَدًا بِكَفِّهِ عَصَّةٌ .

هذا من قوله تعالى وَ يَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ (١) و إنما قال للبادي لأن من انتصر بعد ظلمه فلا سبيل عليه و من أمثالهم البادي أظلم.

فإن قلت فإذا لم يكن باديًا لم يكن ظالمًا فأى حاجه له إلى الاحتراز بقوله البادي قلت لأن العرب تطلق على ما يقع فى مقابله الظلم اسم الظلم أيضا كقوله تعالى وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا (٢)

ص: ٣٦٩

١-١) سورة الفرقان ٢٧.

٢-٢) سورة الشورى ٤٠.

وَ قَالَ ع الرَّحِيلُ وَ شَيْكٌ .

الوشيك السريع و أراد بالرحيل هاهنا الرحيل عن الدنيا و هو الموت.

و قال بعض الحكماء قبل وجود الإنسان عدم لا- أول له و بعده عدم لا- آخر له و ما شبهت وجوده القليل (١) المتناهى بين العدمين غير المتناهين إلا ببرق يخطف خطفه خفيفه (٢) فى ظلام معتكر ثم يخمد و يعود الظلام كما كان

ص : ٣٧٠

١- ١) : «الوجود القليل».

٢- ٢) : «يسيره».

١٥٥ [و من كلامه ع في هلاك من حارب الله]

وَقَالَ ع مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ .

قد تقدم تفسيرنا لهذه الكلمه في أول الكتاب و معناها من نابذ الله و حاربه هلك يقال لمن خالف و كاشف قد أبدى صفحته

ص: ٣٧١

وَ قَالَ ع

[اِعْتَصِمُوا]

اِسْتَعَصِمُوا بِالذِّمَمِ فِى [اَوْتَارِهَا]

اَوْتَادِهَا .

أى فى مظانها و فى مركزها أى لا تستندوا إلى ذمام الكافرين و المارقين فإنهم ليسوا أهلا للاستعصام بدممهم كما قال الله تعالى
[لَا يَرْجُونَ فِى مُؤْمِنٍ اِلَّا وَ لَا ذِمَّةً (١) و قَالَ إِنَّهُمْ لَا اِيْمَانَ لَهُمْ (٢) .

و هذه كلمه قالها بعد انقضاء أمر الجمل و حضور قوم من الطلقاء بين يديه ليبايعوه منهم مروان بن الحكم فقال و ما ذا أصنع
بيعتك أ لم تبايعنى بالأمس يعنى بعد قتل عثمان ثم أمر بإخراجهم و رفع نفسه عن مبايعه أمثالهم و تكلم بكلام ذكر فيه ذمام
العريبه و ذمام الإسلام و ذكر أن لا دين له فلا ذمام له.

ثم قال فى أثناء الكلام فاستعصموا بالذمم فى أوتارها أى إذا صدرت عن ذوى الدين فمن لا دين له لا عهد له

ص: ٣٧٢

١-١ (١) سورة التوبه ١٠.

١-٢ (٢) سورة التوبه ١٢.

وَ قَالَ ع عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعَذَّرُونَ [فِي جَهَالَتِهِ]

بِجَهَالَتِهِ .

يعنى نفسه ع و هو حق على المذهبين جميعا أما نحن فعندنا أنه إمام واجب الطاعه بالاختبار فلا يعذر أحد من المكلفين فى الجهل بوجوب طاعته و أما على مذهب الشيعة فلأنه إمام واجب الطاعه بالنص فلا يعذر أحد من المكلفين فى جهاله إمامته و عندهم أن معرفه إمامته تجرى مجرى معرفه محمد ص و مجرى معرفه البارئ سبحانه و يقولون لا تصح لأحد صلاه و لا صوم و لا عباده إلا بمعرفه الله و النبى و الإمام.

و على التحقيق فلا فرق بيننا و بينهم فى هذا المعنى لأن من جهل إمامه على ع و أنكر صحتها و لزومها فهو عند أصحابنا مخذل فى النار لا ينفعه صوم و لا صلاه لأن المعرفه بذلك من الأصول الكليه التى هى أركان الدين و لكننا لا نسمى منكر إمامته كافرا بل نسميه فاسقا و خارجيا و مارقا و نحو ذلك و الشيعة تسميه كافرا فهذا هو الفرق بيننا و بينهم و هو فى اللفظ لا فى المعنى

ص: ٣٧٣

وَ قَالَ ع مَا شَكَّكَتُ فِي الْحَقِّ [مُنْدُ]

مُنْدُ أُرَيْتُهُ .

أى منذ أعلمته و يجب أن يقدر هاهنا مفعول محذوف أى منذ أريته حقا لأن أرى يتعدى إلى ثلاثه مفاعيل تقول أرى الله زيدا عمرا خير الناس فإذا بنيته للمفعول به قام واحد من الثلاثه مقام الفاعل و وجب أن يؤتى بمفعولين غيره تقول أريت زيدا خير الناس و إن كان أشار بالحق إلى أمر مشاهد بالبصر لم يحتج إلى ذلك و يجوز أن يعنى بالحق الله سبحانه و تعالى لأن الحق من أسمائه عز و جل فيقول منذ عرفت الله لم أشك فيه و تكون الرؤيه بمعنى المعرفه فلا يحتاج إلى تقدير مفعول آخر و ذلك مثل قوله تعالى وَ آخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ (١) أى لا- تعرفونهم الله يعرفهم و المراد من هذا الكلام ذكر نعمه الله عليه فى أنه منذ عرف الله سبحانه لم يشك فيه أو منذ عرف الحق فى العقائد الكلاميه و الأصوليه و الفقهيه لم يشك فى شىء منها و هذه مزيه له ظاهره على غيره من الناس فإن أكثرهم أو كلهم يشك فى الشىء بعد أن عرفه و تعتوره الشبه و الوسوس-و يران على قلبه و تختلجه الشياطين عما أدى إليه نظره.

ص: ٣٧٤

١٤,١- وقد روى أن النبي ص لما بعثه إلى اليمن قاضيا ضرب على صدره وقال اللهم اهد قلبه و ثبت لسانه فكان يقول ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين .

و روى أن رسول الله ص لما قرأ وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَأَعْيَةٌ (١) قال اللهم اجعلها أذن على و قيل له قد أجيبت دعوتك.

١٥٩] و من كلامه ع فى لزوم اتباع الحق بعد نصب الأدله الواضحه دون الظلال عنها]

وَ قَالَ ع وَ قَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ وَ قَدْ هُدَيْتُمْ إِنْ اهْتَدَيْتُمْ وَ أَسْمِعْتُمْ إِنْ اسْتَمَعْتُمْ .

قال الله تعالى وَ أَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى (١) .

و قال سبحانه وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (٢) .

و قال بعض الصالحين ألا إنهما نجدا الخير و الشر فجعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير.

قلت النجد الطريق.

و اعلم أن الله تعالى قد نصب الأدله و مكن المكلف بما أكمل له من العقل من الهدايه فإذا ضل فمن قبل نفسه أتى.

و قال بعض الحكماء الذى لا يقبل الحكمه هو الذى ضل عنها ليست هى الضاله عنه.

و قال متى أحسست بأنك قد أخطأت و أردت ألا تعود أيضا فتخطئ فانظر إلى أصل فى نفسك حدث عنه ذلك الخطأ فاحتل فى قلعه و ذلك أنك إن لم تفعل ذلك عاد فثبت خطأ آخر و كان يقال كما أن البدن الخالى من النفس تفوح منه رائحه التنن كذلك النفس الخاليه من الحكمه و كما أن البدن الخالى من النفس ليس يحس ذلك بالبدن

ص: ٣٧٦

١-١) سوره فصلت ١٧.

٢-٢) سوره البلد ١٠.

بل الذين لهم حس يحسونه به كذلك النفس العديمه للحكمه ليس تحس به تلك النفس بل يحس به الحكماء و قيل لبعض الحكماء ما بال الناس ضلوا عن الحق أ تقول إنهم لم تخلق فيهم قوه معرفه فقال لا بل خلق لهم ذلك و لكنهم استعملوا تلك القوه على غير وجهها و فى غير ما خلقت له كالسم تدفعه إلى إنسان ليقتل به عدوه فيقتل به نفسه

ص: ٣٧٧

وَ قَالَ ع عَاتِبَ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَ ارْذُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ .

الأصل في هذا قول الله تعالى اِدْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (١) و روى المبرد في الكامل عن ابن عائشه عن رجل من أهل الشام قال دخلت المدينة فرأيت رجلا راكبا على بغله لم أر أحسن وجهها ولا ثوبا ولا سمتا ولا دابه منه فمال قلبي إليه فسألت عنه ف قيل هذا الحسن بن الحسن بن علي فامتأ قلبي له بغضا و حسدت عليا أن يكون له ابن مثله فصرت إليه و قلت له أنت ابن أبي طالب فقال أنا ابن ابنه قلت فبك و بأبيك فلما انقضى كلامي قال أحسبك غريبا قلت أجل قال فمل بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال واسيناك أو إلى حاجه عاوناك.

فانصرفت عنه و ما على الأرض أحد أحب إلى منه (٢) .

و قال محمود الوراق إنى شكرت لظالمى ظلمى

ص: ٣٧٨

١- ١) سورة فصلت ٣٤.

٢- ٢) الكامل ٥،٦: ٢.

قال المبرد أخذ هذا المعنى من قول رجل من قريش قال له رجل منهم إني مررت بآل فلان و هم يشتمونك شتما رحمتك منه قال أسمعتنى أقول إلا خيرا قال لا قال إياهم فارحم (١).

و قال رجل لأبى بكر لأشتمنك شتما يدخل معك قبرك فقال معك و الله يدخل لا معى (٢).

ص: ٣٧٩

١-١) الكامل ٤،٥:٢.

٢-٢) الكامل ٥:٢.

١٦١] و من كلامه ع في من وضع نفسه مواضع التهمه]

وَقَالَ ع مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهْمَةِ فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ .

٤٦٧٢

١٤- رأى بعض الصحابه رسول الله ص واقفا في درب من دروب المدينه و معه امرأه فسلم عليه فرد عليه فلما جاوزه ناداه فقال هذه زوجتي فلانه قال يا رسول الله أ و فيك يظن فقال إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم

٤٦٧٣

و جاء في الحديث المرفوع دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

٤٦٧٤

و قال أيضا لا يكمل إيمان عبد حتى يترك ما لا بأس به.

و قد أخذ هذا المعنى شاعر فقال و زعمت أنك لا تلوط فقل لنا

ص: ٣٨٠

١٦٢] و من كلامه ع فى استئثار من ملك على الرعيه بالمال و العز و الجاه]

وَ قَالَ ع مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ .

المعنى أن الأغب فى كل ملك يستأثر على الرعيه بالمال و العز و الجاه.

و نحو هذا المعنى قولهم من غلب سلب و من عز يز.

و نحوه قول أبى الطيب و الظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفه فلعله لا يظلم (١)

ص: ٣٨١

١ - ١ ديوانه ٤: ١٢٥.

وَقَالَ ع مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ وَ مَنْ شَاوَرَ الرَّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا .

قد تقدم لنا قول كاف فى المشوره مدحا و ذما و كان عبد الملك بن صالح الهاشمى يذمها و يقول ما استشرت واحدا قط إلا تكبر على و تصاغرت له و دخلته العزه و دخلتنى الذله فإياك و المشوره و إن ضاقت عليك المذاهب و اشتبهت عليك المسائل و أداك الاستبداد إلى الخطأ الفادح.

و كان عبد الله بن طاهر يذهب إلى هذا المذهب و يقول ما حكك جلدك مثل ظفرك و لأن أخطئ مع الاستبداد ألف خطأ أحب إلى من أن أستشير و أرى بعين النقص و الحاجه.

و كان يقال الاستشاره إذاعه السر و مخاطره بالأمر الذى ترومه بالمشاوره فرب مستشار أذاع عنك ما كان فيه فساد تدبيرك.

و أما المادحون للمشوره فكثير جدا و قالوا خاطر من استبد برأيه.

و قالوا المشوره راحه لك و تعب على غيرك.

و قالوا من أكثر من المشوره لم يعدم عند الصواب مادحا و عند الخطأ عاذرا.

وقالوا المستشير على طرف النجاح و الاستشاره من عزم الأمور.

وقالوا المشوره لقاح العقول و رائد الصواب.

و من أفاضهم البديعه ثمره رأى المشير أحلى من الأرى المشور (١).

و قال بشار إذا بلغ الرأى النصيحه فاستعن

ص: ٣٨٣

١ - ١) الأرى:العسل،و المشور:المستخرج.شرت العسل:استخرجته.

وَ قَالَ ع مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتْ الْحَيْرَةُ فِي [فِي يَدِهِ]

بِيَدِهِ .

قد تقدم القول فى السر و الأمر بكتمانه و نذكر هاهنا أشياء أخرى.

من أمثالهم مقتل الرجل بين لحييه.

دنا رجل من آخر فساره فقال إن من حق السر التدانى.

كان مالك بن مسمع إذا ساره إنسان قال له أظهره فلو كان فيه خير لما كان مكتوما.

حكيم يوصى ابنه يا بنى كن جوادا بالمال فى موضع الحق ضنينا بالإسرار عن جميع الخلق فإن أحمد جود المرء الإنفاق فى وجه البر.

و من كلامهم سر ك من دمك فإذا تكلمت به فقد أرقته.

و قال الشاعر فلا تفش سر ك إلا إليك

و قال عمر بن عبد العزيز القلوب أوعيه الأسرار و الشفاه أفعالها و الألسن مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره.

وقال بعض الحكماء من أفضى سره كثر عليه المتآمرون.

أسر رجل إلى صديق (١) سرا ثم قال له أفهمت قال له بل جهلت قال أ حفظت قال بل نسيت.

وقيل لرجل كيف كتمانك السر قال أجحد المخبر و أحلف للمستخبر.

أنشد الأصمعي قول الشاعر إذا جاوز الاثنين سر فإنه بنث و تكثير الوشاه قمين (٢).

فقال و الله ما أراد بالاثنين إلا الشفتين

ص: ٣٨٥

١ - ١) :«صديقه».

٢ - ٢) قمين: خليق.

وَ قَالَ ع الْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ .

٤٦٧٥

فى الحديث المرفوع أشقى الأشقياء من جمع عليه فقر الدنيا و عذاب الآخرة.

و أتى بزجمهر فقير جاهل فقال بثما اجتمع على هذا البائس فقر ينقص دنياه و جهل يفسد آخرته.

شاعر خلق المال و اليسار لقوم

أخذ السيواسى هذا المعنى فقال فى قصيدته الطويلة المعروفه بالساسانيه لبت شعرى لما بدا يقسم الأرزاق فى أى مطبق كنت (١)

قرئ على أحد جانبى دينار قرنت بالنجح و بى كل ما يراد من ممتنع يوجد.

و على الجانب الآخر و كل من كنت له ألفا فالانس و الجن له أعبد.

ص: ٣٨٦

وقال أبو الدرداء من حفظ ماله فقد حفظ الأكثر من دينه و عرضه.

بعضهم و إذا رأيت صعوبه فى مطلب

و من دعاء السلف اللهم إنى أعوذ بك من ذل الفقر و بطر الغنى

ص: ٣٨٧

وَ قَالَ ع مَنْ قَضَى حَقَّ مَنْ لَا يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ [عَبَّدَهُ]

عَبَّدَهُ .

عبده بالتشديد أى اتخذهُ عبداً يقال عبده و استعبده بمعنى واحد و المعنى بهذا الكلام مدح من لا يقضى حقه أى من فعل ذلك بإنسان فقد استعبد ذلك الإنسان لأنه لم يفعل معه ذلك مكافاه له عن حق قضاها إياه بل فعل ذلك إنعاماً مبتدأ فقد استعبده بذلك (١).

و قال الشاعر فى نقيض هذه الحال يخاطب صاحباً له كن كأن لم تلاقنى قط فى الناس

ص: ٣٨٨

وَ قَالَ ع لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِى مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ .

هذه الكلمه قد رويت مرفوعه و قد جاء فى كلام أبى بكر أطيعونى ما أطعت الله فإذا عصيته فلا طاعه لى عليكم و قال معاويه لشداد بن أوس قم فاذا ذكر عليا فانتقصه (١) فقام شداد فقال الحمد لله الذى افترض طاعته على عباده و جعل رضاه عند أهل التقوى أثر من رضا غيره على ذلك مضى أولهم و عليه مضى آخرهم أيها الناس إن الآخره وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر و إن الدنيا أكل حاضر يأكل منها البر و الفاجر و إن السامع المطيع لله لا حجه عليه و إن السامع العاصى لله لا حجه له و إنه لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق و إذا أراد الله بالناس خيرا استعمل عليهم صلحاءهم- و قضى بينهم فقهاؤهم (٢) و جعل المال فى سمحائهم و إذا أراد بالعباد شرا عمل عليهم سفهاؤهم و قضى بينهم جهلاؤهم و جعل المال عند بخلائهم و إن من إصلاح الولاه أن تصلح قرناءها ثم التفت إلى معاويه فقال نصحك يا معاويه من أسخطك بالحق و غشك من أرضاك بالباطل فقطع معاويه عليه كلامه و أمر بإنزاله ثم لطفه و أمر له بمال فلما قبضه قال أ لست من السمحاء الذين ذكرت فقال إن كان لك مال غير مال المسلمين أصبته حلالا و أنفقته إفضالا فنعم و إن كان مال المسلمين احتجبتهم دونهم أصبته اقترافا و أنفقته إسرافا فإن الله يقول إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ (٣)

ص: ٣٨٩

١- ١) فى د«و تنقصه» و هو مستقيم أيضا.

٢- ٢) فى د«علماءؤهم».

٣- ٣) سوره الإسراء ٢٧.

وَقَالَ ع لَا يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ .

لعل هذه الكلمه قالها فى جواب سائل سأله لم أخرت المطالبه بحقك من الإمامه و لا بد من إضمار شىء فى الكلام على قولنا و قول الإماميه لأننا نحن نقول الأمر حقه بالأفضليه و هم يقولون إنه حقه بالنص و على كلا التقديرين فلا بد من إضمار شىء فى الكلام لأن لقائل أن يقول له ع لو كان حقك من غير أن يكون للمكلفين فيه نصيب لجاز ذلك أن يؤخر كالدين الذى يستحق على زيد يجوز لك أن تؤخره لأنه خالص لك وحدك فأما إذا كان للمكلفين فيه حاجه ماسه لم يكن حقك وحدك لأن مصالح المكلفين منوطه بإمامتك دون إمامه غيرك فكيف يجوز لك تأخير ما فيه مصلحة المكلفين فأذن لا بد من إضمار شىء فى الكلام و تقديره لا يعاب المرء بتأخير حقه إذا كان هناك مانع عن طلبه و يستقيم المعنى حيثئذ على المذهبين جميعا لأنه إذا كان هناك مانع جاز تقديم غيره عليه و جاز له أن يؤخر طلب حقه خوف الفتنة و الكلام فى هذا الموضوع مستقصى فى تصانيفنا فى علم الكلام

وَ قَالَ ع الْإِعْجَابُ يَمْنَعُ [مِنَ الْإِزْدِيَادِ]

الْإِزْدِيَادَ .

قد تقدم لنا قول مقنع فى العجب و إنما قال ع يمنع من الازدياد لأن المعجب بنفسه ظان أنه قد بلغ الغرض و إنما يطلب الزيادة من يستشعر التقصير لا- من يتخيل الكمال و حقيقه العجب ظن الإنسان بنفسه استحقاق منزله هو غير مستحق لها و لهذا قال بعضهم لرجل رآه معجبا بنفسه يسرني أن أكون عند الناس مثلك فى نفسك و أن أكون عند نفسى مثلك عند الناس فتمنى حقيقه ما يقدره ذلك الرجل ثم تمنى أن يكون عارفا بعيوب نفسه كما يعرف الناس عيوب ذلك الرجل المعجب بنفسه.

و قيل للحسن من شر الناس قال من يرى أنه خيرهم.

و قال بعض الحكماء الكاذب فى نهايه البعد من الفضل و المرائى أسوأ حالا من الكاذب لأنه يكذب فعلا و ذاك يكذب قولاً و الفعل أكد من القول فأما المعجب بنفسه فأسوأ حالا منهما لأنهما يريان نقص أنفسهما و يريدان إخفاءه و المعجب بنفسه قد عمى عن عيوب نفسه فيراها محاسن و يبديها.

و قال هذا الحكيم أيضا ثم إن المرائى و الكاذب قد ينتفع بهما كملاح خاف

ركابه الغرق من مكان مخوف من البحر فبشرهم بتجاوزه قبل أن يتجاوزه لئلا يضطربوا فيتعجل غرقهم.

وقد يحمد رياء الرئيس إذا قصد أن يقتدى به في فعل الخير والمعجب لا حظ له في سبب من أسباب المحمده بحال.

و أيضا فلأنك إذا وعظت الكاذب و المرائي فنفسهما تصدقك و تثلبهما لمعرفة نفسها و المعجب فلجهله بنفسه يظنك في وعظه لاغيا فلا- ينتع بمقالك و إلى هذا المعنى أشار سبحانه بقوله أَمْ مَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسِينًا (١) ثم قال سبحانه فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ (٢) تنبيهها على أنهم لا يعقلون لإعجابهم.

٤٦٧٦

وقال ع ثلاث مهلكات شح مطاع و هوى متبع و إعجاب المرء بنفسه.

و في المثل إن إبليس قال إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطلبه بغيرها إذا أعجب بنفسه و استكثر عمله و نسي ذنوبه.

و قالت الحكماء كما أن المعجب بفرسه لا يروم أن يستبدل به غيره كذلك المعجب بنفسه لا يريد بحاله بدلا و إن كانت رديئه.

و أصل الإعجاب من حب الإنسان لنفسه

٤٦٧٧

وقد قال ع حبك الشيء يعمى و يصم.

و من عمى و صم تعذر عليه رؤيه عيوبه و سماعها فلذلك و جب على الإنسان أن يجعل على نفسه عيوننا تعرفه عيوبه نحو ما قال عمر أحب الناس إلى امرؤ أهدى إلى عيوبى.

و يجب على الإنسان إذا رأى من غيره سيئه أن يرجع إلى نفسه فإن رأى ذلك

ص: ٣٩٢

١-١ (١) سورة فاطر ٨.

١-٢ (١) سورة فاطر ٨.

موجودا فيها نزعها و لم يغفل عنها فما أحسن ما قال المتنبي و من جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى (١).

و أما التيه و ماهيته فهو قريب من العجب لكن المعجب يصدق نفسه و هما فيما يظن بها و التياه يصدقها قطعا كأنه متحير فى تيه و يمكن أن يفرق بينهما بأمر آخر و يقول إن المعجب قد يعجب بنفسه و لا- يؤذى أحدا بذلك الإعجاب و التياه يضم إلى الإعجاب الغض من الناس و الترفع عليهم فيستلزم ذلك الأذى لهم فكل تائه معجب و ليس كل معجب تائها

ص: ٣٩٣

(١ - ١) ديوانه ١:٤٤.

١٧٠ [و من كلامه ع فى التذكير بالموت و سرعه زوال الدنيا]

وَ قَالَ ع الْأَمْرُ قَرِيبٌ وَ الْإِضْطِحَابُ قَلِيلٌ .

هذه الكلمه تذكر بالموت و سرعه زوال الدنيا و قال أبو العلاء نفسى و جسمى لما استجمعا صنعا

ص: ٣٩٤

وَ قَالَ ع قَدْ أَضَاءَ الصُّبْحُ لِدِي عَيْنَيْنِ .

هذا الكلام جار مجرى المثل و مثله و الشمس لا تخفى عن الأبصار.

و مثله إن الغزاة لا تخفى عن البصر.

و قال ابن هانئ يمدح المعتز فاستيقظوا من رقدته و تنبهوا

وَ قَالَ ع تَزَكُّ الذَّنْبِ أَهْوَنُ مِنْ طَلْبِ [التَّوْبَةِ]

الْمَعُونَةِ .

هذا حق لأن ترك الذنب هو الإحجام عنه و هذا سهل على من يعرف أثر الذنب على ما ذا يكون و هو أسهل من أن يواقع الإنسان الذنب ثم يطلب التوبه فقد لا يخلص داعيه إليها ثم لو خلس فكيف له بحصوله على شروطها و هى أن يندم على القبيح لأنه قبيح لا لخوف العقاب و لا لرجاء الثواب ثم لا يكفيه أن يتوب من الزنا وحده و لا من شرب الخمر وحده بل لا تصح توبته حتى تكون عامه شامله لكل القبائح فيندم على ما قال و يود أنه لم يفعل و يعزم على ألا يعاود معصيه أصلا و إن نقض التوبه عادت عليه الآثام القديمه و العقاب المستحق و لا الذى كان سقط بالتوبه على رأى كثير من أرباب علم الكلام و لا ريب أن ترك الذنب من الابتداء أسهل من طلب توبه هذه صفتها.

و هذا الكلام جار (١) مجرى المثل يضرب لمن يشرع فى أمر يخاطر فيه و يرجو أن يتخلص منه فيما بعد بوجه من الوجوه

ص: ٣٩٦

اشاره

وَ قَالَ ع كَمْ مِنْ أَكْلِهِ [تَمَنُّعٌ]

مَنَعَتْ أَكْلَاتٍ .

أخذ هذا المعنى بلفظه الحريرى فقال فى المقامات رب أكله هاضت الأكل و منعه ماأكل و أخذه أبو العلاف الشاعر فقال فى سنوره الذى يرثيه أردت أن تأكل الفراخ و لا

نوادير المكثرين من الأكل

و كان ابن عياش المنتوف يمازح المنصور أبا جعفر فيحتمله على أنه كان جدا كله فقدم المنصور لجلسائه يوما بطه كثيره الدهن فأكلوا و جعل يأمرهم بالازدياد من الأكل لطيبها فقال ابن عياش قد علمت غرضك يا أمير المؤمنين إنما تريد أن ترميهم منها بالحجاب يعنى الهيضه فلا يأكلوا إلى عشره أيام شيئا.

و فى المثل أكله أبى خارجه و قال أعرابى و هو يدعو الله بباب الكعبه اللهم

ميتة كميته أبي خارجه فسألوه فقال أكل بذجاً و هو الحمل و شرب وطبا من اللبن و يروى من النبيذ و هو كالحوض من جلود
ينبذ فيه و نام فى الشمس فمات فلقى الله تعالى شبعان ريان دفيثا.

و العرب تعبر بكثرة الأكل و تعيب بالجشع و الشره و النهم و قد كان فيهم قوم موصوفون بكثرة الأكل منهم معاوية قال أبو
الحسن المدائنى فى كتاب الأكل- كله كان يأكل فى اليوم (1) أربع أكلات أخراهن عظامهن ثم يتعشى بعدها بثريده عليها بصل
كثير و دهن كثير قد شغلها و كان أكله فاحشا يأكل فيلطح مندلين أو ثلاثة قبل أن يفرغ و كان يأكل حتى يستلقى و يقول يا
غلام ارفع فالأنى و الله ما شبت و لكن مللت.

و كان عبيد الله بن زياد يأكل فى اليوم خمس أكلات أخراهن خيبه بعسل و يوضع بين يديه بعد أن يفرغ الطعام عناق أو جدى
فيأتى عليه وحده.

و كان سليمان بن عبد الملك المصيبه العظمى فى الأكل دخل إلى الرفقه فقال لصاحب طعامه أطعمنا اليوم من خرفان الرفقه و
دخل الحمام فأطال ثم خرج فأكل ثلاثين خروفا بثمانين رغيفا ثم قعد على المائدة فأكل مع الناس كأنه لم يأكل شيئا.

و قال الشمردل و كيل آل عمرو بن العاص قدم سليمان الطائف و قد عرفت استجاعته فدخل هو و عمر بن عبد العزيز و أيوب
ابنه إلى بستان لى هناك يعرف بالرهط فقال ناهيك بمالك هذا لو لا جرار فيه قلت يا أمير المؤمنين إنها ليست بجرار و لكنها
جرار الزبيب فضحكك ثم جاء حتى ألقى صدره على غصن شجره هناك و قال يا شمردل أ ما عندك شيء تطعمنى و قد كنت
استعددت له فقلت بلى و الله عندى جدى كانت تغدو عليه حافله و تروح عليه أخرى فقال عجل به فجتته

ص: ٣٩٨

به مشويا كأنه عكه سمن فأكله لا يدعو عليه عمر و لا ابنه حتى إذا بقى فخذ قال يا عمر هلم قال إني صائم ثم قال يا شمردل أ ما عندك شىء قلت بلى دجاجات خمس كأنهن رثلان النعام فقال هات فأتيته بهن فكان يأخذ برجل الدجاجة حتى يعرى عظامها ثم يلقها حتى أتى عليهن ثم قال ويحك يا شمردل أ ما عندك شىء قلت بلى سويق كأنه قراضه الذهب ملتوت بعسل و سمن قال هلم فجئته بعس تغيب فيه الرأس فأخذه فلطم به جبهته حتى أتى عليه فلما فرغ تجشأ كأنه صارخ فى جب ثم التفت إلى طباحه فقال ويحك أ فرغت من طبيخك قال نعم قال و ما هو قال نيف و ثمانون قدرا قال فأنتى بها قدرا قدرا فعرضها عليه و كان يأكل من كل قدر لقمتين أو ثلاثا ثم مسح يده و استلقى على قفاه و أذن للناس و وضعت الموائد فقعد فأكل مع الناس كأنه لم يطعم شيئا.

قالوا و كان الطعام الذى مات منه سليمان أنه قال لديرانى كان صديقه قبل الخلافه ويحك لا تقطعنى أطفائك التى كنت تلتفنى بها على عهد الوليد أخی قال فأتيته يوما بزنبيلين كبيرين أحدهما بيض مسلوق و الآخر تين فقال لقمنيه فكنت أقشر البيضة و أقرنها بالتينه و ألقمه حتى أتى على الزنبيلين فأصابته تخمه عظيمه و مات و يحكى أن عمرو بن معديكرب أكل عنزا رباعيه و فرقا من ذره و الفرق ثلاثه أصع و قال لامرأته عالجي لنا هذا الكبش حتى أرجع فجعلت توقد تحته و تأخذ عضوا عضوا فتأكله فاطلعت فإذا ليس فى القدر إلا المرق فقامت إلى كبش آخر فذبحته و طبخته ثم أقبل عمرو فشردت له فى جفنه العجين و كفأت القدر عليها فمد يده و قال يا أم ثور دونك الغداء قالت قد أكلت فأكل الكبش كله ثم اضطجع و دعاها إلى الفراش فلم يستطع الفعل فقالت له كيف تستطيع و بينى و بينك كبشان.

وقد روى هذا الخبر عن بعض العرب وقيل إنه أكل حوارا (١) و أكلت امرأته حائلا (٢) فلما أراد أن يدنو منها و عجز قالت له كيف تصل إلى و بينى و بينك بعيران.

و كان الحجاج عظيم الأكل قال مسلم بن قتيبه كنت فى دار الحجاج مع ولده و أنا غلام فقيل قد جاء الأمير فدخل الحجاج فأمر بتنوير فنصب و أمر رجلا- أن يخبز له خبز الماء و دعا بسمك فأتوه به فجعل يأكل حتى أكل ثمانين جاما من السمك بثمانين رغيفا من خبز المله (٣).

و كان هلال بن أشعر المازنى موصوفا بكثرة الأكل أكل ثلاث جفان ثريد و استسقى فجاءوه بقربه مملوءه نبيذا فوضعوا فمها فى فمه حتى شربها بأسرها.

و كان هلال بن أبى برده أكلوا قال قصابه جاءنى رسوله سحره فأتيته و بين يديه كانون فيه جمر و تيس ضخم فقال دونك هذا التيس فاذبحه فذبحته و سلخته فقال أخرج هذا الكانون إلى الرواق و شرح اللحم و كبه على النار فجعلت كلما استوى شىء قدمته إليه حتى لم يبق من التيس إلا العظام و قطعه لحم على الجمر فقال لى كلها فأكلتها ثم شرب خمسه أقداح و ناولنى قدحا فشربته فهزنى و جاءته جاريه ببرمه فيها ناهضان (٤) و دجاجتان و أرغفه فأكل ذلك كله ثم جاءته جاريه أخرى بقصعه مغطاه لا أدرى ما فيها فضحك إلى الجاريه فقال ويحك لم يبق فى بطنى موضع لهذا فضحكت الجاريه و انصرفت فقال لى الحق بأهلك.

ص: ٤٠٠

١-١) الحوار: ولد الناقه.

٢-٢) الحائل: الناقه التى لم تحمل.

٣-٣) المله: الرماد الحار.

٤-٤) الناهض: فرخ العقاب.

و كان عنبسه بن زياد أكلوا نهما فحدث رجل من ثقيف قال دعاني عبيد الله الأحمر فقلت لعنسه هل لك يا ذبحه و كان هذا لقبه في إتيان الأحمر فمضينا إليه فلما رآه عبيد الله رحب به و قال للخباز ضع بين يدي هذا مثل ما تضع بين يدي أهل المائدة كلهم فجعل يأتيه بقصعه و أهل المائدة بقصعه و هو يأتي عليها ثم أتاه بجدي فأكله كله و نهض القوم فأكل كل ما تخلف على المائدة و خرجنا فلقينا خلف بن عبد الله القطامي فقال له يا خلف أ ما تغديني يوما فقلت لخلف و يحك لا تجده مثل اليوم فقال له ما تشتهي قال تمرا و سمنا فانطلق به إلى منزله فجاء بخمس جلال (1) تمرا و جره سمنا فأكل الجميع و خرج فمر برجل بيني داره و معه مائه رجل و قد قدم لهم سمنا و تمرا فدعاه إلى الأكل معهم فأكل حتى شكوه إلى صاحب الدار ثم خرج فمر برجل بين يديه زنبيل فيه خبز أرز يابس بسمس و هو يبيعه فجعل يساومه و يأكل حتى أتى على الزنبيل فأعطيت صاحب الزنبيل ثمن خبزه.

و كان ميسره الرأس أكلوا حكي عنه عند المهدي محمد بن المنصور أنه يأكل كثيرا فاستدعاه و أحضر فيلا و جعل يرمى لكل واحد منهما رغيفا حتى أكل كل واحد منهما تسعة و تسعين رغيفا و امتنع الفيل من تمام المائة و أكل ميسره تمام المائة و زاد عليها.

و كان أبو الحسن العلاف والد أبي بكر بن العلاف الشاعر المحدث أكلوا دخل يوما على الوزير أبي بكر محمد المهلبى فأمر الوزير أن يؤخذ حماره فيذبح و يطبخ بماء و ملح ثم قدم له على مائده الوزير فأكل و هو يظنه لحم

ص: ٤٠١

البقر و يستطيه حتى أتى عليه فلما خرج ليركب طلب الحمار فقيل له في جوفك.

و كان أبو العالیه أکولا نذرت امرأه حامل إن أتت بذكر تشبع أبا العالیه خبيصا فولدت غلاما فأحضرتة فأكل سبع جفان خبيصا ثم أمسك و خرج فقيل له إنها كانت نذرت أن تشبعك فقال و الله لو علمت ما شبعت إلى الليل

ص: ٤٠٢

وَقَالَ ع النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا .

هذه الكلمة قد تقدمت و تقدم منا ذكر نظائرها و العله في أن الإنسان عدو ما يجهله أنه يخاف من تقريره (١) بالنقص و بعدم العلم بذلك الشيء خصوصا إذا ضمه ناد أو جمع من الناس فإنه تتصاغر نفسه عنده إذا خاضوا فيما لا يعرفه و ينقص في أعين الحاضرين و كل شيء آذاك و نال منك فهو عدوك (٢)

ص: ٤٠٣

١- ١) د: «تعريضه».

٢- ٢) أ: «فهو عدو لك».

١٧٥] و من كلامه ع في النهي عن تضييع الفرصه في الرأى ثم محاوله الاستدراك بعد أن فات وجه الرأى]

وَقَالَ ع مَنْ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الْأَرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَاِ .

قد قالوا في المثل شر الرأى الدبرى.

و قال الشاعر و خير الرأى ما استقبلت منه و ليس بأن تتبعه اتباعا.

و ليس المراد بهذا الأمر سرعه فضل الحال لأول خاطر و لأول رأى إن ذلك خطأ و قديما قيل دع الرأى يغب.

و قيل كل رأى لم يخمر و يبيت (١) فلا خير فيه.

و إنما المنهى عنه تضييع الفرصه في الرأى ثم محاوله الاستدراك بعد أن فات وجه الرأى فذاك هو الرأى الدبرى

ص: ٤٠٤

١ - ١) د: «بيت».

١٧٦] و من كلامه ع فى إعانه الله تعالى من قوى على إزاله المنكر]

وَ قَالَ ع مَنْ أَحَدَّ سِنَانَ الْغُضَبِ لِلَّهِ قَوَى عَلَى قَتْلِ أَشَدَّاءِ الْبَاطِلِ .

هذا من باب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الكلمه تتضمن استعاره تدل على الفصاحه و المعنى أن من أرهف عزمه على إنكار المنكر و قوى غضبه فى ذات الله و لم يخف و لم يراقب مخلوقا أعانه الله على إزاله المنكر و إن كان قويا صادرا من جهه عزيزه الجانب و عنها وقعت الكنايه بأشدهاء الباطل

ص: ٤٠٥

١٧٧ [و من كلامه ع فى أن كل أمر من خير أوشر يكون سماعه أعظم من عيانه]

وَقَالَ ع إِذَا هَبَّتْ أَمْرًا فَفَقَعَ فِيهِ فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقُّيهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ .

ما أحسن ما قال المتنبي فى هذا المعنى و إذا لم يكن من الموت بد

و قال آخر لعمر ك ما المكروه إلا ارتقابه و أعظم مما حل ما يتوقع.

و قال آخر صعوبه الرزء تلقى فى توقعه مستقبلا و انقضاء الرزء أن يقعا.

و كان يقال توسط الخوف تأمن.

و من الأمثال العاميه أم المقتول تنام و أم المههد لا تنام.

و كان يقال كل أمر من خير أو شر فسماعه أعظم من عيانه.

و قال قوم من أهل المله و ليسوا عند أصحابنا مصيبين إن عذاب الآخره المتوعد به إذا حل بمستحقه وجدوه أهون مما كانوا

يسمعونه فى الدنيا و الله أعلم بحقيقه ذلك

اشاره

وَ قَالَ ع آلَهُ الرَّئَاسَةِ سَعَهُ الصَّدْرُ .

الرئيس محتاج إلى أمور منها الجود و منها الشجاعه و منها هو الأهم سعه الصدر فإنه لا تتم الرئاسة إلا بذلك.

و كان معاويه واسع الصدر كثير الاحتمال و بذلك بلغ ما بلغ

سعه الصدر و ما ورد فى ذلك من حكايات

و نحن نذكر من سعه الصدر حكايتين دالتين على عظم محله فى الرئاسة و إن كان مذموما فى باب الدين و ما أحسن قول الحسن فيه و قد ذكر عنده عقيب ذكر أبى بكر و عمر فقال كانا و الله خيرا منه و كان أسود منهما.

الحكاية الأولى وفد أهل الكوفة على معاويه حين خطب لابنه يزيد بالعهد بعده و فى أهل الكوفة هانىء بن عروه المرادى و كان سيدا فى قومه فقال يوما فى مسجد دمشق و الناس حوله العجب لمعاويه يريد أن يقسرنا على بيعه يزيد و حاله حاله و ما ذاك و الله بكائن و كان

فى القوم غلام من قرىش جالسا فتحمل الكلمه إلى معاويه فقال معاويه أنت سمعت هانئا يقولها قال نعم قال فاخرج فأت حلقته فإذا خف الناس عنه فقل له أيها الشيخ قد وصلت كلمتك إلى معاويه و لست فى زمن أبى بكر و عمر و لا أحب أن تتكلم بهذا الكلام فإنهم بنو أميه و قد عرفت جرأتهم و إقدامهم و لم يدعى إلى هذا القول لك إلا النصيحة و الإشفاق عليك فانظر ما يقول فأتنى به.

فأقبل الفتى إلى مجلس هانئ فلما خف من عنده دنا منه فقص عليه الكلام و أخرجه مخرج النصيحة له فقال هانئ و الله يا ابن أخى ما بلغت نصيحتك كل ما أسمع و إن هذا الكلام لكلام معاويه أعرفه فقال الفتى و ما أنا و معاويه و الله ما يعرفنى قال فلا عليك إذا لقيته فقل له يقول لك هانئ و الله ما إلى ذلك من سبيل انهض يا ابن أخى راشدا.

فقام الفتى فدخل على معاويه فأعلمه فقال نستعين بالله عليه.

ثم قال معاويه بعد أيام للوفد ارفعوا حوائجكم و هانئ فيهم فعرض عليه كتابه فيه ذكر حوائجه فقال يا هانئ ما أراك صنعت شيئا زد فقام هانئ فلم يدع حاجه عرضت له إلا و ذكرها ثم عرض عليه الكتاب فقال أراك قصرت فيما طلبت زد فقام هانئ فلم يدع حاجه لقومه و لا لأهل مصره إلا ذكرها ثم عرض عليه الكتاب فقال ما صنعت شيئا زد فقال يا أمير المؤمنين حاجه بقيت قال ما هى قال أن أتولى أخذ البيعه ليزيد ابن أمير المؤمنين بالعراق قال افعل فما زلت لمثل ذلك أهلا فلما قدم هانئ العراق قام بأمر البيعه ليزيد بمعونه من المغيرة بن شعبه و هو الوالى بالعراق يومئذ.

٣- كان مال حمل من اليمن إلى معاويه فلما مر بالمدينه وثب عليه الحسين بن علي ع فأخذه و قسمه في أهل بيته و مواليه و كتب إلى معاويه من الحسين بن علي إلى معاويه بن أبي سفيان أما بعد فإن عيرا مرت بنا من اليمن تحمل مالا و حللا و عنبرا و طيبا إليك لتودعها خزائن دمشق و تعل بها بعد النهل بنى أبيك و إنى احتجت إليها فأخذتها و السلام.

فكتب إليه معاويه من عند عبد الله معاويه أمير المؤمنين إلى الحسين بن علي سلام عليك أما بعد فإن كتابك ورد علي تذكر أن عيرا مرت بك من اليمن تحمل مالا- و حللا- و عنبرا و طيبا إلى لأودعها خزائن دمشق و أعل بها بعد النهل بنى أبي و أنك احتجت إليها فأخذتها و لم تكن جديرا بأخذها إذ نسبتها إلى لأن الوالى أحق بالمال ثم عليه المخرج منه و ايم الله لو ترك ذلك حتى صار إلى لم أبخسك حظك منه و لكنى قد ظننت يا ابن أخى أن فى رأسك نزوه و بودى أن يكون ذلك فى زمانى فأعرف لك قدرك و أتجاوز عن ذلك و لكنى و الله أتخوف أن تبلى بمن لا ينظرک فواق ناقيه و كتب فى أسفل كتابه يا حسين بن علي ليس ما

و هذه سعه صدر و فراسه صادق

وَقَالَ عَازِجُ الْمُسِيءِ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ .

قد قال ابن هانئ المغربى فى هذا المعنى لو لا انبعاث السيف و هو مسلط فى قتلهم قتلتهم النعماء.

فأفصح به أبو العتاهيه فى قوله إذا جازيت بالإحسان قوما

١٨٠ [و من كلامه ع فى النهى عن إضرار السوء للمسلم والإقلاع عن ارتكاب المنكر قبل النهى عنه]

وَ قَالَ ع أَخْصِدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرٍ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ .

هذا يفسر على وجهين أحدهما أنه يريد لا تضر لأخيك سوءاً فإنك لا تضر ذاك إلا يضر هو لك سوءاً لأن القلوب يشعر بعضها ببعض فإذا صفوت لواحد صفا لك.

و الوجه الثانى أن يريد لا تعظ الناس و لا تنههم عن منكر إلا و أنت مقلع عنه فإن الواعظ الذى ليس بزكى لا ينفع (١) وعظه و لا يؤثر نهيه.

و قد سبق الكلام فى كلا المعنيين

ص: ٤١١

١ - ١) : «ينفع».

وَ قَالَ ع اللَّجَاجُ تَسْلُ الرَّأْيَ .

هذا مشتق من

٤٦٧٩

قوله ع

لا رأى لمن لا يطاع.

و ذلك لأن عدم الطاعة هو اللجاجه و هو خلق يتركب من خلقين أحدهما الكبر و الآخر الجهل بعواقب الأمور و أكثر ما يعترى الولاه لما يأخذهم من العزه بالإثم.

و من كلام بعض الحكماء إذا اضطرت إلى مصاحبه السلطان فابدأ بالفحص عن معتاد طبعه و مألوف خلقه ثم استحدث لنفسك طبعاً ففرغه في قالب إرادته و خلقاً تركبه مع موضع وفاقه حتى تسلم معه و إن رأيت يهوى فنا من فنون المحبوبات فأظهر هواك لضد ذلك الفن ليبعد عنك إرهابه بل و يكثر سكونه إليك و إذا بدا لك منه فعل ذميم فأياك أن تبدأ فيه بقول ما لم يستبدل فيه نصحك و يستدعى رأيك و إن استدعى ذاك فليكن ما تفاوضه فيه بالرفق و الاستعطاف لا بالخشونه و الاستنكاف فيحمله اللجاج المركب في طبع الولاه على ارتكابه فكل وال لجوج و إن علم ما يتعقبه لجاجه من الضرر و أن اجتنابه هو الحسن

ص: ٤١٢

وَ قَالَ ع الطَّمْعُ رِقٌّ مُؤَيَّدٌ .

هذا المعنى مطروق جدا و قد سبق لنا فيه قول شاف.

و قال الشاعر تعفف و عش حرا و لا تك طامعا فما قطع الأعناق إلا المطامع.

و فى المثل أطمع من أشعب رأى سلالا يصنع سله فقال له أوسعها قال ما لك و ذاك قال لعل صاحبها يهدى لى فيها شيئا.

و مر بمكتب و غلام يقرأ على الأستاذ إن أبى يدعوك فقال قم بين يدى حفظك الله و حفظ أباك فقال إنما كنت أقرأ وردى فقال أنكرت أن تفلح أو يفلح أبوك.

و قيل لم يكن أطمع من أشعب إلا كلبه رأى صورته القمر فى البئر فظنه رغيفا فألقى نفسه فى البئر يطلبه فمات

وَ قَالَ ع ثَمَرَةُ التَّفْرِيطِ النَّدَامَةُ وَ ثَمَرَةُ الْحَزْمِ السَّلَامَةُ .

قد سبق من الكلام فى الحزم و التفريط ما فيه كفايه و كان يقال الحزم ملكه يوجبها كثره التجارب و أصله قوه العقل فإن العاقل خائف أبدا و الأحمق لا يخاف و إن خاف كان قليل الخوف و من خاف أمرا توقاه فهذا هو الحزم.

و كان أبو الأسود الدؤلى من عقلاء الرجال و ذوى الحزم و الرأى و حكى أبو العباس المبرد قال قال زياد لأبى الأسود و قد أسن لو لا ضعفك لاستعملناك على بعض أعمالنا فقال أ للصرع يريدنى الأمير قال زياد إن للعمل مثونه و لا أراك إلا تضعف عنه فقال أبو الأسود زعم الأمير أبو المغيرة إننى

و كان يقال من الحزم و التوقى ترك الإفراط فى التوقى.

لما نزل بمعاويه الموت و قدم عليه يزيد ابنه فرآه مسكنا لا يتكلم بكى و أنشد لوفات شىء يرى لفات أبو حيان لا عاجز و لا وكل الحول القلب الأريب و لا تدفع يوم المنيه الحيل

مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ .

قد تقدم لنا قول شاف فى الصبر و الجزع.

و كان يقال ما أحسن الصبر لو لا أن النفقه عليه من العمر أخذه شاعر فقال و إنى لأدرى أن فى الصبر راحه و لكن إنفاقى على الصبر من عمرى.

و قال ابن أبى العلاء يستبطن بعض الرؤساء فإن قيل لى صبرا فلا صبر للذى

فإن قلت أى فائده فى قوله ع من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع و هل هذا إلا كقول من قال من لم يجد ما يأكل ضره (١) الجوع.

قلت لو كانت الجبهه واحده لكان الكلام عبثا إلا أن الجبهه مختلفه لأن معنى كلامه ع من لم يخلصه الصبر من هموم الدنيا و غمومها هلك من الله تعالى فى الآخرة بما يستبدله من الصبر بالجزع و ذلك لأنه إذا لم يصبر فلا شك أنه يجزع و كل جازع آثم و الإثم مهلكه فلما اختلفت الجبهه و كانت تاره للدنيا و تاره للآخرة لم يكن الكلام عبثا بل كان مفيدا

ص: ٤١٥

وَ قَالَ ع

[وَ عَجَبًا أَنْ تَكُونَ الْخِلَافَةَ بِالصَّحَابِهِ وَ لَا تَكُونَ]

وَ عَجَبًا أَنْ تَكُونَ الْخِلَافَةَ بِالصَّحَابِهِ وَ الْقَرَابَةِ.

[قال الرضى رحمه الله تعالى و قد روى له شعر قريب من هذا المعنى و هو فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم]

حديثه ع فى النثر و النظم المذكورين مع أبى بكر و عمر أما النثر فإلى عمر توجيهه لأن أبى بكر لما قال لعمر امدد يدك قال له عمر أنت صاحب رسول الله فى المواطن كلها شدتها و رخائها فامدد أنت يدك

٤٦٨٠

فقال على ع إذا احتججت لاستحقاقه الأمر بصحبته إياه فى المواطن كلها فهلا سلمت الأمر إلى من قد شركه فى ذلك و زاد عليه بالقرابه .

و أما النظم فموجه إلى أبى بكر لأن أبى بكر حاج الأنصار فى السقيفه فقال نحن عتره رسول الله ص و بيضته التى تفقأت عنه فلما بويع احتج على الناس بالبيعه و أنها صدرت عن أهل الحل و العقد

٤٦٨١

فقال على ع أما احتجاجك على الأنصار بأنك من بيضه رسول الله ص و من قومه فغيرك أقرب نسبا منك إليه و أما احتجاجك بالاختيار و رضا الجماعه بك فقد كان قوم من جمله الصحابه غائبين لم يحضروا العقد فكيف يثبت.

و اعلم أن الكلام فى هذا تتضمنه كتب أصحابنا فى الإمامه و لهم عن هذا القول أجوبه ليس هذا موضع ذكرها.

تم الجزء الثامن عشر من شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد و يليه الجزء التاسع عشر

ص: ٤١٦

- ٦٥- من كتاب له عليه السلام إلى معاويه ٧-٢١
- ٦٦- من كتاب له عليه السلام كتبه إلى عبد الله بن العباس ٢٨
- ٦٧- من كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس و هو عامله على مكّه ٣٠
- ٦٨- من كتاب له عليه السلام إلى سلمان فارسيّ قبل أيام خلافته ٣٩-٣٤
- ٦٩- من كتاب له عليه السلام كتبه إلى الحارث الهمدانيّ ٤١،٤٢
- ٧٠- من كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف و هو عامله على المدينه ٨٢
- ٧١- من كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود ٥٤
- ٧٢- من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس ٦٠
- ٧٣- من كتاب له عليه السلام إلى معاويه ٦٢
- ٧٤- من حلف عليه السلام كتبه بين ربيعه و اليمن ٦٦
- ٧٥- من كتاب له عليه السلام إلى معاويه من المدينه في أول ما بويع له بالخلافه ٦٨
- ٧٦- من وصيه له عليه السلام عند استخلافه إياه على البصره ٧٦
- ٧٦- من وصيه له عليه السلام لعبد الله بن العباس أيضا لما بعثه للاحتجاج على الخوارج ٧١

فهرس الموضوعات (١)

ذكر بقیه الخبر عن فتح مکه ٧-٢١

الحارث الأعور و نسبه ٤٣،٤٢

نبد من الأقوال الحكمیه ٥١،٤٣

ذكر المنذر و أیه الجارود ٥٥-٥٧

حكمه علیه السلام و مواعظه، و یدخل فی ذلك المختار من أجوبه مسائله و كلامه القصیر فی سائر أغراضه ٨٢-٤١٦

نبد ممّا قيل فی الشیب و الخضاب ١٢٣-١٢٦

نبد ممّا قيل فی المروءه ١٢٨-١٣٠

نبد و حکایات ممّا وقع بین یدی الملوک ١٤٣-١٤٨

فی مجلس قتیبه بن مسلم الباهلی ١٥٢-١٥٤

أقوال و حکایات حول الحمقى و المغفلین ١٥٩-١٦٧

خباب بن الأرت ١٧١

محمّد بن جعفر و المنصور ٢٠٦-٢٠٨

محنه ابن المقفع ٢٧٠،٢٦٩

فصل فی نسب بنی مخزوم و طرف من أخبارهم ٢٨٥-٣٠٩

نوادر المكثرين من الأكل ٣٩٧-٤٠٢

سعه الصدر و ما ورد فی ذلك من حکایات ٤٠٧-٤٠٩

ص: ٤١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩